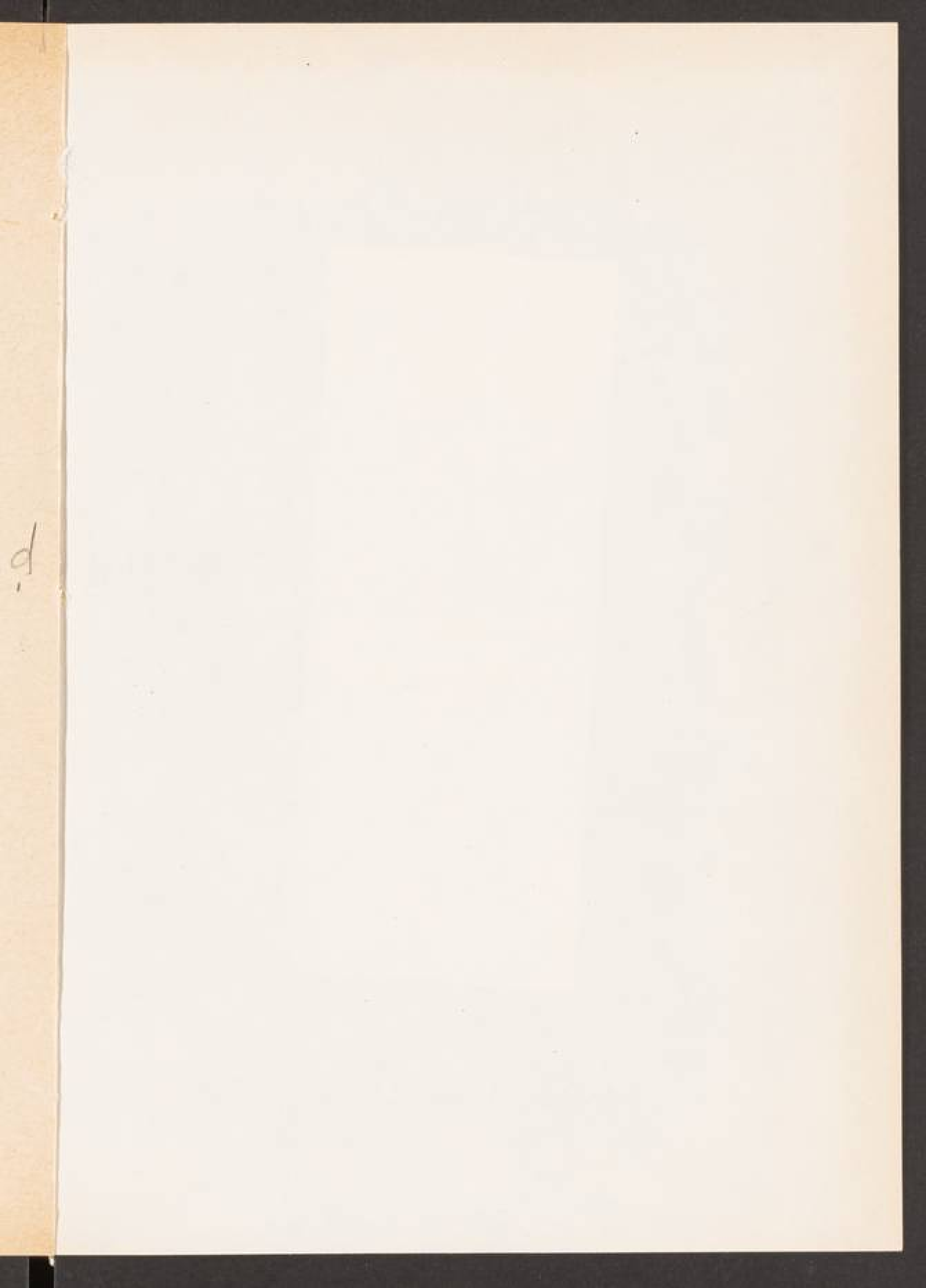
سعيد عوض باوزير

معالم تاريخ الجزيرة العربية

منشورات
مؤسسة الصبان وشركاه
عدن





معالم
تاريخ الجزيرة العربية

Bawazir, Sa'id 'Awad

تأليف

الأستاذ سعيد عوض باوزير

/Ma'ālim tarīkh al jazirah al-arabiyah/

منشورات مؤسسة الصبان وشركاه

عدن

الطبعة الاولى : ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م
« الثانية : ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الله واكبر ولله الحمد

وصلى الله على سيد ولد آدم محمد الهادي إلى سبيل الرشاد وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

حرام أن تفرغ الأمم من إشباع تاريخها القديم والحديث دراسة وتحليلا ، ونحن لا نزال نتشاغل بالتافه من الأمور ، لنعيش في جهل بماضينا وحاضرنا ، ومن ثمّ في غفلة عما ينبغي أن نرسم من خطط للمستقبل على ضوء هداية التاريخ.

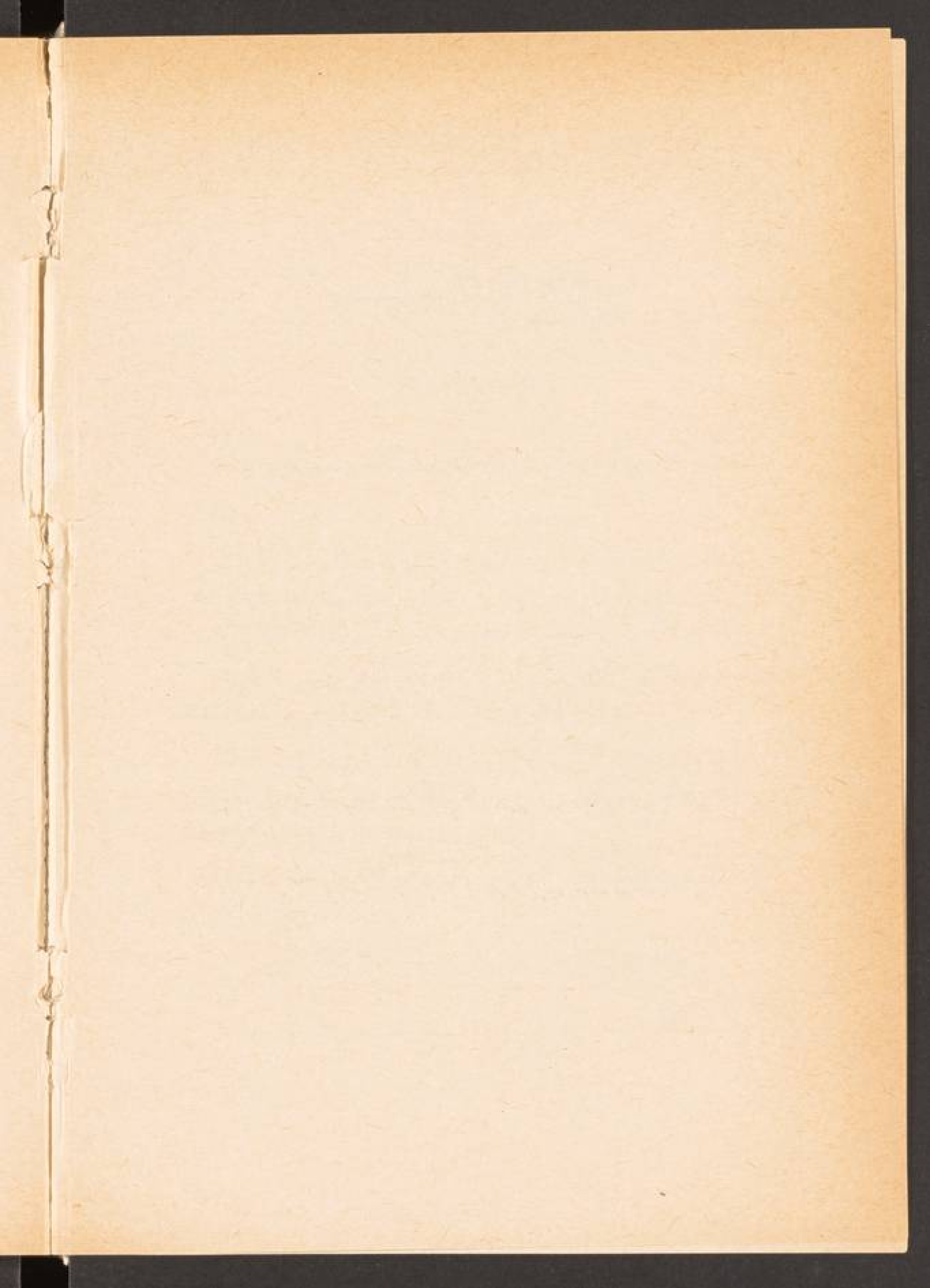
ولست أدري متى يتنبه حملة الأقلام منا وولاة الأمور فينا إلى واجب كهذا أعتقد أنه من بين العوامل الأساسية للنهضة التي نرجوها ؟

أما أنا فحسبي أنني وفرت على الطلبة وغيرهم من شبابنا المتنور مشقة البحث في مختلف المصادر التاريخية حين أقدم لهم - في كثير من الخجل - هذا العرض التاريخي الذي ليس لي منه سوى الجمع والترتيب .

وليتذكر حضرات القراء - إذا ما وجدوا في هذا الكتاب نقصاً يعيبه قول الشاعر العربي :

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتها رُعي الهشيم

المؤلف



١ - جزيرة العرب

شكلها – حدودها – موقعها – مساحتها – سواحلها – رؤوسها – خلجانها – مضايقها – أراضيها الداخلية – مناطقها – صحاريها – جبالها – مياهها – أوديتها – مناخها – الزراعة – المعادن – الثروة المائية – الحيوانات – الصادرات والواردات – السكان .

شكلها – حدودها :

جزيرة العرب مستطيل غير متوازي الأضلاع يحدها شمالاً فلسطين وبادية الشام ، وشرقاً الحيرة ودجلة والفرات والخليج العربي ، وجنوباً المحيط الهندي وخليج عدن ، وغرباً (بحر القلزم) أو البحر الأحمر .

ولزيادة الإيضاح والتحقيق ينبغي أن تفهم حدودها على النحو الآتي :

شرقي شمالي : يبدأ في الجنوب بالخليج العربي من شواطىء عمان فالبحرين إلى مصب الفرات ودجلة ، ثم على طول الفرات إلى أعالي سوريا .

غربي شمالي : يمتد من الفرات شرقي سوريا وفلسطين إلى خليج العقبة .

غربي جنوبي : على طول البحر الأحمر الى باب المندب .

شرقي جنوبي : هو بحر العرب على شواطىء اليمن وحضرموت إلى شواطىء عمان .

موقعها - مساحتها :

تقع الجزيرة العربية في الجنوب الغربي لقارة آسيا بين درجتي (١٣) و (٣٢) من درجات العرض شمالي خط الاستواء .. وبين درجتي (٣٥) و (٦٠) من درجات الطول شرقي جرينتش .

أما مساحتها العامة فمليون ومائتا ألف ميل مربع (١٫٢٠٠٫٠٠٠) ويبلغ متوسط طولها ألفاً ومائتي ميل (١٫٢٠٠) أما متوسط عرضها من الشرق إلى الغرب فسبعمائة ميل (٧٠٠) .

ويبلغ طول الحد الغربي من بورسعيد الى عدن ألفاً وخمسمائة ميل (١٫٥٠٠) ، ومن باب المندب الى رأس الحد في عمان ألفاً وثلثمائة ميل(١٫٣٠٠) ومن بورسعيد الى الفرات ستمائة ميل (٦٠٠) .

سواحلها :

يمتد ساحلها الغربي في خط مائل من رأس خليج العقبة، ويسير في متعرجات بسيطة حتى مرفأ ينبع حيث ينحني مكوناً شبه خليج ، ثم يعود الى البروز غرباً حيث يقوم ميناء جدة ليعود الى الانحناء بمحاذاة بلاد عسير ، ويرتفع قليلاً ثم ينحني ، ويعود مستقيماً حتى رأس الشيخ سعيد أقصى طرف جنوبي للجزيرة والمكون لأحد جانبي بوغاز باب المندب .

بعد ذلك يبدأ خط الساحل الجنوبي منحنياً في وسطه ، ومائلاً في اتجاه شمالي نحو الشرق ماراً بميناء عدن ، ومتعرجاً قليلاً ومكوناً لعدة رؤوس صغيرة حتى ميناء المكلا .

ثم يمتد الى رأس شرمة وينحني الى الشمال فيكون خليج شرمة ، ويليه رأس فرتك ، ويتدرج في الصعود الى الشمال مكوناً لعدة خلجان وماراً بجزائر كوريا موريا ، ثم مصيرة حتى ينتهي عند أقصى حد للجزيرة شرقاً وهو رأس

الحد ، ثم يرتفع في اتجاه شمالي على أحد جانبي خليج عمان حيث يمر بمسقط ، ثم يصل الى نقطة يضيق عندها الخليج وهناك يكون مضيق هرمز .

وبعده ينعطف الساحل الى الغرب من الخليج العربي وينحني انحناء كبيراً ، ثم يعود الى الارتفاع مكوناً لساناً صغيراً أو شبه جزيرة صغيرة تسمى قطر ، وبعده يتجه الى الشمال الغربي حتى يصل الكويت وينتهي الى البصرة في العراق .

رؤوسها – خلجانها – مضايقها :

أشهر رؤوس سواحلها رأس الشيخ سعيد في البحر الأحمر ورأس الكلب ورأس فرتك ورأس الحد في بحر العرب .

أما أهم خلجانها فخليج العقبة في الشمال الغربي وخليجا عدن وشرمة في الجنوب وخليجا عمان والعربي في الشرق .

ولها مضيقان هما مضيق باب المندب في الجنوب بينها وبين الساحل الأفريقي ومضيق هرمز في الشرق بينها وبين بلاد فارس .

أراضيها الداخلية :

المعروف في جزيرة العرب أنهـا على وجه العموم وفيما خلا بعض المناطق أرض صحراوية كثيرة الجبال والنجود والأودية ، وعرة المسالك ، قاحلة التربة ذات طبيعة جرداء .

ومن الممكن تقسيم الجزيرة الى ثلاثة أقسام باعتبار تقسيمها الطبيعي :

القسم الشمالي وهو صحراء حجرية في الشمال رملية في الجنوب ، وتقع ما بين شاطىء مدين ورأس الخليج والعربي وما يتصل به شمالا ، وأكثر سكان هـذا القسم بدو رعاة .

ويؤلف القسم الوسط بلاد الحجاز ونجد والأحساء ، وتجري في هذا القسم أودية كبيرة تروي المزارع والأشجار وتنبت المراعي .

أما القسم الجنوبي ففيه هضبة عسير واليمن في الغرب ، والجبل الأخضر في الشرق ، ويمتاز هذا القسم بوفرة التربة وخصبها ، وكثرة نزول الأمطار وتحضر أهلها .

مناطقها :

مفتاح جغرافية الجزيرة سلسلة جبال السراة الممتدة من اليمن الى أطراف بادية الشام ، وقد سميت بالحجاز لأنها تفصل الجهة الغربية المنخفضة المحاذية للساحل وهي بلاد الحجاز ، عن الجهة الشرقية الواقعة على هضبة في وسط الجزيرة وهي بلاد نجد .

والمنطقة الساحلية الغربية لهذا القسم منخفضة الى مسافة أربعين ميلاً من سفح سلسلة جبال السراة على طولها من الشمال الى الجنوب وتقع فيها المدن الساحلية لقطري الحجاز وتهامة .

أما منطقة السفح الغربي فترتفع عن سطح البحر ستمائة وخمسين متراً ويمتد عرضها الى أربعين ميلاً وتقع فيها مكة المكرمة .

ثم تأتي المنطقة الجبلية المرتفعة من شمال مدين إلى اليمن وارتفاعها بين خمسة آلاف إلى ثمانية آلاف قدم وفيها تيماء وخيبر والطائف وغامد وزهران جهة شرق مكة .

وبعد ذلك تأتي منطقة هضبة نجد في قلب الجزيرة وهي جبلية في غربيها ، وارتفاعها خمسمائة متر ، ورملية صحراوية في شرقيها إلى صحراء الدهناء الفاصلة بينها وبين سواحل الخليج العربي وعرض هذه المنطقة خمسمائة ميل تقريباً .

أما السواحل الشرقية المشرفة على الخليج العربي ، فمنطقة منبسطة ، شمالها الكويت ثم بلاد الحسا وقطر ودُبي ويليها عمان في الجنوب الشرقي ، حيث تبدأ سلاسل كبيرة من الجبال على طول الساحل الجنوبي في عمان ، ثم بلاد المهرة وأشهرها سلسلة جبال القارة .

وفي حضرموت تقوم هضبة في الوسط تتفرع منها أودية في الشمال والغرب والجنوب ، وتليها سلاسل من الجبال تتخللها أودية على طول المقاطعات الجنوبية المعروفة الآن (بالمحميّات) حتى تتصل باليمن من الجنوب والشرق .

والقسم الجنوبي من اليمن جبلي مرتفع ، وفي شماله هضبة تتصل في نهايتها بسلسلة السراة .

صحاريها :

١ - في الشمال صحراء النفود الكبير تحدها شمالاً وشرقاً صحراء الشام ، وجنوباً جبل شمر ، وغرباً جبال السراة وتمتد من الشرق مائة وثمانين ميلاً تقريباً (١٨٠) ومن الشمال الى الجنوب مائة وأربعين ميلاً (١٤٠) وهي على هيئة المثلث وارتفاعها عن سطح البحر بمعدل ألفين وخمسمائة قدم (٢٥٠٠) ففي شماليها وشرقيها يبلغ الارتفاع ألفي قدم (٢٠٠٠) وفي جنوبيها وغربيها ثلاثة آلاف قدم (٣٠٠٠) .

ومعنى النفود الرمال الكثيفة الصعبة المرور تسفيها الرياح فتؤلف كثباناً متسلسلة ، وهي مأخوذة من نفد أي سار الى الهلاك ، لأن من يدخلها يكون معرضاً لخطر الهلاك ، وتوجد في أطراف هذه الصحراء آبار تردها القوافل والرعاة .

٢ - وتتصل بصحراء النفود في نهايتها جنوباً صحراء الدهناء التي تمتد محاذية سواحل الخليج العربي من الشمال إلى الجنوب على شكل سلاسل من الرمال ، طولها تسعمائة ميل وعرضها خمسة عشر ميلاً ، ومتوسط ارتفاعها ألف

ومائتا قدم (١٢٠٠) إلى ألف وخمسمائة قدم (١٥٠٠) وتنتهي إلى الصحرا الكبرى (الربع الخالي) .

٣ - صحراء الربع الخالي هي اكبر صحارى بلاد العرب وموقعها بين اليمامة وأطراف نجد شمالا ، وحضرموت وبلاد المهرة جنوباً ، وعمان شرقاً ، ووادي الدواسر واليمن غرباً ، وتمتد من الشرق إلى الغرب (٦٠٠) ميل ومن الشمال إلى الجنوب (٤٠٠) ميل تقريباً وتبلغ مساحتها نحو ربع مليون ميل مربع .

ونحو الثلث منها في الشرق والجنوب عبارة عن هضبات ، والباقي اوقيانوس من الرمال المنتشرة نحو الشمال والغرب ، وفي جنوبها الغربي رمال الأحقاف التي تبتلع الأثقال التي تطؤها .

أما ارتفاع الربع الخالي عن سطح البحر فيختلف كثيراً بالنسبة الى المواقع ، فهو في الجنوب اعظم ارتفاعاً منه في الشرق والشمال إذ بينما يكون ارتفاع الهضبات الجنوبية عند جبال القارة (٢٠٠٠) قدم فإن ارتفاع المنطقة الواقعة على حافة الرمال لا يزيد عن (١١٠٠) قدم[١] .

وينقسم الربع الخالي على وجه التقريب إلى قسمين رئيسيين :

الأول إلى الشرق من خط الطول (٥٠) .

والآخر الى غربيه . والقسم الشرقي معظمه سلاسل متوازية طويلة من الرمال الكثيفة مع كميات وافرة من المياه الضاربة إلى الملوحة على أعماق ضئيلة مختلفة ، وهذه الأراضي وفيرة المرعى الأمر الذي أدى إلى الاعتقاد بانها الموطن الأصلي لأحسن أجناس الإبل العربية .

أما القسم الغربي الممتد إلى وادي الدواسر ونجران ، فهو مفاوز مقفرة جافة قلما يصيبها المطر ، ينبت في بعض أقسامها النبات الصحراوي القاسي ويعترض

---

١ - قلب جزيرة العرب .

رماله في بعض الأماكن مساحات واسعة موحشة من الحصباء المسطحة ، وفي الجهات الشمالية الشرقية من هـذه القفار بعض الآبار الهائلة العمق ، ولذلك فهي تسمى الطوال كالمغيمنة التى يبلـغ عمقها مائة وواحداً وسبعين قدماً (١٧١) وبئر فاضل وعمقها مائة وخمسة وعشرون قدماً (١٢٥)[١].

جبالهــا :

في بلاد العرب ما لا يكاد يحصى من الجبال والآكام التي تفصل بينها أودية وشعاب عديدة ، ويكفي هنا أن نذكر أهمها وأبرزها :

بين الحافة الجنوبية للنفود الكبير من الشمال يقوم جبلا طيّ (أجأ وسلمى) اللذان يسميان في الوقت الحاضر بجبل (شمر) ويبلغ أقصى ارتفاع جبل أجأ عن سطح البحر خمسة آلاف وخمسمائة قدم (٥٥٠٠) ويمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي الى مسافة مائة ميل ، أما جبل سلمى فإنه دون الأول ارتفاعاً وأقل مساحة والمسافة بينهما لا تزيد عن عشرين ميلاً من الأرض السهلة .

ثم تأتي سلسلة جبال السراة المعروفة وجبال الحسمة الشاهقة الارتفاع وجبل مبارك وجبل الشفاء والمويلح وجبل رضوى الى الشرق من ينبع ، ويبلغ ارتفاعه ما يقرب من ألفي متر . وفي مكة تقوم جبال أبي قبيس وقعيقعان وجبـل النور وثور وعرفات ، وعلى مقربة من المدينة يقع جبل أحد .

أما في اليمن فمن أهم جبالها نقم وكوكبان وبرط وشخب وصفوان والمقام وجبل مراد وضوران ونعمان وصبر .

مياههــا :

إن جفاف مناخ الجزيرة العربية وهبوط أرضها وعدم وجود الجبال العالية

---

١ ـ رحلة فلبي في الربع الخالي .

التي تمسك الأبخرة وتحتفظ بهـا لتبترد وتنهمل مطراً ، إلا في الجهات الغربية منها ، ثم بعد هذه السلسلة الجبلية في جزيرة العرب عن البحار الكبيرة التي تكثر فيها التبخرات المائية ، كل ذلك جعل أراضي الجزيرة العربية جافة مجدبة محرقة ، قليلة المياه .

على أنه بالرغم من هذا توجد في جهات كثيرة من بلاد العرب عيون وينابيع عديدة ، ففي جهات الحسا والقطيف سواق عديدة تؤلف بمجموعهـا كميات هائلة من الكتل المائية هي دون الأنهار[1] .

وفي حضرموت ولحج وأبين عدة ينابيع وعيون صالحة للاستغلال ، كما توجد في مواضع كثيرة من مناطق الجزيرة العربية المختلفة .

ومياه الأمطار نظراً لصلابة الجبال ولتكوينها الصخري لا يمتصها أديم الأرض ولا يبتلعها جوفها ، بل إن أكثرها ينزلق من سطوحها بسرعة فائقة الى مسائل الأودية ، وهذه تصبها في البحار أو في الفيافي والقفار .

ولهذه الأسباب السابقة لا يوجد في جزيرة العرب أنهار أو بحيرات بالمعنى المعروف من هذه المصطلحات .

وفي شمالي الجزيرة ووسطها ينزل مطر في الشتاء بين أكتوبر وأبريل ، وهـو على قلته قـد يتخلف في بعض السنين، وأغزر أمطار اليمن ما ينزل على الحافة الغربية ويمتد مائة ميل شرقاً ويقـل كلما اتجه الى الشرق ، وربما استمر المطر شهرين في الجهات العالية مثل صنعاء ، وينزل في تهامة اليمن مطر في الشتاء أحياناً ، أما في الطائف فيهطل المطر في أواخر أغسطس وفي بعض أنحاء نجد ينزل المطر في ميعاد معلوم كل سنة ، وفي الجبل الأخضر بعمان يغزر المطر وقد ينزل البرد أحياناً .

---

١ – قلب جزيرة العرب .

أوديتها :

الأودية في جميع أنحاء الجزيرة العربية تؤلف معظم الأراضي الزراعية التي عليها مدار اعتماد السكان في زراعتهم ومعاشهم، وهي كثيرة لا تكاد تحصى،ومن أهمها ما يأتي :

أولاً : وادي الرمة وهو من أعظم الأودية في بلاد العرب،يبدأ بقرب المدينة عند وادي الرقوب الى أن يصل الى أواسط نجد عند القصيم ، فيخترقها حتى يصل الى الدهناء .

ثانياً : وادي بيشه وهو من أعظم الأودية وأهمها ، وهو ينحدر من سفوح جبال عسير الشرقية والشرقية الشمالية ، ويتجه إلى جهة الشمال والشمال الشرقي إلى ان يتصل بوادي الدواسر .

ثالثاً وادي الدواسر وهو واد عظيم ينقسم الى عدة شعاب وبطاح ، وفي اطرافه قبائل عظيمة معروفة ، باسمه وهو ينتهي بقرب جناح الربع الخالي الغربي عند سليل .

رابعاً وادي نجران من الاودية العظيمة أيضاً وهو في الحقيقة مجموعة أودية كبيرة .

خامساً وادي حنيفة واليمامة وهو الوادي العظيم المشهور ، الذي يخترق اواسط نجد ويمدها بالمياه الأرضية التي يستقي الأهلون منها ويروون أرضهم بها.

سادساً : وادي التيم ويصب بقرب مدينة العقبة مبتدئاً من سلسلة جبال السراة .

وفي اليمن اودية كثيرة أهمها وادي مرزع . وادي السحارى . وادي نخلة . وادي زبيد . وادي يرمع . وادي سهام . وادي مور . وادي حرض . وادي بيش . وفي لحج وأبين وغيرهما من المقاطعات الجنوبية عدة أودية هامة .

وأهم الأودية في حضرموت : وادي حضرموت الرئيسي الأكبر ، وادي دوعن بقسميه الأيمن والأيسر ، وادي عمد ، وادي سر ، وادي حجر . وفي عُمان تجري من الجبل الأخضر المطل على الخليج أودية كثيرة ، أشهرها أودية سمائل ومعاول وصحار، والبركة التي تروي منطقة الباطنة الخصبة شمالي مسقط حتى مضيق هرمز .

مناخهـــا :

البعد عن خط الاستواء والارتفاع عن سطح البحر هما أهم العوامل الجغرافية التي تؤثر في منـاخ الأقاليم ، ولوقوع جزيرة العرب في منطقة قريبة من خط الاستواء ، ولوجود أماكن مرتفعة عن سطح البحر أو هابطة عنها ، ووجود مناطق أخرى قليلة الارتفـــاع قد يختلف مناخ بعض المناطق عن الاخرى .

ولكن الصفة العامة في البلاد هي الحرارة الشديدة مع الرطوبة في السواحل، والحرارة الجافة في الأماكن البعيدة عنها ، غير أن هنالك أماكن عديدة ذات هواء معتدل وجو لطيف منها جميع الأماكن المرتفعة عن سطح البحر .

أما في اواسط الجبال فإنه بالرغم من اشتداد الحرارة في وسط النهار فإنها تكون محتملة في الليل وفي طرفي النهار ، وأشد الحرارة مع الرطوبة تقع في سواحل الخليج العربي وفي تهامة ، وبالأخص ما كان منها واقعاً إلى الجنوب .

الزراعـة :

تقدر مساحة الارض المعدة للزراعة في جزيرة العرب بستة ملايين فدان يزرع منها سنوياً ما لا يزيد عن نصف هذا المقدار ، ويقع نصف هذه المساحة في اليمن وبقيتها موزع بين نجد والحجاز و ُعمان وبقية الاقطار الاخرى من الجزيرة .

وأهم المناطق الزراعية في جزيرة العرب تقع في المناطق الجبلية التي تصيبها الأمطار الموسمية، ويعتدل مناخها، وتمتد هذه المنطقة من الطائف الى باب المندب على موازاة البحر الاحمر تاركة بينها وبين الساحل سهلاً يتراوح عرضه بين ثلاثين وخمسين ميلاً تخترقه اودية كبيرة شواطئها صالحة للزراعة لما يجري فيها من السيول المتدفقة في منطقة الجبال ، ويصلح هذا السهل لزراعة مزروعات المنطقة الحارة .

وفي الاودية الشرقية والجنوبية من الجزيرة مساحات واسعة تتمتع بخصوبة جيدة .

وتحتل النخيل ربع المساحات المزرعة تقريباً والبقية منها تزرع بأصناف الحبوب والفاكهة ، كالبر والذرة والشعير والدخن والعدس والفول والتبغ والسمسم والبن والقطن والأعناب والتفاح والرمان والخوخ والمشمش والليمون وما شاكله من الحوامض والخضراوات وأنواع الأزهار العطرية .

وتروى هذه الأراضي من الأمطار الموسمية التي تهطل في بعض المناطق، ومن مياه الآبار والعيون والفيول ، كما في نجد والأحساء والقطيف ولحج وأبين وبعض سواحل حضرموت .

وفي منحدرات الهضبة الواقعة على ساحل البحر العربي وخليجي عدن وعمان تنمو أشجار المنطقة الاستوائية، مثل جوز الهند والباباز واللبان والأنبج.

وأعظم ثمار الجزيرة التمر ، والنخل يوجد بكثرة في الحجاز واليمامة وعمان ويزرع الأرز في عُمان والأحساء .

أما الأشجار البرية فيوجد في الجزيرة منها السدر والحناء والضال والسلم والأثل والغضا والسمر .

المعادن :

لا تزال الثروة المعدنية مخزونة في أراضي الجزيرة العربية على أن البحث الحاضر قد أسفر عن نتائج عظيمة لم تخطر على بال أحد .

أن مسارب النفط ومنابعه تمتد من كاظمة على رأس الخليج العربي الى مضيق هرمز ملتقى خليج عمان بالخليج العربي، وتبلغ مساحة هذه المنطقة ثلاثين ألف ميل مربع وبذلك تكون أكبر منطقة نفطية في العالم .

وقد أصبحت منابع النفط في ظهران جوار القطيف وفي قطر والصبيحة بجانب الكويت تغل كميات مطردة الزيادة ، أما في الكويت فقد تدفقت آبار البترول بمقادير هائلة لم يكن يتوقعها أحد .

وقد دلت الأبحاث والتقارير الفنية على توفر النفط أيضاً في المنطقة الممتدة من رأس الحد الواقع في ملتقى خليج عمان بالبحر العربي حتى مقاطعة ظفار .

وفي شمالي الحجاز تقوم منطقة كبيرة غنية بمناجم الذهب ، وهي الآن تغل مقادير ضخمة من التبر وتنتشر معادن الملح العظيمة في كافة أنحاء الجزيرة ، وتوجد معادن الملح الحجري في مأرب وجيزان وشبوة وقد كشف عن منطقة عامرة بمناجم الفحم الحجري في وسط عمان[1] . وفي عمان أيضاً معادن الحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلي .

وبالجملة فهذه نماذج لما قد تسفر عنه الأبحاث العلمية من معادن مخزونة في جوف الجزيرة .

---

١ – أما اليمن فغنية جدا بمعادنها التي لم تستغل حتى الآن ففي وادي الرضراض في الحيمة وفي جبل نقم وشبام توجد معادن الفضة، كما يكثر الحديد في بلاد صعدة وريما والحوف، والنحاس والألومنيوم في جبال خولان وكحلان وعفان ، وبالقرب من مدينة ذمار يوجد الكبريت والرصاص والبلور ، أما العقيق على مختلف أنواعه فيوجد بالقرب من صنعاء ، وهي أراض واسعة غنية بالنفط والفحم الحجري .

الثروة المائية :

البحار التابعة لجزيرة العرب مشحونة بأجود أنواع الأسماك وألذّها ، ولو اتبعت الطرق الحديثة في صيد الأسماك لدرّت على البلاد بثروة عظيمة .

وفي سواحل الخليج العربي ، وخليج عمان ، وجزر البحر العربي ، والبحر الأحمر تقع مغاطس اللؤلؤ التي تموّن أسواق الجواهر في العالم بشتى الأصناف من اللآلىء الكريمة .

الحيوانات :

تكثر الإبل والخيل والضأن والمعز في كافة أنحاء الجزيرة ، وعليها عماد معيشة العربي ، والفرس العربي أجمل خيل العالم وله شهرة ذائعة . وتوجد الحمير في اليمن والحجاز والأحساء ، أما البقر فيوجد على قلة في كثير من أنحاء الجزيرة ، ويعيش النحل في كثير من أنحاء الجزيرة حيث يفتنّ العرب في جني العسل وإعداد آلاته ، وفي اليمن وحضرموت أجود أنواع العسل في العالم .

أما الحيوانات البرّية فيوجد منها في الجزيرة الغزال ، ومنه نوع كبير أبيض له قرون مستقيمة يسميه العرب بقر الوحش والأنثى مهاة ، وتكثر الأوعال في بلاد اليمن وغيرها ، وهي المعز الجبلية ، والأرنب كثير في كل جهات الجزيرة .

ومن الوحش الذي يكثر في الجزيرة : الذئب والضبع والفهد والنمر والكلاب والقردة .

وتكثر من انواع الطير : الحمام والدجاج والقطا والعصافير المختلفة ، ومن الجوارح النسر والصقر والحدأة والغراب كما يكثر فيها الخفاش والهدهد ، وفي الجزيرة الثعابين والعقارب والضب والورل ، ويكثر الجراد في بعض الأحايين حيث يأكله الناس ، وربما أصاب المزارع بتلف .

الصادرات والواردات :

تستورد البلاد العربية معظم حاجاتها من الخارج ، فهناك اختلال كبير في توازنها الاقتصادي إذ لا تعادل الصادرات الا جزءاً صغيراً من الواردات .

وأهم الواردات إلى جزيرة العرب : الأرز . البر . الدقيق . الذرة . البن . السكر . التمر . المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية . الشاي . الكبريت . الصابون . الغاز . البنزين . السمن . الزيت . السمسم . السجائر . التبغ . الحديد . الأسمنت . الأخشاب . السجاد . الأواني الزجاجية والمعدنية . الهيل . القرفة . القرنفل . الزنجبيل . الهرُد . الفلفل . الكمون . العطر . الأدوية . السيارات . المطاط . الساعات . النقود الفضية والذهبية . آلات خياطة . آلات طرب وإذاعة . أدوات وأوراق كتابة .

وأهم الصادرات : الجلود . البن . الاسماك . الصبغة . اللؤلؤ . الذرة . التمر . التمباك . الملح . اللبان . الصمغ . النفط الخام . الذهب . الليمون المجفف . الصوف . الأصداف . العسل . النورة .

سكانها :

أغلبية سكان الجزيرة العربية من الاصل العربي الصريح . وكلهم مسلمون على انه يوجد في بعض مدن الحجاز أجناس غير عربية ، جاءتها بسبب الحج ومكثت في البلاد فأصبحت من اهلها ، كما يوجد في اليمن ما يقرب من خمسة وعشرين ألفاً من اليهود حسب الإحصاء الأخير .

أما عدد السكان فيقدر بنحو اثني عشر مليون نسمة ، منها أربعة ملايين تقريباً في اليمن ، ومن خمسة إلى ستة ملايين في المملكة العربية السعودية ، والبقية في إمارات خليج فارس وشواطىء بحر العرب .

٢ ـ الأحوال الطبيعية لجزيرة العرب

الأدوار الجيولوجية القديمة ـ تكوين البحر الاحمر ـ انفصال جزيرة العرب عن افريقيا ـ الأحوال الجوية ـ خصب التربة ووفرة المياه ـ التقهقر الطبيعي ـ اثره في حياة السكان .

الادوار الجيولوجية القديمة :

لا تزال المعلومات اللازمة عن الطبقات الارضية والتطورات الجيولوجية في جزيرة العرب ناقصة لا يركن إليها، وربما كشفت الدراسات العميقة في المستقبل عن الكثير من هذه النواحي المجهولة ، على انه وجدت حتى الآن آثار حملت العلماء على القول بأن بلاد العرب وسوريا وشبه جزيرة سينا كانت في وقت من اوقات الادوار الجيولوجية القديمة قسماً من افريقيا الشمالية الشرقية .

وقد قال الاستاذ (أريك كرنكل) في كتابه « جيولوجية العالم » إن أخدود البحر الاحمر ووجود صخور ابتدائية متشابهة التكوين في الطبيعة والزمان على جانبي هذا البحر اعتباراً من شبه جزيرة سينا وخليج العقبة متبعة بالقسم الشمالي الشرقي من افريقيا حتى جهات رأس الرجاء الصالح، كل ذلك يدل دلالة قوية لا تحتمل الشك على أنه قد قامت في الازمان الجيولوجية قارة عظيمة مؤلفة من هذه النواحي ويفصلها عن القارة اليوارسية بحر كبير بقيت لنا من آثاره الكتلة العظيمة المائية التي نسميها الآن بالبحر الابيض المتوسط .

تكوين البحر الاحمر ـ انفصال جزيرة العرب عن افريقيا :

إن تكوين البلاد العربية الحاضر إنما هو من عمل البراكين التي نرى من آثارها الآن الشيء العظيم . فجميع الحرارة الموجودة في جزيرة العرب إن هي

إلا اندفاعات بركانية خلفت لنا الحجارة السوداء النخرة فوق الرمال القديمة فأمسكتها عن التفتت والزوال .

لقد حدثت حركات ارضية في الادوار القديمة سببت تكوين أخدود البحر الاحمر وانقسام القارة العظيمة إلى قسمين : قسم غربي البحر الاحمر نعرفه الان بأفريقيا ، وقسم آخر شرقيه نعرفه ببلاد العرب ، وقد تكونت ُعمان والجبل الاخضر بحركات ارضيه مماثلة فإن المستر (برترام توماس) يؤكد في كتابه : « العربية السعيدة » أن بلاد ُعمان كانت في الاعصر الجيولوجية قسماً من بلاد إيران .

الاحوال الجوية :

إن الأحوال الطبيعية في بلاد العرب لم تكن قبل ألفين أو ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الميلادي بحالتها الطبيعية والجوية الحاضرة ، وإن جفاف الجو السائد في هذه البلاد لم يكن إلا نتيجة لتطورات جيولوجية وإقليمية استغرقت مدة طويلة ، ويذهب بعض العلماء إلى أن الجفاف الحالي قد بدأ في أواخر الدورة الثلجية الأخيرة .

ويؤكد علماء الجيولوجية أن صحارى البلاد العربية الواسعة ظلت عرضة لأمطار غزيرة خلال عصور كثيرة ، يدلنا على ذلك ما تركته هذه الأمطار من الجروف والأودية والآثار البارزة في جبال سينا وعلى سفوح الجبال العربية المطلة على البحر الأحمر ، وكانت سهول جزيرة العرب تتصف بجو ممطر منعش وبحرارة معتدلة كانت الأنهار فيها تنساب بين شجر الأحراج الكثيفة .

خصب التربة ووفرة المياه :

تدل الاكتشافات الحديثة في بلاد العرب وتثبت أنه في وقت من الأزمنة البعيدة كانت البقاع الغربية من الربع الخالي بلاداً خصبة تجري إليها الأنهار من جبال اليمن ومرتفعات الحجاز وتصب في البحر الذي كان في العهد (الميوسيني)

ساتراً ما هو القسم الشرقي من الربع الخالي إلى خط يمتد من (رحلة مفشن) إلى (شنة) (فبير زكرت) و(نيفا) و (عين سالا) .

وقد شاهد المستر فلبي على الحد بين القسم الشرقي والقسم الغربي من الربع الخالي مساحات كبيرة وجد فيها بعض أصداف الماء العذبة في كثير من مواقعها، وكان معها أيضاً كثير من الأسلحة الصوانية التي ترجع الى العهد الحجري الحديث (١٥٠٠ – ٥٠٠٠ عام قبل المسيح) ثم بعض قطع من بيض النعام المتحجر وغيره من الآثار الأمر الذي يدل على خصب الأرض ووفرة مياهها .

وقد تبين العلماء مجاري أنهار عظيمة في جزيرة العرب منها ، وادي الحمض الذي بنيت مدينة يثرب على أحد فروعه وكان هذا النهر يصب في البحر الأحمر.

وهنالك أنهر ثلاثة أخرى كانت تجري في السهول الواسعة المؤلفة لبلاد نجد والاحساء :

أولها : وادي السرحان الذي كان ينبع في مكان يقع في الناحية الشرقية من جبال حوران ، ثم يخترق سهول الجزيرة الشمالية ويصب بالقرب من مدن البابليين الخربة أيام لم تكن هنالك دولة بابلية ، وكان الخليج الفارسي يمتد إلى النواحي التي بنيت فيها فيما بعد مدينة الهيت على نهر الفرات .

ثانيها : وادي الرمة : وقد كان منبعه شرقي مكة وكان يتجه نحو الشرق، فينضم إليه عدة فروع ، ثم يصب في بحر عمان ما بين مدينتي أور ، أو أدريد والسومرتيين .

ثالثها : نهر الدواسر وهو أكبر أنهار الجزيرة العربية ، وكان يقع منبعه شرقي بلاد اليمن ويسير نحو الشمال مخترقاً سهل الربع الخالي إلى أن يلتحق بوادي الرمة بالقرب من شواطىء خليج البصرة .

التقهقر الطبيعي وأثره في السكان :

يقول العلامة الإيطالي المستشرق (كايتاني) في تاريخه[1] عن الإسلام ما نصه :

---

١ – مقتطف يوليو ١٩٤٤

« لقد أخذت جزيرة العرب تتقهقر وتفقد رطوبتها واعتـدال جوها وأسباب العيش فيها منذ أكثر من أربعة عشر ألف سنة ، إذ أن هذا التقهقر كان بطيئاً جداً فإن تأثيره في حياة السكان لم يكن فجائياً ، بل كان مطرداً تبعـاً للقلة في الأمطار وارتفاع حرارة الجو ، على أن ازدحام السكان لم يكن هنالك كما هي الحال في البلاد المزدحمة الاهلة وكان النـاس يعيشون من صيد الأسماك ويسكنون متفرقين متباعدين .

ولذلك يمكن أن يقال إن سكان الجزيرة ظلوا على حياتهم هذه الى أن أخذوا يشعرون بقلة الزاد والمحصول بسبب ندرة الأمطار ، فانصرفوا الى تدجين الحيوانات البرية ليدفعوا عن أنفسهم غائلة الجوع ، ولما اشتدت بهم الحالة ونفد صبرهم من الفاقة والجوع والعطش ، ارتحلوا الى بلاد أخصب تربة وأجود جواً وأكثر أمطاراً .

وهكذا بدأت أولى هجراتهم التي حدثت غير مرة ، فإن الآثار التي استخرجت من جوف الأرض ما بين النهرين الفرات ودجلة تبرهن على أن أولى الهجرات السامية قد بدأت قبل نحو خمسة آلاف من السنين من ميلاد المسيح، على أن هذه الاكتشافات يجب أن لا تنفي فكرة وقوع هجرات سامية أخرى قبل هذا التاريخ » .

٣ - العرب والأمم السَّاميَّة

من هم الساميون ؟ - مهد الساميين - اللغة السامية - هجرة الساميين - ترتيب هجرات الساميين - أقدم الأمم السامية تمدناً - أصل تسمية عرب - وصف العربي الأصيل .

من هم الساميون ؟

اصطلح المؤرخون في هذا العصر أن يسموا الشعوب التي تتفاهم بالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية والتي كانت تتفاهم بالفينيقية والآشورية والآرامية « شعوباً سامية » نسبة الى سام بن نوح عليه السلام ، لأن هذه الأمم جاء في التوراة أنها من نسله وسموا لغاتهم اللغات السامية .

مهد الساميين :

مسألة مهد الساميين من المسائل التي لا تزال غامضة ، والتي يجب تركها حتى تتسع معارفنا بما يكشف من الآثار العربية والآشورية والبابلية وغيرها ، وقد اختلفوا في موطنهم الأصلي ، فأقوال التوراة تنص على أن مهد الإنسان ما بين النهرين ومنه تفرق في الأرض فاشتق من الساميين الآشوريون والبابليون في العراق، والآراميون في الشام، والفينيقيون على شواطىء سوريا، والعبرانيون في فلسطين ، والعرب في جزيرة العرب ، والأثيوبيون في الحبشة .

وذهبت طائفة الى أن مهد الساميين جزيرة العرب ومنها تفرقوا في الأرض كما تفرقوا في صدر الإسلام ، ولهم على ذلك أدلة وجيهة بعضها لغوي والبعض الآخر اجتماعي أو خلقي .

اللغة السامية :

مهما يكن من أمر المهد الأول للساميين فإن الأمم التي تفرقت منه كانت تتكلم عند تفرقها لغة واحدة هي اللغة السامية الأصلية ، ثم تغيرت تلك اللغة بسبب تباعد الأقاليم التي استوطنتها تلك الأمم وتبعاً لنواميس الارتقاء ، وتباعدت ألفاظها وتراكيبها على أنها لا تزال تشترك في خصائص غيرها عن سواها من اللغات الآرية والطورانية نظراً لأنها من أصل واحد ، كما تتشابه الآن فروع اللغة اللاتينية أو فروع السنسكريتية فيقال، مثلاً: إن اللغتين الإيطالية والأسبانية أختان أمهما اللغة اللاتينية ، وإن الفارسية والأوردية أختان أمهما السنسكريتية ، أما أم اللغات السامية فلا وجود لها الآن وقد ظن بعض فلاسفة اللغة أنها العبرانية وزعم غيرهم أنها العربية وغيرهم أنها البابلية .

هجرة الساميين :

إن أقواماً عديدة من الشعوب السامية هاجرت من مواطنها الأصلية في أواسط جزيرة العرب الى الأقطار المجاورة في الجهات الشمالية ، وكانت هذه الهجرات في الغالب تتبع طريقاً يمكن أن يكون واحداً في جميعها في فترات تقصر وتطول في كل حالة منها .

ويعلل العلماء هذه الهجرات بأسباب عديدة ، أهمها : كثرة النسل وضيق أسباب المعيشة والجفاف والقحط والحروب والرغبة في الاستيلاء والفتح والاستقرار في البلاد الغنية المجاورة وامتلاكها ، ويشبهون الجزيرة ببحر يرسل موجات بشرية في فترات وحقب مختلفة ، تنتشر من المركز الى المحيط فتغذي البلاد المجاورة بأقوام جديدة صريحة الدماء، صحيحة الأجسام، صلبة الأعواد، لم تبهض أعباء المدنية كواهلها بمتاعبها ومشاقها .

ولا تزال معرفة أولى الهجرات السامية مفتقرة الى كثير من البحث والتنقيب ، ولكن الذي عرف حتى الان يدل على أن أولى الهجرات السامية

حصلت بانتقال الفلاحين السمريين من أواسط الجزيرة الى الجهات الجنوبية فيما بين النهرين ، ثم توالت بعد ذلك الهجرات المعروفة في التاريخ على الترتيب الاتي:

ترتيب هجرات الساميين :

١ - هجرة العكاديين قوم حمورابي الى العراق سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد .

٢ - هجرة الكلدانيين الى ما بين النهرين بعد هجرة قوم حمورابي .

٣ - هجرة الفينيقيين الى سواحل سوريا سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد .

٤ - هجرة الأقوام الإسماعيلية من الحجاز الى شمال بـــلاد العرب سنة ٦٠٠ ق م .

٥ - هجرة قوم معدّ بن عدنان الى العراق وسوريا وفلسطين حوالي القرن الأول الميلادي .

٦ - هجرة القبائل اليمانية بعد سيل العرم في القرن الثالث الميلادي .

٧ - الهجرات الإسلامية الأولى في صدر الإسلام والقرن الميلادي السابع ، تلك الهجرات التي حملت القبائل العربية من أواسط جزيرتها الى أقصى الشمال والغرب والشرق ، فوصلت طلائعها الى الأناضول وجبال القوقاس شمالاً والمحيط الأطلسي وبلاد أسبانيا وفرنسا غرباً وبخارى وتركستان شرقاً .

أقدم الأمم السامية تمدناً :

يرى بعض المؤرخين أن أقدم الأمم السامية التي تمدنت وخلفت آثاراً هم البابليون . تمدنوا في الألف الثالث قبـــل الميلاد وهو الزمن الذي نزح فيه الفينيقيون من خليج فارس الى سوريا على ما يظن .

لقد كانت العراق أو ما بين النهرين بلاد خصب ورخاء ، نزلها الطورانيون قديماً (من جنس المغول) جاءوها وهم أهل بادية فطاردوا قوماً كانوا فيها من

أهل الرخاء لم يعرف خبرهم، وأنشئوا فيها تمدّناً حسناً واتخذوا فيها آلهة وشرائع، واستنبطوا كتابة صورية تحولت بتوالي الأجيال الى الشكل المسماري المعروف.

ولما تحضروا وغلب عليهم الرخاء جاءهم الساميون من البادية وغلبوهم على ما في أيديهم وأخذوا آلهتهم وشرائع، وزادوا فيها أو حسنوها. وقد كانت دولة حمورابي من أرسخ الدول مدنية وحضارة وهو السادس من ملوك الدولة البابلية وصاحب أقدم كتب التشريع في العالم، عاش في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وكان فاتحاً عظيماً ومصلحاً كبيراً، وقد جمع الشرائع ونظمها وبوّبها فعرفت باسمه، وقد رتبها في مائتين واثنين وثمانين مادة وفي أثناء هذه المدة ظهر إبراهيم الخليل عليه السلام.

أصل تسمية عرب :

كان لفظ عرب في التاريخ القديم يرادف لفظ بادية أو بدو في هذه الايام على ان العرب كانوا يسمون جزيرتهم عربه ولما تحضر بعض قبائل العرب قديماً وأقاموا في مدن اليمن والحجاز وحوران وغيرها لم يعد لفظ العرب محصوراً في البدو فاضطروا إلى كلمات تميز بين الحالين، فاستعملوا لفظ الحضر لأهل المدن والبدو لأهل البادية ولم يبق للفظ العرب من معنى البداوة الان إلا في مثل قولهم أعرابي.

وصف العربي الاصيل :

يمكن وصف العربي الاصيل بأنه ذو وجه بيضاوي منبسط وعينين براقتين سوداوين يعلوهما حاجبان كثيفان وأنف أقنى وجبهة لا عالية ولا منخفضة وهامة مرتفعة وبنية في غاية الكمال وعضلات نشيطة قوية وأطراف معتدلة متناسبة مع تكوين الجسم.

أما من حيث الصفات المعنوية فالعرب مثال الذكاء والحلم والكرم والشجاعة والفروسية وحبّ الحرية وتعشق الاستقلال والحنكة والدهاء وسعة الحيلة. كما أنهم متهورون بالحذر والطمع والشك.

٤ - العرب قبل الإسلام

العرب البائدة

الأدوار التاريخية الكبرى – العرب البائدة – العمالقة – طسم – جديس – عاد الأولى – عاد الثانية – ثمود – مدين – جرهم .

الادوار التاريخية الكبرى :

قسم المؤرخون تاريخ العرب قبل الإسلام إلى ثلاثة أقسام ، باعتبار الأدوار التاريخية الكبرى التي تناوب العرب فيها السيادة على الجزيرة العربية .

فقد كانت السيادة في الدور التاريخي الأول لقبائل القسم الشمالي من جزيرة العرب وأكثرهم من العرب البائدة ، وفي الدور الثاني المتوسط كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم من القحطانيين ، أما الدور الثالث والأخير فقد عادت السيادة فيه إلى عرب الشمال وأكثرهم من العدنانيين ، وينتهي هذا الدور بظهور الإسلام .

وفي هذا التقسيم يدخل كل ما عرف من تاريخ العرب من اقدم ازمانهم إلى أن أشرقت الجزيرة العربية بنور الهداية المحمدية .

العرب البائدة :

يذكر المؤرخون هذا القسم من تاريخ العرب القدماء، الذي يعرفون أصحابه بالعرب البائدة ، يقصدون بذلك العرب التي لم يكن في الجزيرة إلا أخبارها

حينما جاء الإسلام ، ولم يبق لهم عقب معروف ، ويسميهم المؤرخون العرب العاربة ، ويذكرون منهم : — عاد ، ثمود ، العمالقة ، طسم ، جديس ، أميم ، جرهم ، مدين ، ومن ينتمي إليهم في أمم أخرى .

وبعض هؤلاء ، عرف التاريخ أخبارهم ودلت عليهم آثارهم وكلهم من أبناء أرم بن سام ، إلا العمالقة ، فيما يقول المؤرخون ، فإنهم من نسل لاوذ بن سام أخ أرم بن سام ، وكان لبعض هذه الأمم ملوك ودول في جزيرة العرب امتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر . وأعظم الأمم البائدة شأناً عاد وثمود ومدين وجرهم .

العمالقة :

يريد المؤرخون بالعمالقة قدماء العرب وخصوصاً أهل شمالي الحجاز مما يلي جزيرة سينا الذين فتحوا مصر باسم (الشاسو) البدو أو الرعاة ، ويسميهم اليونان (هيكسوس) .

وكان للعمالقة دولتان كبيرتان إحداهما في العراق والأخرى في مصر ، ويؤخذ من الاكتشافات الأثرية الأخيرة أن العصر الحديدي لمصر يبدأ بدخول الساميين إليها ، أي إن المصريين قبل دخول الساميين لم يكونوا يعرفون الآلات الحديدية ، فأتاهم الساميون بالحدادة في أقدم أزمنة التاريخ المصري ويقال بأن دولة الشاسو في مصر من سنة ٢٢١٤ إلى ١٧٠٣ قبل الميلاد .

طسم وجديس :

المعلومات التي ذكرت في التاريخ عنها لا تستحق الذكر لغموضها وتناقضها والاكتشافات الأثرية لم تصل إليها بعد ، والأخبار التي عرفت عنها مأخوذة من كلام العرب واليونان .

أما مقر هاتين الأمتين فاليمامة شرقي نجد وقصتها تدعى القرية وكان السلطان لطسم فعسف ملوكها بجديس فثارت عليها وأوقعت بها ، فاستصرخ بقيتها حسان ابن تبع اليماني فسار الى اليمامة وأهلك جديساً .

هذه خلاصة تاريخ هاتين الأمتين ويتخلل ذلك حـــديث عن امرأة من جديس اسمها زرقاء اليمامة ، كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام وأنها لما حمل تبع على جديس طلبوا إليها أن تكشف لهم عن القوم فأنبأتهم بقدومهم فلم يصدقوها ثم تحققوا صدقها .

أما عصر هذه الدولة فيؤخذ من فنائها على يدي تبع بن حسان بن أسعد أنها بادت في أوائل القرن الخامس للميلاد ، ولهاتين الأمتين آثار قلاع أشار إليها بعض المؤرخين مثل المشقر والمعنق والحجر .

عاد الأولى :

لا يعرف بالضبط الزمن الذي قامت فيه حكومة عاد . إلا أن المؤرخين يرجحون أن بدء ظهورهم كان قبل الميلاد المسيحي بزمن طويل جداً ويعسر تحقيق الأحداث التي كانت في أيام حكومتهم ، وربما كشفت عنها الأيام بما يعثر عليه الباحثون من الاثار ، أما منازلهم فهي الأحقاف الواقعة بين حضرموت والبحرين واليمن في رأي بعض المؤرخين .

وقد جاء ذكر عاد في القرآن الكريم في سياق العبرة في مواضع عديـــدة ، فأشار إلى أنهم كانوا يعبدون الأوثان ، فأرسل الله إليهم النبي هوداً عليه السلام ليهديهم إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام،وهذه صورة من حديث هود وردت في سورة الأعراف : ـ

« وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غـيره أفلا تتقون ، قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين . أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح وزادكم في الخلق بسطة

فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين » فلما كفروا برسالة النبي هود وعمهوا في طغيانهم أصابهم قحط شديد وجفاف دام ثلاث سنوات. فرحل على أثره قسم منهم الى البيت الحرام للاستسقاء ، وفي مدة غيابهم أصاب بلادهم وأهلهم ما أشار إليه الكتاب العزيز في سورة الأحقاف :

« فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين » .

ويذكر المؤرخون ، أن الريح كانت تدخل تحت الرجل ، فتقذف به وتقلع الشجر ، وترفع البيوت ، وأن الخلجان ملكهم هلك في الريح فيمن هلك ، ولم ينج من هذا العذاب سوى هود عليه السلام ومن آمن به ، ولما عاد الوفد من مكة كانت الريح قد فعلت فعلها في قومهم .

وقد سار النبي هود عليه السلام بعد هلاك قومه في دعوته التوحيدية إلى أن أدركته الوفاة ، ودفن في حضرموت ، ولكن التاريخ لم يعين موضع هذا القبر ، والقبر المعروف اليوم شرقي الوادي الرئيسي بحضرموت ، مثار للشك لأسباب متعددة فضلاً عن انه لم تقم أدلة تاريخية تحدد موضع القبر الشريف .

عاد الثانية :

كان رئيس الوفد الذي عاد من مكة ، أحد كبراء عاد الأولى ، ويدعى لقمان ، وقد آمن بهود عليه السلام ، وملك عاداً الثانية التي تتألف من نسل الذين اتبعوا هوداً وآمنوا برسالته ، ومن الذين كانوا في وفد عاد الأولى إلى مكة .

ويذكر التاريخ أن الملك اتصل لعاد الثانية ألف سنة أو يزيد، إلى ان جرت خلافات بين عاد وقبيلة ثمود المجاورة لها أدت إلى نشوب الحرب بين الفريقين ، وكان الظفر لثمود حيث قتل عدد كبير من عاد ، وتفرق الاخرون فلا يعلم ما كان من أمرهم بعد .

ثمود :

« وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ، اتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب » .

بهذه الايات الكريمة أشار القرآن الى كفر ثمود بالله وإشراكهم به وأشار إلى طغيانهم وعدم شكرهم لنعم الله بقوله فيما يرويه عن نبي الله صالح :

« أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم ، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين ، فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون » .

ولكن ثموداً ظلت على طغيانها وشركها ، فحل بها ما قصه الكتاب العزيز :

« وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ، واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوءكم في الارض تتخذون من سهولها قصوراً ، وتنحتون الجبال بيوتاً ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ، قال الملأ الذين استكبروا من قومه ، للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحاً مرسل من ربه ، قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ، فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين

فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » .

في هذه الايات يلخص القرآن الكريم قصة ثمود ، وهي كل ما يستطيع المؤرخ ان يعتمد عليه في هذا الشأن . ويذكر ابن خلدون أن صالحاً عليه السلام ظل ينذر قومه عشرين سنة. فلما أيس من اصلاحهم ونفذ فيهم امر الله ، ارتحل في رهط ممن آمن به الى فلسطين حيث أدركته المنية هناك ، ودفن في موضع بقرب الرملة يحمل اسمه الى الان .

وقد كانت منازل ثمود في الجهات الجنوبية بين عسير واليمن وحضرموت ثم انتقلت بدواع غير معلومة بعد حروبها مع عاد من بلادها الاصلية في الجنوب الى شمالي الحجاز في وادي القرى ، وأنشأت في العلا ومدائن صالح والحجر منشآت بقيت لنا آثارها حتى الان .

مدين :

تقع ديار مدين الى الشرق والجنوب الشرقي من مدينة العقبة اعتباراً من حد وادي عرابة الى منطقة جبال الجسمة في الشرق ، والى الجنوب حتى بلدة ضبا ، ويطلق اسم مدين على القبيلة التي أرسل الله إليها النبي شعيبا ، كما جاء في قوله تعالى : « وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط » .

ومدين هذه هي البلاد التي فر اليها موسى عليه السلام من مصر بعد قتله المصري ، وأقام عند النبي شعيب وتزوج من ابنته .

ويشير القرآن الكريم الى أن شعيبا عليه السلام دعا قومه الى ترك الأوثان وعبادة الله وحده ، وألا ينقصوا المكيال والميزان ، غير أن قومه سخروا منه ولم يتبعه إلا نفر قليل منهم : « قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك

يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا . قال : أو لو كنا كارهين ، قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها ، إلا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علماً ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . وقال الملأ : الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذاً لخاسرون ، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين » .

وجاء في سورة هود : « ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين ، كما بعدت ثمود » .

ويذكر المؤرخون أن قبيلة مدين هذه يرجع نسبها الى مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام الذي تزوج بابنة لوط عليه السلام ، وقد ورد ذكر مدين في التوراة في أماكن عديدة ، وأنهم من نسل مدين بن إبراهيم .

جرهم :

قسم المؤرخون قبيلة جرهم الى قسمين : جرهم الأولى التي كانت تسكن اليمن في عهد عاد ، ويدرجونهم في قسم العرب البائدة ، ولم يبق من تاريخ هذه الطائفة ما يصح الاعتماد عليه ، غير أن البيهقي يذكر أن يعرب بن قحطان لما غلب عاداً على اليمن وملكه من أيديهم ولّى إخوته على الأقاليم ، فولّى جرهما أخاه على الحجاز .

أما جرهم الثانية ، فيعتبر قدومهم الى الحجاز بداية تاريخهم ، وقد اختلفت الروايات في تحديد الزمن الذي نزلت فيه الحجاز ، والأقرب الى الصواب أن ذلك كان قبل قدوم إبراهيم بولده إسماعيل ، وأنهم كانوا في الأودية التي بأطراف مكة الى أن حفرت زمزم ، فانتقلوا الى المكان الذي فيه مكة .

أما السبب في قدوم جرهم الى الحجاز ، فيعزوه بعضهم الى تنافسهم مع أبناء عمومتهم من قحطان على الزعامة وطلب الرزق ، الأمر الذي أدى الى هجرتهم الى الحجاز ، ويعزوه بعضهم الى بقاء سلالة جرهم في الحجاز حينما أرسل يعرب ابن قحطان أخاه جرهما الى الحجاز لانتزاع السلطة من أيدي العماليق .

ولما شب إسماعيل بن إبراهيم في مكة ووجد نفسه بين الجراهم تزوج من ابنة كبيرهم مضاض بن عمرو ورزق منها اثنا عشر ولداً ، وكان إسماعيل يلي أمر مكة الى أن توفي ، فوليها اثنان من أبنائه نابت ثم قيداد ، وانتقل الأمر بعدهما الى جرهم وظلوا على حكم مكة الى زمن عدنان حيث ضعف أمرهم إذ ذاك .

وفي أوائل القرن الميلادي الثالث تساعدت بطون كنانة العدنانيون وخزاعة القحطانيون على إخراجهم من مكة حين نقموا عليهم ظلمهم للحاج وأكلهم أموال الكعبة ، وعند خروجهم أخذ عمرو بن الحارث الجرهمي غزالين من الذهب كانا في الكعبة وحجر الركن فدفنهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه الى اليمن حيث حزنوا على ما فارقوا من سلطانهم في مكة ، ويقدر المؤرخون مدة إقامتهم في مكة بواحد وعشرين قرناً .



٥ - اليمن قبل الإسلام

حدود اليمن - عرب اليمن - نظام الحكم في اليمن - الأذواء والأقيال - المحافد والمخاليف - أشهر المدائن اليمنية في التاريخ - الدول اليمنية الكبرى .

حدود اليمن :

المؤرخون من العرب عندما يذكرون اليمن يقصدون الجزء الجنوبي الغربي من جزيره العرب فقط ، أما المؤرخون من قدماء اليونان عندما يذكرون اليمن أو العربية السعيدة ، فيعنون بها البلاد الواقعة بين خليج العرب من الشرق وبحر العرب من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب وبادية الشام والعراق من الشمال فيدخلون في بلاد اليمن معظم الجزيرة العربية .

عرب اليمن :

ينتسب عرب اليمن إلى يعرب بن قحطان ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم اقتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة وهي البائدة وقد تشعبت قبائل قحطان وتعددت عشائرهم حتى زاحموا من كان هناك من العمالقة فأبادوهم وأنشأوا الدولة القحطانية على أنقاضها .

وأشهر أولاد قحطان هويعرب الذي اتسع ملكه وامتد نفوذه في أنحاء الجزيرة العربية وقد ملك بعد ابنه يشجب بن يعرب وبعده ابنه عبد شمس وهو سبأ وقد خلف سبأ هذا عدة أولاد أشهرهم حمير وكهلان وأشهر بطون حمير : قضاعة وعلى فروع قضاعة بلي وجهينة وكلب وبهراء وبنونهد وجرم . وأشهر

بطون كهلان : الأزد وطي ومذحج وهمدان وكندة ومراد وأنمار وجذام ولخم .

نظام الحكم في اليمن :

لم يكن للسلطات القديمة التي تولت الحكم في اليمن نظام متبع ، وإنما كان لكل رئيس سلطة محصورة على مخلاف لا يتجاوزه ، فإن اضطرته الأحوال الى الغزو أو الإغارة خارج مخلافه عاد الى مقر سلطته دون أن يذعن له أحد أو يؤدي له خراجاً ممن هم خارج دائرة نفوذه المحصورة ويدعى هؤلاء الرؤساء بالأذواء أو الأقيال .

على أنه قد ينبغ بين الأذواء والأقيال رجل ذو مطامع ، أهل للسيادة العامة فيمد سلطته على مجاوريه ويضم أملاكهم إليه ويسمى نفسه ملكا وينظم من هذه الممتلكات مملكة يجعل محفده قصبتها .

وقد يتوالى الحكم في عقبه أو ذويه حيث تتكون منهم دولة يطول بقاؤها أو يقصر ، ويتسع نفوذها أو ينحصر حسب الأحوال والظروف الداعية لذلك . .

وكان هؤلاء الرؤساء يشتغلون بالتجارة لتوسط بلادهم بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق ، أو قل كانت التجارة أبرز أعمالهم في هذا العصر كما كان أكثرية الشعب مشتغلا بها .

الأذواء والأقيال :

كان الرؤساء في اليمن يسكنون المحافد جمع محفد وهو عبارة عن عدة قصور مجتمعة يقيم في أحدها شيخ أو وجيه أو أمير تحف به الحاشية والأعوان والخدم. ويعرف صاحب المحفد بلفظ ذو مضافاً إلى اسم المحفد ، فيقال ذو غمدان أي صاحب غمدان وذو معين أي صاحب معين وتعرف هذه الطبقة بالأذواء .

أما القيل فهو أمير يتولى تدبير شؤون عدة محافد بمعنى أن سلطة القيل وموضع اختصاصه أوسع وأشمل من سلطة الأذواء ويجمع القيل على أقيال .

ويسمى مجموع المحافد بما يلحقها من القرى والمزارع مخلاف يحكمه قيـل أو ملك صغير ، وينسب المخلاف إلى أكبر محافده أو إلى المحفد الذي يقيم فيـه القيل أو الملك . وقد يتحول القصر إلى مدينة بعد ظهور الدولة وقد يبدل اسمه كما تحول قصر ريدان الى ظفار ، وسلحين إلى مأرب .

المحافد والمخاليف :

أشهر المحافد أو القصور التي وصلت الينا أسماؤها :

غمدان ، تلفم ، ناعط ، صرواح ، سلحين ، ظفار ، شبام ، بينون ، ريام ، براقش ، دوثان ، أرباب ، عمران . وبعض هـذه القصور بقي الى ما بعد الإسلام حيث ذكره العرب ووصفوه .

أما المخاليف ، فقد ذكر العرب منها ثمانية وأربعين مخلافاً أشهرها :

مخاليف شبوة ومأرب والمعافر والسحول وذي رعين وجيشان ورداع وذمار وألهان وحراز وهوزن وحضور وأقيان وقولان . وكان معظم هـذه المخاليف في أواسط اليمن وشرقيها ، فيما يعرف اليوم باليمن والجوف وحضرموت .

أشهر المدائن اليمنية في التاريخ :

أشهر المدن اليمنية التي عاصرت ملوك معين وسبأ وحمير هي :

مأرب أو سبأ ، معين ، صرواح ، نجران ، صنعاء ، شبوة ، شبام ، تريم ، ظفار ، ريدان ، يثيل ، السوداء ، البيضاء ، حيران ، وميفع وغيرها .

الدولة اليمنية الكبرى :

أشهر الحكومات اليمنية في التاريخ قبل الإسلام ثلاث وهي :

١ – دولة معين التي يقدر بعض العلماء بدايتها حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد وعاصمتها القديمة (معين) ، أما عاصمتها الحديثة فتسمى (قرنا) .

٢ – دولة سبأ ويبتدىء تاريخ تكوينها في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد كما يرجح بعض المؤرخين وينتهي الى سنة مائة وخمس عشرة (١١٥) قبل الميلاد حيث يبتدىء العصر الحميري وعاصمتهم (مأرب) .

٣ – دولة حمير وتبتدىء بانهيار دولة السبئيين في السنة الخامسة عشر بعد المائة قبل الميلاد وعاصمتهم تدعى (ريدان) ظفار .

وقد تحدث التاريخ أيضاً عن قيام مملكة رابعة هي قتبان وعاصمتها (تمنا) وتقع في المنطقة التي تقع فيها الآن بيجـــان ، وسنتحدث عنها عند الكلام على بيجان بين المقاطعات الجنوبية .



٦ـ دولة معين

معين – أصلهم – تحضرهم في بابل – عودتهم إلى اليمن – ملكهم – حضارتهم – لغتهم – زمن حكمهم – ملوكهم – عاصمتهم – اتساع سلطانهم – انهيار دولتهم .

معين – أصلهم :

يدل ما عرف من احوال معين الاجتماعية والسياسية والدينية ، ومن اسماء رجالهم وآلهتهم أن أصلهم من عمالقة العراق بدو الاراميين الذين كانوا في اعالي جزيرة العرب قبل ظهور دولة حمورابي بعدة قرون .

وقد اشتهر بين مؤرخي العرب ان دول اليمن بعد القبائل البادية تنتسب الى قحطان . فإذا كان ذلك صحيحاً في السبئيين والحميريين ، فإنه لا يصح على المعينيين لأنهم أقدم كثيراً من بني قحطان . على ان بعض المؤرخين يرى ان نسب معين يرجع الى قحطان ايضاً .

تحضرهم في بابل – وعودتهم الى اليمن :

لما ظهرت دولة حمورابي في بابل ، واقتبست ديانة السومريين وشرائعهم ونظاماتهم وسائر أحوال اجتماعاتهم ،كان المعينيون في جملة القبائل التي نالت حظاً من ذلك كله بفضل الاحتكاك والتقليد واستمرأت حياة الحضارة التي لا يمكن أن تقارن بحال من الأحوال بالحياة البدوية .

فلما ذهبت دولة العرب من العراق ، نزح المعينيون في جملة القبائل التي

نزحت وقد تعودت الحضارة ، فلم تستطع ان تعود إلى حياتها البدوية الأولى ، فالتمست مقراً تقيم فيه ، فنزلت اليمن وتوطنت الجوف .

ملكهم – حضارتهم :

لقد كان التمدن الذي اقتبسه المعينيون من البابليين مساعداً لهم في التغلب على القبائل التي كانت تتولى السلطة في اليمن قبلهم فامتدت سيادتهم على معظم الجزيرة العربية قبل قيام دولة سبأ بأجيال .

ولم تكد تستقر الأمور للمعينيين في اليمن حتى بدءوا بنقل ما عرفوه من حضارة بابل إلى بلادهم ، فشادوا القصور والمحافد وافتنوا في وسائل الترف ، وتعاطى رجالها التجارة نظراً للأحوال التي تقتضيها طبيعة البلاد .

وقد اضطرتهم الحضارة إلى الكتابة لتدوين المخابرات السياسية والحسابات التجارية ، فاقتبسوا الأبجدية الفينيقية لسهولة استعمالها وقرب تناولها بالنسبة إلى الحرف المسماري ، فدونوا بها لغتهم .

لغتهم :

كانت لغة المعينيين في الأصل لغة عامية بالنسبة إلى لغة بابل المدونة ، ثم تكيفت بالحضارة التي احتكت بها في العراق ، وبمخالطة السومريين والأكاديين وغيرهم من سكان ما بين النهرين الأصليين ، واقتبسوا لكتابتها الأبجدية الفينيقية كما تقدم .

على أن هذه الأبجدية قد تنوعت بتوالي الأجيال حتى صارت إلى الحرف المسند المشهور وأخذه عنهم السبئيون والأحباش .

زمن حكمهم :

لا يعرف بالضبط الزمن الذي عاشت فيه هذه الدولة من بدايتها إلى نهايتها ،

ولكن العلماء قدروا عمر الآثار التي عثروا عليها في أطلال هذه الدولة ، فذهب جماعة إلى أنها عاشت في الألف الثاني قبل الميلاد ويحدده بعضهم بالقرن الرابع عشر (ق . م) وقد بقيت إلى القرن الثامن قبل الميلاد .

ملوكهم ـ عاصمتهم :

وفق الباحثون في أنقاض معين وغيرها من أطلال المعينيين إلى العثور على كثير من أسماء الملوك والمعبودات المعينية التي تؤيد أصلها البابلي .

وقد بلغ عدد الملوك الذين عثروا على اسمائهم في أنقاض الجوف بمعين وغيرها ستة وعشرين ملكا يشترك كل بضعة منهم باسم واحد ويتميزون عن بعضهم بالألقاب وكانت الحكومة فيهم وراثية تنتقل من الأب إلى الابن .

ويرى بعض العلماء أن عاصمتهم القديمة (معين) أما (قرنا) فهي العاصمة الحديثة وقد وفق المستشرق (هاليفي) إلى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي في شرق صنعاء واكتشف أنقاض معين ، وقرأ اسمها عليها بالمسند ويجانبها براقش إحدى مدن اليمن التاريخية المشهورة .

اتساع سلطانهم :

لم يرد ذكر معين في الكتب العربية ولكن ذكرها بعض مؤرخي اليونان والرومان ودلت الآثار التي كشفت في اليمن على طرف من تاريخها .

والمعروف من تاريخهم حتى الان يدل أن سلطانهم امتد على الجزيرة العربية بأجمعها إلى الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط .

كما يدل على أن دولتهم لم تكن دولة حرب وفتح ، بل كانت دولة تجارة مثل دولة الفينيقيين على شواطىء سوريا ، وكانت طرقها التجارية ممتدة في أواسط جزيرة العرب ، وكانت تصدر الطيب والمر إلى الافاق وتتلقي تجارة

الهند وما جاورها ، فترسلها إلى الشام ومصر وما يليهما وقد وقفوا على بعض من النقوش المعينية في العلا قرب وادي القرى وفي الصفا وحوران وغيرها مما يدل على انتشار سيادتها ومستعمراتها في أعالي الحجاز .

انهيار دولتهم :

ظهرت سبأ في بلاد اليمن وقويت شوكتهم حوالي القرن الثامن قبل الميلاد حيث نازعت المعينيين السلطان وقضت عليهم . ويؤخذ من بعض النقوش الأثرية أن تغلب السبئيين عليهم كان في الزمن الذي يلقب فيه ملوك السبئين بلقب (مكرب) .

ويظهر أن السبئيين إنما غلبوهم على السلطة فقط ، فقد جاء ذكر المعينيين في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد والسبئيون يومئذ في إبان دولتهم .



٧ ـ مملكة سبأ

السبئيون ، بداية دولتهم — ملوكهم ، مدة حكمهم ـ قصبة ملكهم ـ حضارتهم — سد مأرب — موقع السد — بناء السد — مؤسسه — تقلص دولتهم .

السبئيون — بداية دولتهم :

السبئيون هم أولاد عبد شمس الملقب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فإلى سبأ هذا تنتسب القبائل السبئية جميعها التي عرفت في التاريخ .

وليس من المستطاع تحقيق بداية هذه الدولة بالضبط ، ولكن بعض المؤرخين استدل من وجود ذكر ملكة سبأ في أيام سليمان النبي عليه السلام . اي في القرن التاسع قبل الميلاد ، أن بداية هذه الدولة أقدم من ذلك فاحتمل أنها بدأت في اوائل هذا القرن ، وربما كشفت الآثار في المستقبل عن تحقيق الزمن الذي بدأت فيه هذه المملكة .

ملوكهم — مدة حكمهم :

بلغ عـــدد الذين عرفوا من ملوك السبئيين ووصلت إلينا أسماؤهم سبعة وعشرين كما تدل على ذلك الآثار ، منهم خمسة عشر مكرباً واثنا عشر ملكاً ، لأن ملكهم كان يسمى في الطور الأول مكرب سبأ ، ثم سمي في الطور الثاني بملك سبأ ، ولما انتقلت عاصمة السبئيين إلى ريدان سمي ملك سبأ وريدان وهو بداية العصر الحميري الذي هو فرع من دولة سبأ ، وهناك طور رابع لقب فيه الملك بملك سبأ وريدان وحضرموت وهو عصر التبابعة الحميريين .

أما مدة حكمهم ، فإذا اعتبرنا بداية دولتهم في اوائل القرن التاسع قبل الميلاد ، فتقدر بأكثر من سبعمائة سنة لأن الاثار تدل على أنهم حكموا الى سنة مائة وخمسة عشر (١١٥) قبل الميلاد حين انتقلت العاصمة الى ريدان .

قصبة ملكهم :

قضى السبئيون زمناً طويلاً فيما يظهروهم من قبيل الأذواء أصحاب القصور والمحافد ، كما كان المعينيّون في اوائل دولتهم ، حتى إذا نبغ فيهم صاحب قصر صرواح شرقي صنعـــاء ، وكان قوياً طامحاً فاستولى على جيرانه ، فلما اشتد ساعده أو ساعد خلفائه ذهبوا بدولة المعينيين فأصبحت صرواح قصبة ملكهم وهي عاصمتهم الأولى أما عاصمتهم الثانية فهي (مأرب) التي انتقلوا اليها عندما اتسعت دولتهم ، وكان رئيسهم قبل انشاء الدولة يسمى ذو صرواح[1] .

حضارتهم :

أقام السبئيون حيناً من الدهر بجوار المعينيين واختلطوا بهم وبغيرهم من سكان الجزيرة، واقتبسوا لغتهم ودياناتهم وعاداتهم، فكان من الطبيعي ان يترك هذا الاحتكاك والتقليد اثره في حياتهم بعد قيام حكومتهم .

وقد ثبت في التاريـــخ انهم انشئوا في اليمن دولة كبرى على انقاض دولة المعينيين وأنهم خلفوهم في نقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق حتى أصبح السبئيون في القرون الاولى قبل الميلاد من أكبر وسائل الاتصال بين تلك الأمم فكانت السلع والأطياب تأتي من الهند والحبشة الى شواطىء جزيرة العرب فينقلها السبئيون على قوافلهم الى مصر والشام والعراق .

---

١ ـ (مأرب) هي أشهر مدائن اليمن وتسمى أيضاً سبأ ويؤخذ مما وقفوا عليه من أنقاضها أنها كانت مستديرة الشكل قطرها نحو كيلومتر . يحدق بهـــا سور له بابان أحدهما شرقي والآخر غربي وبجانب الباب الغربي كتابة تشير إلى اسم الملك السبئي الذى بناها وفي وسطها آثار هيكل يسميه أهل تلك الناحية هيكل سليمان .

وقد اتسعت ثروتهم بواسطة التجارة ، وزهت بلادهم ، وامتدت سيادتهم إلى أطراف الجزيرة شمالاً وشرقاً ، واحتفروا الـــترع وبنوا السدود وحولوا الرمال الى تربة خصبة ، وبنوا القصور والمحافد والهياكل وتفننوا في تزيينها وزخرفتها ، وأشادوا حولها الاسوار واغترسوا الحدائق حتى صارت بلادهم جنة آهلة عامرة .

ومع هذا فقد كانت دولة السبئيين دولة قوافل وتجارة فقط ، ولم تكن كالأشوريين والمصريين معاصريها إذ لا تجـد للحرب والفتح أثراً يذكر في تاريخها إلا قليلا .

سد مارب :

من الأدلة البارزة على حضارة السبئيين والتي لا تزال آثارها قائمة حتى الآن سد مأرب الذي بناه السبئيون لحفظ المياه التي تجتمع من السيول وتوزيعها على قدر الحاجة ، وقد دفعهم إلى هذا التدبير عدم وجود أنهار في اليمن بالمعنى الجغرافي المعروف ، حيث كان الناس يعتمدون في سقي أراضيهم على الأمطار . فإذا انقضى فصل المطر ظمىء الناس وجفت مزارعهم وأغراسهم وقلما ينتفعون حتى في أيام الأمطار من استثمار البقاع العالية على منحدرات الجبال ، وربمـــا فاض السيل فسطا على المـدن والقرى ، فاضطروا عند ذلك إلى اختزان المـاء ورفعه حتى ينتفعوا به في سقي الأراضي المرتفعة والمنخفضة على السواء ، وقد بنوا لهذا الغرض سدوداً كثيرة بلغت إلى الثمانين فيما يروي بعض المؤرخين ، ولكن أشهرها وأهمها وأبقاها على الزمن السد العظيم المعروف (بسد مأرب) لقربه من مدينة مأرب عاصمة السبئيين .

موقع السد :

اختار السبئيون المضيق بين جبلي بلق وبنوا ، في عرضه السد المعروف بسد مأرب ، وهو يقع على بعد (٣) ساعات من مدينة مأرب ، وتقع المدينة

(مأرب) في الشمال الشرقي ، وبين المضيق والمدينة متسع من الأرض يبلغ نحو ثلثمائة ميل مربع كانت جرداء قاحلة ، فأصبحت بعد بناء السد رياضاً وبساتين على سفحي الجبلين وهي المعبر عنها بالجنتين الجنة اليمنى والجنة اليسرى .

بناء السد :

هو عبارة عن حائط ضخم أقاموه في عرض الوادي على نحو (١٥٠) ذراعاً أو خطوة نحو الشمال الشرقي من المضيق وسموه العرم وهو سد أصم طوله من الشرق إلى الغرب نحو (٨٠٠) ذراع وعلوه بضعة عشر ذراعاً وعرضه (١٥٠) ذراعاً لا يزال نحو ثلثه الغربي أو الأيمن باقياً الى الان ، أما الثلثان الآخران منهما فهما اللذان تفجرا وفاض الماء منها وعجزت الدولة عن ترميمهما وجرفت السيول أنقاضهما[1] .

مؤسسه[2] :

عثر النقابون في أنقاض سد مأرب على نقوش كتابية بالحرف المسند استدلوا منها على بانيه ، أهمها نقشان أحدهما على الصدف الأيمن الملاصق للجنة اليمنى تفسيره (أن يثعمر بيين بن سمهعلي ينوف مكرب سبأ خرق جبل بلق وبنى مصرف رحب لتسهيل الري) والاخر على الصدف الاخر تفسيره (أن سمهعلي ينوف بن ذمر على مكرب سبأ اخترق بلق وبنى رحب لتسهيل الري) وسمهعلي هذا هو والد يثعمر المذكور وكل منهما بنى صدفاً أو حائطاً وكلاهما من أهل القرن الثاني قبل الميلاد فهما مؤسسانه . ولم يتمكنا من إتمامه فأتمه خلفاؤهما . وبنى كل منهم جزءاً نقش اسمه عليه ، وهناك نقوش أخرى تدل على أن هذا

١ - تاريخ العرب قبل الاسلام - جرجي زيدان .
٢ - نفس المصدر .

السد لم يستأثر ببنائه ملك واحـــد كما هي العادة في تشييد الأبنية الكبيرة بكل زمان .

تقلص دولتهم :

ما زال السبئيون في عزتهم وثروتهم حتى أخذت طرق التجارة تتحول من البر إلى البحر فأخذوا في الضعف وكان أصحاب ريدان وهي أقرب إلى البحر جنوباً قد اشتد ساعدهم وهم من حمـير فرع من السبئيين ، فغلبوهم على مدينتهم واتحدوا معهم دولة واحدة . كان يقيم ملوكها تارة في مأرب وطوراً في ريدان (ظفار) ثم اقتصروا على الإقامة في ريدان وبهذا الدور يبتدىء العصر الحميري الذي هو في الواقع فرع من دولة سبأ .



٨ - العصر الحميري

أصلهم – نشوء دولتهم – أطوار الحكم الحميري – ملوكهم – فتوحاتهم – مدنيتهم – تجارتهم – انهيار دولتهم .

أصلهم - نشوء دولتهم :

الحميريون هم أولاد حمير بن عبد شمس الملقب سبأ ، وقد كانوا خاملين أيام حكم السبئيين ليس لهم شأن يذكر حيث كان السبئيون منفردين بالسلطان ، وقد أقاموا مدة من الزمن في ريدان وهم أذواء أو أقيال يتمتعون بنفوذ محصور ، وكانوا في ضمن إمارات أخرى يمنية ينـــاوئون السبئيين ويحاربونهم من حين لاخر ، وقد استطاعت سبأ أن تقضي على بعض هذه الإمارات ، ولكن حمير ثبتت وصمدت لها حتى سنحت لهم فرصة تغلبوا بها على إخوانهم السبئيين ، وجعلوا ريدان عاصمة المملكة ، وكان ذلك في سنة مائة وخمس عشرة (١١٥) قبل الميلاد ، وبهذا التاريخ يبدأ العصر الحميري .

اطوار الحكم الحمـــيري :

تنقسم المدة التي حكم فيها الحميريون الى قسمين ، القسم الأول عبارة عن زمن حكم الطبقة الأولى التي تلقب بملوك سبأ وريدان ، وتبتدىء من سنة مائة وخمس عشرة (١١٥) قبل الميلاد ، وتنتهي بضم حضرموت الى حكومتهم سنة مائتين وخمس وسبعين (٢٧٥) بعد الميلاد .

ويقدر المؤرخون ملوك هذه الطبقة بثلاثين الى أربعين ممن عثر على أسمائهم في الاثار والنقود ، وفيهم كثير من المعاصرين أو الإخوة ، ولا يعرف على وجه التحقيق أول ملوكهم من هذه الطبقة ، إذ لم تدل الاثار على شيء من ذلك .

أما القسم الاخر ، فهو الزمن الذي يلقب فيه ملوكهم بالتبابعة جمع تبع والعرب يشترطون في التبابعة أن تكون حضرموت والشحر في سلطتهم ، وتبتدىء هذه المدة بسنة مائتين وخمس وسبعين ب.م حيث ضمت حضرموت الى ألقاب ملوكهم ، فسمى الملك منهم ملك سبأ وريدان وحضرموت ، وتنتهي بانتهاء دولة حمير الثانية أيام ذي نواس الحميري سنة خمسمائة وخمس وعشرين ميلادية ، فكأنها حكمت ستمائة وأربعين سنة .

ملوكهم ـ فتوحاتهم :

يختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في عدد ملوك الحميريين ومدة حكمهم ، حيث يقدرهم البعض بستة وعشرين ملكاً ، في حين يزيد البعض الاخر على هذا العدد ، اما مدة حكمهم فيزعم بعض بأنها اكثر من الفي سنة ، وكل هذه الأقوال لا يستطيع المؤرخ ان يطمئن اليها حتى تؤيد بما يكتشف من الاثار والنصوص التاريخية الصحيحة .

وقد نبغ في هذه الدولة ملوك قواد غزوا الممالك وفتحوا المدائن وحاربوا الفرس والأحباش وغيرهم ، ولهذا فإن دولة حمير تختلف عن دولة سبأ بأنها أقرب الى الدول الفاتحة ، على أن المؤرخين من العرب بالغوا كثيراً في وصف هذه الفتوحات الحميرية ، ولا سبيل الى الاطمئنان الى صحة ما كتبوا ، إلا إذا كشف التنقيب على آثار يمكن الاستناد اليها .

وأشهر ملوكهم شمر يرعش ، وهو التبع الذي ذكروا أنه غزا العراق وفارس وخراسان ، وفتح مدائنها وملك بلاد الروم .

ومنهم أسعد أبو كرب ، ذكروا أنه غزا أذربيجان ولقي الترك وهزمهم وقتل وسبى ، وهابته الملوك ، واليه ينسبون غزوات كثيرة وأعمالاً عظيمة ، وأنه غزا المدينة (يثرب) وكسا الكعبة ، وأنه أول تهود من العرب ، وقد عمر في رواية بعضهم الى مائة وعشرين سنة .

ومنهم بلقيس بنت الهدهاد بقيت في اليمن عشرين سنة ، ثم تزوجت سليمان عليه السلام ، فنقلها الى فلسطين[1] .

ومن اشهرهم حسان بن تبع أسعد الذي غزا اليمامة وأباد جديساً وقصة ذي نواس الحميري معروفة في التاريخ وهو الذي غزا نصارى نجران وشق لهم أخاديد في الأرض أحرقهم فيها وفي سورة البروج إشارة الى هذه الحادثة « قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود » إلى آخر الايات .

مدنيتهـــم :

كان الحميريون أهل تمدن ودولة لا تقــل عن دول معاصريهم في (أشور) و (فينيقية) ومصر وفارس ، فابتنوا المدن وشادوا القصور والهياكل . وتبسطوا في العيش غير أن تمدنهم لم يكن حربياً ، كتمدن الاشوريين والفرس والمصريين بل كان تجاريا في الغالب كتمدن الفينيقيين . فكانوا واسطة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وانقطعوا لاعمالهم وتفرقوا لاستثمار ارضهم بغرس الحبوب وحفر المناجم واصطناع العطور والاطياب ، وركوب القوافل ، في القفار والسفن في البحار ، لنقل السلع ، وتوالت أجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم ، كما كان اخوانهم الفينيقيون في أجيال اخرى ، وقد تعاصروا وتعاونوا على ذلك دهراً طويلاً .

وقد ضرب اليمنيون نقوداً نقشوا عليها صور الملوك وأسماءهم واسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند . وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية . كصورة (البومة) أو (الصقر) أو رأس (الثور) أو صورة (الهلال) ويؤخذ من صورهم على النقود أن ملوك اليمن كانوا يضفرون شعرهم جدايل يرسلونها على اقفيتهم ، او على جانبي رؤوسهم او خديهم ، ويظهر انهم لم يكونوا يرسلون

---

١ ـ ويقال بأن سليمان كان يذهب للقائها في اليمن ، ويقول بعض المؤرخين إنها عقدت معه معاهدة على غرار ما يعرف اليوم بمعاهدة صداقة وحسن جوار حين داخلها القلق على مستقبل بلادها ومصير تجارتها وقوافلها بسبب اتساع ملك الإسرائيليين في عهد سليمان .

لحاهم ولا شواربهم ؛ لأن صورهم التي وصلت الينا لم تدل على شيء من ذلك، كما كانوا يركبون الافراس او المركبات تجرها الخيول والافيال ، ويلبسون الاساور الثمينة والمآزر المحوكة بالذهب .

وكانت الزراعة في رقي حسن ، مع مشقة الري في بلاد لا انهار فيها وقد بلغ من رغبتهم في العمارة ، وعلو همتهم أنهم انشئوا سدوداً كالجبال يحجزون بها المياه في الاودية حتى ترتفع فتسقي المرتفعات . وقد تكاثرت السدود بتكاثر الاودية حتى تجاوزت المئات . وذكر الهمداني في (يحصب) من مخاليف اليمن وحده ثمانين سداً ومن اكبرها واشهرها قصعان وربوان وشحران . وسد (عباد) وسد (لحج) واشهر هذه السدود سد (مأرب) وسد (الخانق) بصعده . وسد (شبام) .

أما صناعتهم فأهمها تحضير بعض اصناف التجارة كالبخور واللبان . والطيوب وغيرها . وكان ذلك مشهوراً عنهم بين الامم القديمة لا يشاركهم فيه احد . وقد اشتهروا بصناعة التعدين وهي استخراج المعادن من بطن الارض وقد يظهر غريباً ، ان يقال ان بلاد العرب قد اشتهرت عند القدماء بمعادنها وجواهرها . ولكن التاريخ اصدق شاهد على ما كان في جزيرة العرب من مناجم الذهب والفضة ، والحجارة الكريمة ، وغيرها من المعادن . وقد ذكر الهمداني في (صفة جزيرة العرب). وياقوت في (معجم البلدان) كثيراً منها. هذا عدا الصناعات التي تدعو اليها الضرورة كالحياكة والحدادة ، وصياغة الحلى ، وغيرها ، وقد برعوا في فن البناء براعة مدهشة ، وهذه آثارهم تدل على فخامة مبانيهم وعظمتها ومن اشهر هذه المباني : قصر (غمدان) وكان بناؤه في القرن الاول للميلاد ، وظل باقياً الى ايام عثمان ، وشاهد الهمداني بقاياه تلاً عظيماً كالجبل ، وقال في وصفه انه كان عشرين طبقة مثل اكبر ابنية العالم المتمدن واعلاها .

تجارتهم :

إن توسط بلاد اليمن بين أمم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينها

من اقدم ازمنة التاريخ ، فكان بينها وبين الهند علائق تجارية لا يعرف اولها . وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والأشوريون والفينيقيون وغيرهم ، فكان اليمنيون ينقلون هذه المتاجر الى تلك الأمم في سفن البحر أو قوافل البر ، وكان على شواطىء اليمن موانىء ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو وادي النيل كما ترسو اليوم سفن انكلترا وغيرها عند (عدن) في اثناء اسفارها بين اوروبا والهند . وكانت لهم ميناء اسمها (موزا) يبنون فيها السفن الكبرى . لقطع الاوقيانوس الهندي . ولهذا السبب عمرت جزيرة (سوقطرة) يومئذ لتوسطها في طريق تلك التجارة . ومن الموانىء التجارية المشهورة في اليمن في ذلك العهد (عدن) و (قانا) حصن غراب و (ظفار) و (مسقط) .

أما الأصناف التي كانوا يحملونها من الهند . فهي الذهب والقصدير ، والحجارة الكريمة ، والعاج ، وخشب الصندل والتوابل والقطن . ويحملون من شواطىء أفريقيا الشرقية : العطور والأطياب ، وخشب الأبنوس ، وريش النعام ، والذهب والعاج غير ما كانوا يحملونه من حاصلات اليمن نفسها وهي البخور واللبان والمر واللادن .

وكان السبئيون يحملون من الجهة الأخرى مصنوعات صور ومحصولات الشام إلى بلادهم وغيرها بطريق المبادلة ، قبل سك النقود وأهمها الحنطة والزيت والخمر ومصنوعات فينيقية .

انهيار دولتهم :

يشير المؤرخون الى أن السبب في انهيار دولة سبأ الثانية يعنون دولة حمير انهيار سد مأرب ، ولكن التحقيق هو أن هناك عوامل متعددة في تضعضع دولتهم ، منها انصراف الرومان وغيرهم عن نقل التجارة بطريق اليمن حيث سلكوا البحار ، ومنها القحط ، إلى غير ذلك من الأسباب . وقد أشار القرآن الكريم لما أصاب أصحاب السد بقوله :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليـــل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبـين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير . سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بيننا وبين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق . إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

ويختلف المؤرخون في وقت حدوث سيل العرم فيقول البعض إنه حدث في القرن الثالث للميلاد وبعضهم في القرن الخامس أو السادس . وقـد حقق العلامة (غلازر) الألماني حدوث سيل العرم فقال إنه حدث عام (٤٤٧) م . وقيل في سبب تهدم السد ، ان المنازعات المستمرة قد صرفت الناس وصرفت الحكومات المتعاقبة عن تعهده والاستمرار في تقويته فضعف فلم يقو على صد هذا السيل .



٩ - القحطانيون خارج اليمن

هجرتهم من اليمن - أسبابها - دولة غسان - أشهر ملوكهم - المنذر بن الحارث - ذهاب دولتهم - آخر ملوكهم - آثارهم - دولة اللخميين - أول حكامهم - عاصمتهم - أشهر ملوكهم - مدة حكمهم - المنذر بن النعمان بن ماء السماء - اخر ملوكهم - استيلاء المسلمين على الحيرة - دولة كندة أصلهم - ملوكهم - ذهاب سلطانهم.

هجرتهم من اليمن - أسبابها :

لقد كان انتشار الحضارة في اليمن سبباً قوياً في تكاثر السكان وتزاحمهم ، حتى ضاقت بهم مواطنهم ، وكان هذا التزاحم عاملا لإثارة التنافس والأحقاد فالاصطدام .

وكانوا في أخريات أيام سلطتهم عرضة للقحط بسبب قلة الأمطار وانفجار السدود ، نظراً للاهمال الذي لحقهم ، فكانوا ينزحون بطونا وأفخاذاً يطلبون الرزق بعيداً عن الفتن والمصادمات في أطراف جزيرة العرب . شرقاً وشمالاً فينزل بعضهم اليمامة ، أو البحرين ، أو عمان ، أو الحجاز ، أو مشارف الشام أو العراق .

ومن بين هذه القبائل التي نزحت ، العشائر التالية :

(طي) (الأشعر) (بجيله) (جذام) (الأزد) (عامله) (كندة) (لخم) (نصر) (مذحج) (همدان) (مازن) (غسان) (ازدشنوءة) (الأوس) (الخزرج) (خذاعة) . ويقال بأن هذه القبائل خرجت من اليمن وتفرقت في أنحاء الجزيرة بعد تهدم سد مأرب ، وهي جميعاً ترجع بأنسابها الى كهلان بن سبأ بن قحطان .

ولا يستطيع المؤرخ المحقق ، أن يطمئن الى صحة انتساب هاته القبائل الى قحطان ، إذ لا دليل على قحطانيتهم غير اقوال النسابين ، حيث يحتمل انتحال هذه النسبة للفخر او التقرب الى الفرس او الروم[1] .

واهم هذه القبائل القحطانية ثلاث : غسان ، ولخم وكندة . فقد كونوا لأنفسهم دولاً وإمارات في مهاجرهم عظيمة الأثر ، خالدة الذكر .

دولة غسان :

هاجرت من اليمن بعد سيل العرم ، وانتهى بها السير الى ماء اسمه (غسان) بالشام ، فنسبوا اليه ونزلوا هناك مجاورين (الضجاغمة) من قضاعة ، ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو ، وكانوا يؤدون (الأتاوة) للضجاغمة كارهين ، ولكنهم تغلبوا اخـــيراً على الضجاغمة وغلبوهم على ما في ايديهم وتفردوا بالسلطان . وانشأوا لأنفسهم دولة في ما هو الآن يعرف بالبلقاء وحوران .

ولم يكن للغساسنة مدينـة يتخذونها داراً للملك ، بـل كانوا يتنقلون من البلقاء الى جهات دمشق وتدمر ، وكانت اكثر إقامتهم (ببصرى) في حوران على بعد (١٧) كيلومتراً من دمشق الى جنوبها الشرقي .

ويختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في بداية حكمهم ومدتهم وعدد ملوكهم مما يجعل القطع في حقيقته مستحيلاً . ولكنه يظهر من تاريخهم ، ومما يرويه مؤرخو الروم ان إمارتهم بدأت في اواخر القرن الخامس الميلادي .

وقد احتاج الروم الى الاستعانة بهم في الحروب المستديمة بينهم وبين اعدائهم من الفرس ، فحالفوهم على ان يمدهم الروم بأربعين الفاً إذا دهمهم العرب ، وان يمدوا هم الروم بعشرين الفاً إذا دهمهم الفرس ، وقد كان الغساسنة اطوع لحضارة الروم ودينهم من (المناذرة) الآتي ذكرهم لحضارة الفرس ، وقـد تنصروا وتحمسوا في النصرانية .

---

١ – تاريخ العرب قبل الاسلام – جرجي زيدان .

أشهر ملوكهم :

اول من عظم امره منهم (الحارث بن جبلة) الملقب بالأعرج والمعروف بابن ابي (شمر) (٥٢٩ – ٥٦٩ م) ، وهو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة ابن عمرو بن جفنة ، وجفنة هذا هو الجد الذي تنسب اليه الأسرة ، فيقال (بنو جفنة) .

(والذي يعرف من أخبار هذا الحارث أن (جستنيان) قيصر ملك الروم ، ملّكه سنة (٥٢٩) ميلادية ، ليحارب المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وجعله رئيس كل القبائل التي بالشام ولقبه بأعظم الالقاب في الدولة الرومية ، بعد لقب الملك وكان بينه وبين المنذر عدة وقائع ، وأسر المنذر أحد أبناء الحارث وقربه إلى العزّى سنة (٥٤٤ م) . ثم انتصر الحارث على المنذر في قنسرين وقتل المنذر في الموقعة ، وهو اليوم الذي يعرف في الروايات العربية باسم يوم حليمة وذهب الحارث الى القسطنطينية سنة (٥٦٣م) ليتفق مع الروم على من يخلفه في الإمارة ، فراع أهل المدينة منظره ، حتى إن الإمبراطور جستنيوس حينما كبر وخرف كان يخوف بالحارث . ومات الحارث حوالي سنة (٥٧٠م) فخلفه ابنه .

المنذر بن الحارث :

فسار سيرة أبيه في معونة الروم ومحاربة أمراء الحيرة، وقد هزم أمير الحيرة قابوس بن المنذر سنة (٥٧٠م) في موقعة يحتمل انها المعروفة باسم يوم عين أباغ، ثم لم يمده الروم بالمال ، وكانت بينه وبين الروم ريبة فعصى ثلاث سنين ، ثم احتاج الروم إلى مصالحته حينما أغار الفرس والعرب على سورية فأرسل قيصر رسولا فحالفه على قبر سرجيوس بالرصافة ، ثم دعاه الإمبراطور جستنيان بعد سنين إلى القسطنطينية ، ونفاه إلى صقلية .

وبعد موت جستنيان سار المنذر هو واثنان من أبنائه إلى القسطنطينية ،

فاحتفى به الإمبراطور وأعطاه الإكليل بدل التاج ، ثم رجع فأغار على الحيرة وحرقها ، ولكن الروم ارتابوا في أمره كما ارتابوا في أبيه من قبل . فلما بنيت كنيسة في حوّارين بين دمشق وتدمر ، دعي المنذر ليشهد الاحتفال ، ثم أخذ غدراً الى القسطنطينيه سنة (٥٨٦ م) وقطعت الوظائف التي كانت تعطى للغساسنة فثار بنو المنذر الأربعة يقودهم النعمان أكبرهم ، وأغاروا على ارض الدولة الرومية ، ونهبوا وخربوا . فكانت حروب أسر فيها النعمان وأرسل الى القسطنطينية كذلك ، فعمت الفوضى بادية الشام ، واتخذت القبائل رؤساء من انفسها ، وانحاز بعضها الى القدس .

ذهاب دولتهم ـ آخر ملوكهم :

حمل الفرس على مملكة الروم سنة (٦١٤ م) . واستولوا على الشام في عهد كسرى برويز ، فضعف سلطان العرب وذهبت دولتهم ولكن بقيت لهم امارة الى الفتح الإسلامي . حيث نجد ذكرهم في وقعة اليرموك ، وفتوح الشام ، وفي شعر حسان بن ثابت ، ولعل (هرقل) اعادهم الى الإمرة . حينما أخرج الفرس من الشام سنة (٦٢٩ م) .

اما آخر ملوكهم فهو جبلة بن الأيهم ، حكم سنة (٦٣٢) وقد انقـاد للإسلام في عهد عمر بن الخطاب ، ثم تنصر ولحق بالروم .

آثـــارهم :

امتد سلطان (الغسانيين) على حوران وسائر مشارف الشام ، وفي تدمر وعلى سائر عرب فلسطين وسوريا ولبنان بدواً وحضراً . وقد شادوا كثيراً من القصور والأديار للعبادة ، وأنشأوا المدن والقرى وبنوا القناطر وأصلحوا الصهاريج ، ومن بين قصورهم صرع الغدير ، والقصر الأبيض ، والقلعة الزرقاء ، وقصر المشتى وغيرها ، ويستطيع الباحث ان يتبين بعض ابهتهم وترفهم من اشعار الشعراء الذين مدحوهم كحسان والنابغة الذبياني .

دولة اللخميين :

تاريخ هذه الدولة اوضح واثبت من تاريخ الغسانيين لأنه كان مدونا . وقد هاجروا الى العراق بعد سيل العرم كغيرهم من عرب اليمن . وكانت هجرتهم في عهد ملوك الطوائف بالعراق وقد انحطت فارس عن عظمتها بعد انهزام ملكهم (دارا) أمام الإسكندر المقدوني سنة (٣٣٢) قبل الميلاد .

أول حكامهم :

اول من حكم العراق (آل تنوخ) وتنوخ فرع كبير من قضاعة . وهي فرع من قحطان كما يرجح البعض . واول من تأمر منهم مالك بن فهم ثم خلفه ابنه جذيمة الأبرش صاحب القصة المعروفة مع الزباء ملكة الجزيرة . وكان جذيمة هذا ثاقب الرأي شديد النكاية . شن الغارات على قبائل العرب فهابه النـاس ومدحه الشعراء . ولم يكن له غلام ذكر فبعد ان ملك (ستين سنة) خلفه ابن اخته (عمرو بن عدي) ابن نصر اللخمي . ونصر فرع من لخم وهو أول ملوك اللخميين بالحيرة . وأول من اتخذ الحيرة منزلا . ولذلك تسمى هذه الدولة دولة آل نصر او آل لخم . او ملوك الحيرة . او المناذرة على السواء .

عاصمتهم :

كانت عاصمة اللخميين (الحيرة) وهي على ثلاثة اميال من مكان الكوفة . في موضع يقال له (نجف) على ضفة الفرات الغربية . في حدود البادية . وتقع الآن في الجنوب الشرقي من مشهد علي . وهي مدينة مزدحمة بالمنازل والقصور والحدائق والأنهار . واشتهرت بصحة هواءها . وظلت عامرة بعد الإسلام عدة أجيال . وكان بجوارها قصران كبيران هما الخورنق والسدير ، وكانا في غاية الإتقان والنظام والعظمة . وقد بنيا في ايام النعمان الأول . وكان حكمه في اوائل القرن الخامس الميلادي .

اشهر ملوكهم – مدة حكمهم :

يبتدىء حكم اللخميين بعمرو بن عدي سنة (٢٦٨ م) واستمر ثلثمائة واربعة وستين سنة أي الى سنة (٦٣٢ م) وعدد ملوكهم (اثنان وعشرون) آخرهم المنذر المغرور . وكلهم من نسل عمرو بن عدي اللخمي إلا ستة من الدخلاء .

ومن أشهر ملوك الحيرة النعمان الأول بن امرىء القيس حكم (٢٨) سنة من (٤٠٣ – ٤٣١ م) . عاصر فيهـــا من ملوك الفرس يزدجرد الأول . وبهرام جور . وكان من أشد ملوك العرب نكاية في اعدائه . وأبعدهم مغارا . غزا الشام مراراً وفتك بأهلها وسبى وغنم وجند الجند على نظام عرف به وكانت له كتيبتان احداهما من الفرس تسمى (الشهباء) والأخرى من تنوخ اسمها (دوسر) يغزو بهما من لا يدين له من العرب . وكان صارماً حازماً . اجتمع له من الاموال والرقيق ما لم يملكه أحد من ملوك الحيرة . ويقال بأنه تنصر في آخر عهده . وتنسك ورجع عن وثنيته وخرج من قصره ليلاً ملتحفاً بكسائه وساح في الأرض فلم يره أحد ولم يعرف له خبر وفيه يقول (عدي ابن زيد) يخاطب النعمان بن المنذر :

وتدبر رب الخورنق إذ أشـ رف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمـــ لك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ طة حي الى الممات يصير ؟

المنذر بن النعمان :

من بين ملوك الحيرة المشهورين (المنذر بن النعمان بن امرىء القيس) حكم من سنة (٤٣١) الى (٤٧٢م) وقد اعان يزدجرد في حروب كثيرة من بينها حربه مع الروم . وذلك أن يزدجرد اضطهد النصارى في بلاده . وجاراه ابنه بهرام . فنهض الروم لنصرة النصارى . أو تذرعوا بذلك طمعاً في الفتح ، فنشبت الحرب بين الدولتين وحاصر الروم (نصيبين) فاستنصر (بهرام)

المنذر فلباه . ووعده أن يكتسح له سوريا وقد فعل . وبالغ رجاله في النهب والقتل . ووقع الرعب في الروم . وعمدوا الى الصلاة والاستعاذة بالله . من ذلك الاسد الغربي أن يدخل عليهم عاصمة ملكهم (القسطنطينية) ولو تم ذلك لتغير وجه اوروبا كما تغير بفتح العثمانيين لها بعد ذلك . ولكن اوروبا نجت يومئذ باضطراب وقع في معسكر المنذر ، فاضطره الى عقد الصلح .

ابن مـــاء السماء :

ومنهم المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء حكم من سنة (٥١٤) الى(٥٦٣م) وهو أشهر ملوك لخم وأكثرهم عملاً وقد عاصر من ملوك الفرس (قباذ) وابنه (أنو شروان) ومن قياصرة الروم (يوستنيانوس) ومن الغساسنة (الحارث بن جبلة) وكلهم من كبار الرجال اجتمعوا في عصر واحد وفي أيامه فتح الاحباش (اليمن) على يد (أبرهة) .

وفي ايامه استولت كندة على الحيرة ، وذلك أن (قباذ) ملك الفرس أظهر القول بمذهب (مزدك) الاشتراكي في الأموال والنساء . فأبى المنذر مجاراته ، فطرده وولى على الحيرة (الحارث بن عمرو بن حجر) آكل المرار ، جد إمرىء القيس الشاعر ولكن المنذر عاد إلى الحيرة بعد أن اجتمع أمر الفرس لكسرى أنو شروان .

آخر ملوكهم – استيلاء المسلمين على الحيرة :

وكان آخر ملوكهم (المنذر بن النعمان) الملقب بالمغرور حكم من سنة (٦٢٨) إلى (٦٣٢ م) وقتل في حروب الردة بالبحرين وقد فتحت الحيرة صلحاً على يد (خالد بن الوليد) في خلافة أبي بكر الصديق سنة (١٢) من الهجرة . وقد نزل خالد شرقي (الحيرة) قريباً من قصر (الخورنق) وتولى الدفاع عن العاصمة القائد الفارسي (المرزبان) وحاول صد المسلمين عنها ، ولما ظهر عجزه توارى وراء الأسوار ، وأرسل إليهم خالد يخيرهم بين ثلاثة ، إما الإسلام أو الجزية

أو الحرب . وأمهلهم (٢٤) ساعة فاختاروا الجزية وهكذا انقضى أمر الحيرة، عاصمة المناذرة ، ودخلت تحت سيطرة المسلمين .

دولة كندة ـ أصلهم :

يقول ابن خلدون إن كندة تنتسب إلى كهلان بن سبأ وإن أول من لقب كندة من ولده (عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان) ويروي الثقات بأن أصلهم من البحرين والمشقر . وقد أجلوا عنهما . فأقاموا (بحضرموت) في بلد يعرف باسمهم ، وقصبته (دمون) وأقاموا هناك دهرا وهم على وفاق مع الحميريين حكام البلاد . وكان الحميريون يستخدمون خاصتهم وكبارهم في بعض مصالحهم ويدخلونهم في بطانتهم وحاشيتهم .

ولكن العلاقات بين الكنديين والحميريين ساءت أخيراً ووقعت حروب كثيرة بينهم اضطرت معها بعض قبائل كندة الى الرحيل الى أرض معد حيث أقاموا هناك .

ملوكهـــم :

حدث أن قدم رؤساء بكر بن وائل . إلى حسان بن تبع ملك اليمن وأحد التبابعة وطلبوا اليه أن يولي عليهم ملكا يقضي على الخلافات فيا بينهم ويضرب على أيدي المفسدين منهم وكان (حجر بن عمرو الكندي) المعروف بآكل المرار ذا رأي ووجاهة . فولاه عليهم . فهو أول ملوك كندة في (نجد) وكان أول عمل قام به أن أنقذ أرض بكر من سلطة اللخميين وبقية بلاد نجد، واجتمعت كلمة القوم على احترامه حتى مات ودفن في بطن عاقل سنة (٤٥٠ م) تقريباً ، فيكون ابتداء هذه الدولة في بداية القرن الخامس . وقد ملك بعده ابنـــه عمرو بن حجر ويسمى المقصور، لأنه اقتصر على ملك أبيه . وتوفي سنة (٤٩٠م) .

فلما مات عمرو خلفه ابنه الحارث . وكان كبير المطامع حاسداً للخميين على تقربهم من الأكاسرة . فانتهز فرصة تغير (قباذ) الفارسي على المنذر

ابن ماء السماء . فقصده لولاية الحيرة فولاه (قباذ) إياها ، كما سبق . وقد عظم في أعين القبائل ، وتوافد اليه أشراف معد يهنئونه ويطلبون إليه أن يولي عليهم من أبنائه من يحكمهم . ويضع حداً للحروب الثائرة بينهم ففرق بينهم أربعة من أولاده على النحو الآتي :

حجر بن الحارث ... على بني أسد بن جذيمة وغطفان — شرحبيل ابن الحارث ... على — قيس عيلان وطوائف غيرها — سلمة بن الحارث ... على — تغلب والنمر بن قاسط ..

ولم يطل سلطان الحارث على الحيرة لأنه بعد موت قباذ تولى (أنو شروان) فأرجع المنذر كما سبق . وفر الحارث بأولاده وماله . وقد تبعه المنذر في جمع من تغلب وأياد . فنجا الحارث . ونهب ماله . وأخذ (٤٨) من قومه . فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث . وقد قتلا في ديار (بني مرينا) عندما قدموا بهم إلى المنذر وقد رثاهما امرؤ القيس في قصيدته التي يقول فيها :

ملوك من بني حجر بن عمرو   يساقون العشية يقتلونا

فلو في يوم معركة أصيبوا   ولكن في ديار بني مرينا

وقد ظل الحارث في بني كلب ، حيث نجا من المنذر حتى قتل فيهم .

ذهاب سلطانهم :

عمل المنذر على الانتقام من أبناء الحارث فسعى في الإفساد بينهم حتى تحارب سلمة وشرحبيل ، وقتل شرحبيل في معركة تعرف بيوم الكلاب . وخاف سلمة بعد ذلك على نفسه عندما أدرك الوقيعة من المنذر فخرج من تغلب والتجأ الى بكر بن وائل فسار اليهم المنذر وهزمهم شر هزيمة ، وقد أضعف ذلك من نفوذ حجر صاحب بني أسد ، وأخيه معد يكرب .وتنكر بنو أسد لملكهم ، وأجمعوا على خلافه ، وضربوا الجباة الذين أرسلهم لجمع (الأتاوة)

فاستعان عليهم حجر بجند من ربيعة ففتك بهم وحبس أشرافهم ومنهم (عبيد ابن الأبرص) الشاعر المعروف ، وقد اطلقه بعـــد ما بعث اليه عبيد بشعر يستعطفه فيه فخرجوا وفي نفوسهم غل وما زالوا يترقبون الفرص للقضاء عليه حتى قتلوه طعناً . وحجر هذا هو والد امرىء القيس الشاعر المشهور .

وقد حاول امرؤ القيس الثأر من قتلة أبيه فاستنجد القبائل واستجار بهم فلم يلبه أحد ، ويقال بأنه قصد قيصر الروم عدو اللخميين ، لينصره على أعدائه وقد أجاب القيصر دعوته ، وسمع مدائحه ، ولكن بعض أعدائه من بني أسد ، وشى به الى القيصر وقال انه شتمك فصدق الوشاية وألبسه حلة مسمومة . مات بسببها اثناء عودته .

وتضعضعت دولة كندة بعد موت امرىء القيس ولم يبق من ملوكها غير معد يكرب . وأمراء صغار لهم سيادة على بعض القبائل ، هي بقية نفوذ آبائهم وربما حكم الواحد منهم بلداً أو وادياً ، وأشهر فروع تلك الدولة أربعة ، في الأماكن الآتية : دومة الجندل ، البحرين ، نجران ، غمر ذى كندة .

وقد بقيت هذه الإمارات الصغيرة حتى ظهر الإسلام فذهبت جميعها .

* * *

١٠ - الأحباش والفرس في اليمن

هجمات الأحباش الأولى – اليهود وغزو الأحبـاش الأخير – السبب الاقتصادي للغزو – وصول الجيش – امتلاكه اليمن – الحميريون يستنجدون بالفرس .

هجمات الاحباش الأولى :

يستفاد من كتب اليونان والسريان ، أن الأحباش أخذوا يستخفون بالحميريين . ويطمعون ببلادهم . من أوائل النصرانية على أثر تضعضع السبئيين وذهاب دولتهم . وتفرق كلمتهم . والأحباش يومئذ في إبان سطوتهم وعاصمتهم (اكسوم) . ويظن بعض المؤرخين بأن جماعة من الأحباش احتلوا شواطىء اليمن الجنوبية عند مهره في القرن الاول قبل الميلاد يترقبون فرصة يثبون بها على الحميريين . طمعاً بثروة بلادهم وللاستئثار بما بقي من تجارتها .

وهناك أخبار صحيحة تقول بأن الأحباش حملوا على شواطىء اليمن في اوائل القرن الثاني للميلاد . وعادوا فجددوا الحملة . في اواخر القرن الثالث . ففتحوا بعض بلاد اليمن وتهامة . ولكن الحميريين تعاونوا عليهم واخرجوهم من بلادهم وعاد الأحباش بعد (٥٠) سنة فاكتسحوا اليمن كلها ، وذكروا خبر ذلك الفتح على آثارهم ، وتوالت الوقائع بين الأحباش وحمير في أواسط القرن الرابع للميلاد ، كانت الحرب فيها سجالا . وقد حارب احد ملوكهم (الهدهاد) ملك اليمن ، وفتح البـلاد اليمنية سنة (٣٤٥ م) ، بمساعدة قيصر الروم (قسطنطيوس) رغبة في نشر النصرانية التي كانت قد دخلت الحبشة من عهد

قريب. ولكن الحميريين استعادوا سلطتهم سنة (٣٧٤ م). وما زالت في قبضتهم حتى غزاها الأحباش المرة الأخيرة سنة (٥٢٥ م) .

اليهودية وغزو الأحباش الأخير :

دخلت اليهودية اليمن على يد أحد ملوك حمير، ورغب الناس فيها، فانتشرت في اليمن كلها، وكانت قياصرة الروم قد تنصروا وأخذوا يهتمون بنشر النصرانية وتأييدها، ويستعينون بها على نشر نفوذهم، وتوسيع دائرة تجارتهم فتسربت النصرانية من الحبشة، إلى جزيرة العرب، وخصوصاً في نجران وعدن . وأرسلوا إليهم الكهنة والرهبان، وبنوا في نجران مزاراً عرف بكعبة نجران .

وفي أوائل القرن السادس الميلادي ملك اليمن ذونواس الحميري، وكان شديد التعصب لليهودية، غزا أهل نجران وخدد لهم الأخاديد، وعرض عليهم اليهودية، فامتنعوا فحرقهم وهدم بيعتهم، وقد أفلت رجل منهم مضى إلى قيصر الروم — يستغيثه ويخبره بما صنع ذونواس، فكتب القيصر الى ملك الحبشة يحرضه على نصرته وغزو اليمن . هذا هو رأى المؤرخين من العرب، في سبب الغزو، وهو الانتقام للنصرانية .

السبب الاقتصادي للغزو :

أما اليونان فينسبون ذلك الغزو إلى سبب تجاري مالي فيزعمون بأن العرب كانوا يضايقون تجارة الروم عند مرورها ببلادهم، وربما تعدوا على تجار الروم، أثناء اجتيازهم اليمن وقتلوا جماعة منهم، فتوقفت حركة التجارة، عند ذلك كتب القيصر إلى النجاشي يأمره بغزو اليمن .

وصول الجيش — امتلاكه اليمن :

عبر الأحباش البحر الأحمر، وكانوا سبعين ألفاً تحت قيادة (أرياط)

حتى ورد اليمن ، فجمع ذونواس ما استطاع أن يجمع من الرجال ، وسار اليهم فاقتتلوا قتالا شديداً ، كانت خاتمته هزيمة ذي نواس ، وتفرق جيشه ، ويقال بأن ذونواس أقحم فرسه البحر هرباً من الأسر ، فكان آخر العهد به ، وبذلك تم للأحباش ملك اليمن .

وقد ظل (أرياط) على حكم اليمن حتى نقم عليه بعض قواده فاجتمعوا بقيادة (أبرهة الأشرم) وحاربوه . وبرز له (أبرهة) فقتله واستولى على الحكم مكانه . وأبرهة هذا هو صاحب الفيل الذي غزا (مكة) ليهدم الكعبة ففشل . وقد عاش حاكما على اليمن عشرين سنة وخلفه ابنه (يكسوم) ، ثم (مسروق) بن أبرهة وقد عمل الأحباش أثناء حكمهم على نشر النصرانية بين الحميريين،وبنى أبرهة في صنعاء كنيسة كبيرة سماها (القليس) وبالغ في تزيينها وإتقانها وكانت مدة حكم الأحباش اليمن فيما يروي العرب (٧٣) سنة .

الحميريون يستنجدون بالفرس :

مل الحميريون سلطة الأحباش ، واستبدادهم ، وطال عليهم البلاء . وكان في أمراء حمير رجل اسمه (سيف بن ذي يزن) استنجده قومه فسعي في إنقاذهم . واستنصر قيصر الروم فرده خائباً فمضى الى كسرى فأمده بجند تحت قيادة (وهرز) من خير بيوت فارس وأكثرها شجاعة . وتغلب الفرس وأجلوا الأحباش عن اليمن . وكتب (وهرز) الى كسرى يخبره . فكتب اليه أن يملك سيف ذي يزن . ويقدم هو اليه . ويقول ابن هشام بأن وهرز بقي ومات باليمن . فأمّر كسرى على اليمن ابنه المرزبان ثم ابنه (التينجان) ثم ابن التينجان ثم باذان الذي بعث النبي (ص) في زمنه .

ولما خلا سيف باليمن وملكها جعل يقتل الأحباش . ويفتك بهم حتى لم يبق إلا بقية منهم في ذلة وقلة فاتخذهم خولا ومكث على ذلك برهة من الزمان وبينا هو ذات يوم راكب ومعه الحبشة بحرابهم مالوا عليه فطعنوه حتى قتلوه ولم يقم على الحميريين ملك بعده حتى كان الإسلام . ودخلوا في حوزة المسلمين .

١١ـ العدنانيون

أصل العدنانيين ـ أقدم أخبارهم ـ قبائل عدنان ـ منازلهم ـ قريش
قصي ـ هاشم ـ عام الفيل ـ ميلاد النبي (ص) ـ بطون قريش.

أصل العدنانيين :

تنتسب جميع القبائل العدنانية الى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقد قدم إبراهيم من بلاد ما بين النهرين مهاجراً منها الى فلسطين ومصر . ثم قدم في وقت من الأوقات الى الحجاز حيث ترك ابنه اسماعيل من جاريته هاجر المصرية وابراهيم هو من الكلدانيين . وقد علمنا أن أصل الكلدانيين من جزيرة العرب هاجروا الى ما بين النهرين، في الأعصر القديمة ، وأنشئوا فيها دولتهم ، فإبراهيم اذن ليس بغريب عن الحجاز وانما عاد الى بلاده الأصلية .

اقدم اخبارهم :

يبدأ تاريخ الإسماعيليين ، في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وأقدم ما ذكره المؤرخون عن أخبارهم خلاصته : أن اسماعيل لما نزل مكة وشب فيها وجد نفسه بين جرهم فتزوج منهم ورزق اثنى عشر ولداً . كان منهم أصل الفرع العظيم من العرب العدنانيين . ويروي الثقات بأن ابراهيم جاء الى مكة ثلاث مرات . الأولى ترك فيها هاجر وطفلها اسماعيل والثانية بعد أن أدرك اسماعيل وتزوج من جرهم زواجه الأول . والثالثة بعد زواج اسماعيل زوجته سيدة بنت مضاض الجرهمي . وفي هذه المرة رفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت .

وقد ولي اسماعيل زعامة مكة وولاية البيت وخلفه فيها اثنان من ولده ثم انتقلت الزعامة الى جرهم وظلت في أيديهم مع بقاء اولاد اسماعيل ولاة للبيت . الى أن كثرت بطون اسماعيل ، فاتفقت كنانة العدنانية وخزاعة القحطانية على انتزاعها من جرهم .

ويظهر أن الإسماعليين كانوا بمعزل عن الحكم والنظام وانشاء الدول حتى حوالي التاريخ المسيحي ، وكانت دول العرب الأخرى في اليمن ومشارف الشام والعراق وغيرها تستخدمهم في نقل التجارة على القوافل بين ممالك ذلك التمدن. ويعبرون عنهم تارة بالإسماعيلية ، وطوراً بقيدار أو غيرهما . وكانوا أهل ماشية وخيام وابل .

وفي القرن السادس قبل الميلاد غزا بختنصر البابلي بلاد الحجاز ، فجمع عدنان العرب والتقى هو وبختنصر في ذات عرق فاقتتلوا قتالا شديداً . فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون هناك ، ولم يقع بين الفريقين قتال وعاد الأشوري الى بلاده ، دون طائل ، وكان ذلك مقدمة لتسلط معد بن عدنان على سائر العرب واستئثاره بزعامتهم دون جرهم والعمالقة .

قبائل عدنان — منازلهم :

تنقسم القبائل العدنانية أولا : الى فرعين عظيمين ، عك ومعد ، أما عك فنزلت في نواحي زبيد جنوبي تهامة ، وبقي منهم بقية الى أيام الإسلام ، وليس لهم تاريخ يذكر . وأما معد فهو البطن العظيم الذي تناسل منه عقب عدنان كلهم ، وقد انقسمت معد الى فرعين كبيرين : نزار وقنص . هلكت قنص ولم تبق منهم بقية وبقي النسل والكثرة في نزار وهم عدة فروع أشهرها ربيعة ومضر واياد وأنمار .

وقد أقامت ربيعة في مهبط الجبل من غمر ذي كندة . بينه وبين مكة سير يومين . وبطن ذات عرق وما حاذها من بلاد نجد الى الغور من تهامة .

وأقامت قبائل مضر في حيز الحرم الى السروات وما دونهـــا من الغور وما والاها من البلاد ، أما اياد وأنمار فقـد أقامتا فيما بين أرض مضر الى نجران وما والاها .

وقد اضطرت أنمار الى الرحيل من تهامة الحجاز الى سرات عسير بـين الحجاز واليمن أثر حروب وقعت بينها وبين اخوانها من ربيعة ومضر ، وبقي من آثارها قبيلتا خثعم وبجيلة .

وتنازعت قبيلة إياد السلطة في الحرم وما جاوره مع ربيعه ومضر أيضاً . واضطرت آخر الأمر الى الرحيل عن الحجاز الى جهات العراق ، ووقعت بينها وبين الفرس وقائع وكان آخرها على يد الملك (سابورذي الأكتاف) الذي فتك بهم .

أما ربيعة فهي من أقوى القبائل العدنانية وأعظمها وقد تنازعت السلطة زمناً عن الحجاز مع مضر ، ثم نزحت عنهـــا واستولت على أماكن عديدة في الجزيرة ، فنزلت عبد القيس البحرين وهجر . ونزلت بكر وتغلب وعنزة ظواهر نجد . وانتشرت في اليمامة في ما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق . وأقامت قبائل منها في بلاد اليمن وحالفت أهله . ومن بقايا ربيعـــة قبيلة عنزة التي ينتمي إليها الملك عبد العزيز آل سعود .

بعد أن نزحت ربيعة عن الحجاز استقلت قبائل مضر بسائر بلاد الحجاز وانتشرت فروعها وأفخاذها في أطرافها ، وكان منها حيان مشهوران هما خندف وقيس عيلان ، وقد ازدهرت مكة أثناء سلطة مضر وأصبح لها شأن عظيم .

قريش :

هم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليـاس ابن مضر ، ففهر هذا هو قريش ومن كان من ولده فهو قرشي ، اما من انتسب

إلى أعلى من فهر فهو كناني نسبة إلى كنانة بن خزيمة ، فإذا علا فوق كنانة فهو مضري فقط ، ويقال لبني كنانة وقريش مضر أيضاً ، نسبة الى مضر جدهم الأعلى .

وقد بلغت قريش الذروة من الشرف والمنعة في أيام قصي بن كلاب ، حيث يبدأ تاريخ مكة الفعلي بقيامه على حكومة خزاعة ، واستئثاره دونها بمقاليد الحكم ، وولاية البيت .

والواقع أن جميع السلطات العدنانية في مختلف منازلها لم يكن لها نظام سياسي متبع كما هو الحال في اليمن آنذاك ، أو على الاصطلاح الذي نفهمه اليوم ، فقد كان أغلبهم أهل بادية لا يألفون الحضر ولا يطيب لهم الاستقرار بأرض معينة ، إلا قريشاً ، فقد تحضرت في مكة ، وكان لها مركز ممتاز في شؤون تجارة بلاد العرب كلها ، ويطمئن بعض المؤرخين إلى أن مكة عرفت حياة الاستقرار أجيالاً طويلة قبل قصي .

وقد ظل أمر مكة لجرهم ، بعد أن غلبوا العماليق عليها إلى عهد مضاض ابن عمرو بن الحارث الجرهمي ، حيث ضعف في عهده شأن الجرهميين وطمعت خزاعة في الوثوب إلى مناصب الأمر في البلد الحرام ، وكانت بئر زمزم قد نضب ماؤها فعمد مضاض الى البئر فاعمق حفرها ، ودفن فيها غزالتين من ذهب مع طائفة من الأموال بالكعبة وأهال الرمال عليها رجاء ان يعود الأمر يوماً ، فيفيد من الكشف عنها ، وخرج من مكة ووليت خزاعة أمرها . وظلت تتوارثه حتى آل إلى قصي بن كلاب ، الجد الخامس للنبي عليه السلام .

وخزاعة هذه ، هي احدى القبائل القحطانية التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز ، عقب سيل العرم ، وقد حصل نزاع بين خزاعة وبطون كنانة أولاً ؛ أدى إلى قسمة المناصب الحكومية بينهم ، فكان الحكم وما إليه في خزاعة ، والقضاء والمنصب الديني في كنانة ، إلى أن كثرت بطون كنانة واشتدت عصبيتها فنازعت خزاعة ثانية ، وتمكنت بزعامة قصي بن كلاب من الاستيلاء

على مناصب الحكم في مكة ، وسدانة البيت والعناية بشؤون الحج، وكان ذلك في منتصف القرن الخامس الميلادي .

قصـــي :

بعد أن تم لقصي أمر مكة استقر بها وجمع قريشاً من منازلهم بين كنانة . فأنزلهم في مكة ، نقلهم بذلك من البداوة إلى الحضارة وهو أول من أصاب من قريش ملكاً أطاعه به قومه . فصار له لواء الحرب وحجابة البيت وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم إليه . واتخذوا (دار الندوة) ازاء الكعبة لمشاوراتهم . ثم تصدى لإطعام الحاج وسقايته ، وفرض على قريش خراجاً يؤدونه . فاجتمع له شرف قريش ، وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء.

فلما كبر قصي وضعف جعـــل السقاية واللواء والرفادة لابنه عبد الدار ، وتولاهـــا أبناؤه من بعده ، لكن أبناء عبد مناف بن قصي كانوا أشرف في قومهم وأعظم مكانة ، فأجمـع هاشم وعبد شمس والمطلب ، ونوفل بنو عبد مناف ، على أن يأخذوا ما بأيدي أبناء عبد الدار ، وتفرق رأي قريش تنصر طائفة هؤلاء ، وأخرى أولئك ، وأوشكوا أن يقتتلوا ، ثم آل الأمر الى الصلح على أن يعطوا بني مناف السقاية والرفادة ، وأن تبقى الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار .

هـــاشم :

هاشم بن عبد مناف بن قصي هو الرجـــل الذي آلت اليه زعامة قريش ورئاسة مكة بعد قصي . وكان ذا مؤهلات خاصة لم يستطع معها أن يفكر أحد في منافسته . وكان ذا يسار فولي السقاية والرفادة ، وأطعم الحاج ، وهو الذي سن لقريش رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى الشام ، وأطعم أهل مكة في سنة الجدب ، وقـــد ازدهرت مكة في أيامه سنة ٤٦٤ م ، وسمت مكانتها في أنحاء شبه الجزيرة جميعاً .

وقد عقد هاشم بنفسه مع الإمبراطورية الرومانية ، ومع أمير غسان معاهدة حسن جوار ومودة ، وحصل من الإمبراطور على الإذن لقريش بأن تجوب الشام في أمن وطمأنينة ، وعقد عبد شمس معاهدة تجارية مع النجاشي ، كما عقد نوفل والمطلب حلفاً مع فارس ومعاهدة تجارية مع الحميريين في اليمن ، فازداد بذلك أهل مكة منعة ويساراً ، ومهروا في التجارة حتى أصبحوا لا يدانيهم فيها أحد من أهل عصرهم .

وقد توفي هاشم بغزة أثناء إحدى رحلات الصيف ، فخلفه أخوه المطلب ، في مناصبه حتى كبر شيبة بن هاشم الذي دعي بعد ذلك عبد المطلب ، فقام في مناصب أبيه هاشم وحفر بئر زمزم التي طمتها جرهم ، واستخرج الغزالتين الذهبيتين والأسياف ، وحلى بهما البيت الحرام .

عــام الفيــل :

وفي أيام عبد المطلب غزا (أبرهــة) عامل النجاشي باليمن مكة سنة (٥٧٠) م. في جيش من الحبشة تقدمه هو على فيل عظيم، ركبه قاصداً هدم البيت الحرام . فلما اقترب من مكة بعث رجلاً من الجيش فساق اليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم ، وبينها مائة بعير لعبد المطلب ، وأيقنت قريش أن لا طاقة لهم بقتاله ، وقــد قابله عبد المطلب في جماعة من رؤساء مكة ، وفاوضه على الرجوع عن هدم البيت ، على أن تنزل له تهامة عن ثلث ثروتها فرفض ، وأجاب عبد المطلب الى رد إبله اليه ، وعاد عبد المطلب حزيناً فأخذ يدعو عند الكعبة ويستنصر على هذا المعتدي، وحمى الله بيته الحرام، فجعل كيد أبرهة في تضليل ، وأرسل على أصحاب الفيل طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل،فجعلهم كعصف مأكول.» قال بعض المؤرخين : تفشى في الجيش مرض فتك به فتكاً ذريعاً ، وأصابت العدوى أبرهة ، فارتاع وعاد ببقية جيشه الى اليمن، وبلغ أبرهة صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض ولم يقم إلا قليلاً حتى مات .

ميلاد محمد :

وقد سمت قريش هذا العام ، عام الفيل ، وعلى أثر انهزام أبرهة وقعت الحادثة التاريخية الكبرى في تاريخ الجزيرة العربية ، ألا وهي ميلاد منقذ الإنسانية الأكبر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

بطون قريش :

لما توفي قصي كانت بطون قريش قد صارت اثني عشر بطناً :

(١) بنو الحارث بن فهر .
(٢) بنو محارب بن فهر .
(٣) عامر بن لؤي .
(٤) عدي بن كعب .
(٥) سهم بن عامر .
(٦) بنو جمح بن عمرو .
(٧) بنو تيم بن مرة .
(٨) بنو مخزوم بن يقظة .
(٩) بنو زهرة بن كلاب .
(١٠) بنو أسد بن عبد العزى .
(١١) بنو عبد الدار .
(١٢) بنو عبد مناف .

ثم انقسمت عبد مناف الى بني هاشم ، بني أمية بن عبد شمس ، وبني المطلب وبني نوفل .

*

١٢ - أحوال العرب قبل الإسلام

الدين - اللغة - الكتابة - الأندية والأسواق -
العلوم والمعارف - التربية والتعليم - المرأة - المجتمع .

الـــدين :

رأس الأنبياء بعد حادثة الطوفان ابراهيم الخليل عليه السلام والأنبياء كلهم من بعده من عقبه ، وكانت النبوة في فرعين من ولده اسحاق واسماعيل . ومن الأول جميع أنبياء بني اسرائيل ، وأعظمهم وأبقـاهم أثراً ، موسى وعيسى عليهما السلام ، ويسمى دين الأول (اليهودية) ودين الثاني (النصرانية)، أما اسماعيل فهو داعية العرب الى دين ابراهيم ، ثم كان من ولده محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء .

وقد عرفت جزيرة العرب ، اليهودية والنصرانية قبل الإسلام ، فكانت اليهودية في اليمن ويثرب وما جاورها من أرض خيبر وتيماء . أما النصرانية ففي جهات من البحرين والحيرة وفي قبائل من طي وفي عرب الغساسنة ، وان كان المسيحيون منهم أبعد عن الروح الحقيقي لديانة المسيح التي تدعو الى السلم والتسامح .

وكانت سائر العرب تدين بدين ابراهيم ، ولما طال بهم الزمن وابتعدوا عن مكة كانوا يأخذون شيئاً من حجارة الحرم أو الكعبة لقصد التبرك بها ، فكان ذلك سبب انتشار تعظيم الحجارة والأصنام والتقرب بها الى الله عز شأنه . وكان (عمرو بن لحي الخزاعي) قد قدم ببعض التماثيل من الشام وأقامها على الكعبة ، ودعا العرب لتعظيمها ، ومن ثم أخـذ العرب ينصبون التماثـيل والأصنام

ويتقربون بتعظيمها الى الله . وقد حكى القرآن قولهم « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ومن أصنامهم المشهورة اللات والعزى ومناة وأعظمها (هبل) وكان على ظهر الكعبة ، وهو من عقيق أحمر على صورة انسان .

على أن أفراداً من العرب سمت عقولهم وسلمت فطرتهم أدركوا سخافة هذه التماثيل وعبادتها ، فوحدوا الله وأخلصوا له العبادة منهم زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ، فارق دين قومه وقال أعبد رب إبراهيم ، ومنهم ورقة بن نوفل ، وقد تنصر وكذلك عثمان بن الحويرث الأسدي .

اللغـــة :

لغة العرب ، إحدى اللغات السامية الحية ، التي تكلم بها قحطان وأخذها قبائل العرب القديمة ، ويقال لبني قحطان العرب العاربة ، وقد تعلم العربية من جرهم القحطانية التي نزلت الحجاز إسماعيلُ وبنوه ، وهم العرب المستعربة .

وبذلك كانت اللغة العربية فرعين : الفرع العربي الحميري وهو لغة العرب الأصلية ، والفرع العدناني أو الحجازي ، وهو لغة بني إسماعيل ، وبين اللغتين بون بعيد في الإعراب ، والضمائر وأحوال الاشتقاق والتصريف ، على أن اللغتين وإن اختلفتا لم تكن إحداهما بمعزل عن الأخرى ، لأن سكان الجنوب اليمنيين بما كان لهم من قوة ورقي قد استطاعوا أن يخضعوا العدنانيين لسلطانهم ، فكان ذلك سبباً في اتصال الشعبين سياسياً وتجارياً مما أدى إلى تقارب اللغتين في الألفاظ وتجانس اللهجتين في المنطق . ولما أخذت دولة الحميريين تدول استطاعت لغة عدنان أن تتغلب على لغة حمير وأدبها بفضل الأسواق والحج ومنافسة العدنانيين للحميريين والفرس ، واختلاطهم بالروم والحبشة ، من طريق الحرب والتجارة . ثم جاء الإسلام فساعد على محو اللهجات الجنوبية ، وذهـاب القومية اليمنية ، فاندثرت لغة حمير ، وآدابهم ، وأخبـــارهم حتى اليوم .

الكتابة :

يرى (ابن خلدون) أن الخط بلغ في دولة التبابعة في اليمن مبلغاً من الإحكام والجودة ، لما بلغت دولتهم من الحضارة والترف ، ويذهب إلى أن الخط انتقل من اليمن إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة اليمنيين في العصبية ، ومن الحيرة أخذه أهل الطائف وقريش ، على أنه يعترف بأن الخط المسند الحميري خط منفصل الحروف ، وليس الخط العربي الذي انتهى الى قريش على هذه الصورة .

هذا هو رأي بعض المؤرخين القدماء ، أما المتأخرون فيتلخص رأي بعضهم فيما كتبه الأستاذ (إبراهيم جمعه) في كتابه (قصة الكتابة العربية) قال :

« وقد أثبت البحث العلمي الدقيق أن العرب الشماليين اشتقوا خطهم من آخر صورة من خطوط النبط ، وعلى نحو ما استعار النبط خطهم الأول من الآراميين ، استعار العرب خطهم الأول من الأنباط . والصورة الأولى للخط العربي لا تبعد كثيراً عن صورة الخط النبطي ، ولم يتحدد الخط العربي من هيئته النبطية بحيث أصبح خطاً قائماً بذاته ، إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون لأنفسهم بقرنين من الزمان . وما تزال في الكتابة العربية حتى يومنا هذا في بعض الأقطار ، وفي كتابة المصاحف بوجه خاص آثار نبطية لم يستطع أن يتخلص منها الخط العربي على طول الزمن .

ويقول (إبراهيم جمعه) أن الثابت في رحلة الخط العربي هذه الى بلاد العرب ، أنها تمت بين منتصف القرن الثالث الميلادي ، ونهاية القرن السادس ، وهو الوقت الذي تم فيه تحول الخط العربي من صورته النبطية البحتة الى صورته العربية المعروفة التي نراه عليها الآن .

ولم تكن الكتابة منتشرة بين العرب حتى في اليمن المتحضرة ، وإنما كانت معروفة بين الخاصة منهم . أما البادية فلا تعرف الكتابة ، وربما كانت تعدها عيباً ، وقد وصف القرآن الكريم العرب بأنهم أمة أمية ، نظراً لقلة انتشار

الكتابة بينهم وانحصارها في أفراد قليلين « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم » ، وقد كان قلة الكتابة سبباً في اعتمادهم على قوة الحافظة ، فقد كانوا يحفظون القصائد والخطب الطويلة من مرة واحدة يسمعونها .

الأندية والأسواق :

كان للعرب أسواق ومجالس آداب تشبه في كثير من الوجوه الأندية اللغوية ، والمجامع العلمية التي للأمم المتمدينة في العصور الحاضرة . أما مجالس الآداب ، فكانوا يعتقدونها لمناشدة الأشعار ومبادلة الأخبار ، والبحث في بعض الشؤون العامة ، وكانوا يسمونها الأندية ، ومنها نادي قريش . وأما الأسواق ، فقد كانت أمكنة تجتمع فيها الناس في أوقات معينة للبيع والشراء ، وكان العرب يحضرونها بما عندهم من المآثر والمفاخر فينشدون الشعر ويلقون الخطب ، ويتحاكمون الى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غثه من سمينه ، فكان ذلك من أكبر الوسائل في شحذ الذهن وترقية الفكر وتهذيب اللغة .

ومن أشهر هذه الأسواق (عكاظ) بين نخلة والطائف تعقد السوق فيه ، في أوائل ذي القعدة الى عشرين منه و (مجنه) بالقرب من مكة بمر الظهران ينتقلون اليها من عكاظ فيقيمون فيه الى غاية ذي القعدة . (وذو المجاز) على فرسخ من عرفة يقيمون فيه ثمانية أيام من ذي الحجة ، ثم يعرفون في التاسع الى عرفة ، وهو يوم التروية .

العلوم والمعارف :

كان للحضر من الجاهليين علوم وفنون مدونة تتناسب ، وما وصلوا اليه من درجات التمدن والحضارة ، وكانت لهم قوانين موضوعة وشرائع مسنونة ومدارس ومعاهد للتربية والتعليم[١] ، فمن علومهم هندسة إرواء الأرض ، وعمارة

---

١ - تاريخ التربية ، لمصطفى أمين .

المدن ، والحساب ، وعلم الآلات ، والطب ، والبيطرة ، والزراعة ، والآداب ، غير أن هذه المعارف كلها عملية تعتمد على التجارب .

أما البدو منهم فقد كانوا أميين لا يقرءون ولا يكتبون ، ولكن الحاجة هدتهم الى جملة فنون كسبوها بالتجارب ، وتناقلوها بالرواية والسماع ، من ذلك الشعر والخطابة ، وعلم النجوم ، والأنساب والأخبار ، ووصف الأرض ، والطب والأنواء ومهاب الرياح ، والكهانة والقيافة والزجر والفراسة .

التربيـــة والتعليم :

كان الغـــلام من العرب في العصر الجاهلي يتمرن على أعمال آبائه ليسلك طريقهم ، في كسب العيش ، وتحصيل اللباس ، واتخاذ المسكن ، وليقتدر على مدافعة الأعداء ومنازلة الوحوش ، فالأسرة والعشيرة هي أهم الوسائل في تربية الطفل عندهم ، فيما سبق وفي تحصيل الأخلاق الفاضلة ، فقـــد كان الأحداث يأخذون عن آبائهم وأبطال عشيرتهم أخلاق الشجاعة والإقدام ، ويتعلمون منهم الكرم والوفاء والمروءة والنجدة ، والغيرة ، وغيرها من الأخلاق التي اشتهر بها العرب .

أما الحضر فقد كانت التربيـــة عندهم أرقى وأوفى ، كانت تنقسم قسمين ابتدائية وعالية ، وهناك من الدلائل ما يدل دلالة قاطعة على أنه كان لكل من القسمين ، مدارس ومعاهد خاصة به[1] وكان الأطفال في القسم الابتدائي يدرسون الهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة . كما كان الطلاب في القسم العالي يدرسون الهندسة العملية والحساب وعلم الفلك والطب وفن العمارة والنقش والآداب والتاريخ . وكانت لهم دور كتب يختلف إليها الطلاب ورواد العلم ، وقد عثر الباحثون في آثار مدائنهم على أنقاض مدرسة للأطفال ، حوت قراميد عليها دروس للأحداث في الحساب والهجاء ، وشملت فوق ذلك معجمات وكتباً للمطالعة وقواعد اللغة .

---

١ - تاريخ التربية .

المــرأة :

كان للمرأة العربية في الجاهلية من علو المنزلة ، وسمو المكانة ، وجميل الأخلاق ، ونبيل الصفات ، ما للرجل ، وفرة عقل ، وحصافة رأي ، وصفاء ذهن ، وطيب أخلاق وآداب ، وكانت تستشار في أمر زواجها ، وتترك لها الحرية في اختيار بعلها ، وكانت تتعلم الشعر والخطابة ، وكثيراً من الأعمال والفنون التي يجيدها الرجال ، وتتعلم فوق ذلك تدبير المنازل وإعداد الطعام ، ورعي الماشية ، وغزل الصوف ، والضرب على المعــازف من دفوف وطبول ومزاهر ، ومداواة الجرحى في أوقات الحرب ، كما كانت الأم العربية تعد بنتها لتكون زوجة صالحة ترعى حقوق زوجها ، ولتكون في المستقبل أماً تحسن تربية الأطفال وتهذيبهم .

غير أن بعض القبائل العربية كأسد وتميم قست قلوبهــا ففشت بينهم عادة وأد البنات ، خوفاً من العار الذي قد يلحق بهم من أجلهن ومنهم من كان يأتيه خشية الإنفــاق وخوف الفقر . وهذه الوصمة لم تكن من العادات الفاشية بين العرب ، وإنما اختصت بها قبائل قليلة .

وكان للزوجة المكانة السامية الثانية بعد الأب في الأسرة ، يجلها الزوج ويشركها في أمره ، ويتغنى باسمها في شعره ، ويفتخر الولد بنسبته إلى أمه كما يفتخر بنسبته إلى أبيه ، وكان عقد الزواج هو الرباط الغالب بين الرجل والمرأة ، وللرجل وحده حق الطلاق ما لم يشترط عند العقد خلاف ذلك .

المجتمــع :

كان المجتمع العربي مجتمع القبيلة والخيمة لا مجتمع الشعب والأمة ، وكانت الحكومة أو السلطة لرؤساء العشاير يملكون بالإرث ، ويحكمون بالعرف . إلا ما كان من النظم السياسية المعروفة عند التبابعة في اليمن والمناذرة والغساسنة في الحيرة والشام ، وفيما خلا هذه المقاطعات كان العرب بدو بالفطرة ، يعيشون

تحت الخيام على رعي الأنعام ، فيطعمون من لحمها ولبنها ويكتسون بصوفها ووبرها . ويتتبعون بها مواقع القطر ورياض الأرض . إلا قريشاً فقد تحضروا كما سبق لقيامهم على البيت الحرام ، وإيلافهم رحلة اليمن والشام ، فإذا أخلفت السماء ، وأمحلت وجوه الأرض أغار بعضهم على بعض ، وغزا بعضهم بعضاً . فكان من نتائج الجدب والحرب ذهاب الأمن ، وتصدع أركان الألفة فيما بينهم وكانوا لذلك يتمدحون بالبأس والسماحة ، ويتبجحون باللسن والفصاحة ، ويتكاثرون بالنفر العديد . ويعتزون بالقرابة الواشجة .

« وجملة القول[1] ان المجتمع العربي خارج القبيلة كان مفككاً من الجهة السياسية والاقتصادية واللغوية ، مرتبطاً من الجهة الخلقية والعقلية والأدبية . ولو ساغ لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم وأدبهم لوجدنا لهم نفوساً كبيرة وأذهاناً بصيرة ، وحنكة خبيرة ، ومعارف واسعة ، كوّنوا أكثرها من نتاج قرائحهم ، وثمار تجاربهم . فإن لغتهم وهي صورة اجتماعهم لم تدع معنى من المعاني التي تتصل بالروح والفكر والجسم والجماعة والأرض والسماء وما بينهما إلا استوعبت أسماءه ورتبت أجزاءه ، ووضع اللفظ للشيء دليـــل على وجوده وعلمه ، ولا يكون التمدن اللغوي إلا بعد تمدن اجتماعي راق في حقيقته وإن لم يرق في شكله ، عام في أثره ، وإن لم يعم في أهله » .

—

١ – تاريخ الأدب العربي (للزيات)

١٣ - الحادثة التاريخية الكبرى

مكة وقريش - أعظم مولود عرفه التاريخ - محمد (ص) يتلقى دروس الحياة - حرب الفجار - حلف الفضول - قريش تعيد بناء الكعبة - نذر الانقلاب - الرسالة الخالدة - الهجرة - الجهاد - دعوة الملوك الى الإسلام - وفود العرب - الرفيق الأعلى .

مكة وقريش :

في أواسط القرن السادس الميلادي ، ارتد تيار النهضة العربية من الجنوب والشمال إلى الحجاز ، وتدفق في مدنه ، ولا سيما مكة التي كانت يومئذ مثابة العرب لوجود البيت ومعقل العروبة ، لاعتصامها بالصحراء من النفوذ الأجنبي ومجمع الثروة لوقوعها في طريق القوافل الآتية من الجنوب ، تحمل متاجر الهند واليمن الى الشام ومصر ، يقصدها العرب من أطراف الجزيرة يشترون منها السلع الأهلية والأجنبية ، ويقضون مناسك الحج ، ويشهدون موسم عكاظ ، ويتذوقون في ظلال الأشهر الحرم نعمة السلام ولذة الهدوء .

وكانت قريش قطب الرحى لهذه الحركة الدينية والاقتصادية والاجتماعية ، لولايتها على الكعبة ورياستها في عكاظ ، وزعامتها في التجارة ، وغناها من رحلات الشتاء والصيف ، وتقلبها في البلاد ، وصلتها بمختلف الشعوب ، فأخضعت العرب لسلطانها بالدين والشرف والمال ، وفرضت عليهم لغتها وأدبها .

أعظم مولود عرفه التاريخ :

في هـذا الظرف الذي كانت فيه قريش تتمتع بالسيادة على العرب في مدينتها المقدسة ، وقعت الحادثة التاريخية الكبرى التي غيرت وجه التاريخ ،

لا في جزيرة العرب فقط ، ولكن في بقاع المعمورة بأسرها . فقد ولدت آمنة بنت وهب القرشية إحدى سيدات بني زهرة (محمداً) بن عبدالله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل الموافق (٢٠) أغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية ، على أرجح الأقوال . وقد توفي أبوه وهو ما زال جنيناً في بطن أمه ، وماتت أمه وهو طفل في الشهر السادس من عمره فأرضعته حليمة السعدية ، ومات جده عبد المطلب ، وهو ما يزال في الثامنة ، فآلت كفالته الى عمه أبي طالب أنبل قريش وأكرمهم مكانة في قومه .

محمد عليه السلام يتلقى دروس الحياة :

رحل (محمد) عليه السلام الى الشام مرتين : الأولى وهو في الثانية عشرة من عمره ، والثانية : وهو شاب في الخامسه والعشرين ، مرّ فيهما بوادي القرى ومدين ، وديار ثمود ، وعرف طرق القوافل في الصحراء، واستمع الى حديث العرب وأهل البادية ، عن هذه المنازل وأخبارها وماضي نبئها ، ووقف من بلاد الشام عند الحدائق الغناء اليانعة ، ورأى أحبار الروم ونصرانيتهم ، وسمع عن كتابهم ، وعن مناوأة الفرس من عباد النار لهم ، وانتظارهم الوقيعة بهم .

وكان يحضر الأسواق المجاورة لمكة بعكاظ ومجنة وذي المجاز ، يستمع الى إنشاد الشعراء وخطب الخطبــاء ، ومن بينهم اليهود والنصارى الذين كانوا يأخذون على إخوانهم من العرب وثنيتهم ، ويحدثونهم عن كتب عيسى وموسى وكان له من عظمة الروح ، وذكاء القلب ، ورجحان العقل ، ودقة الملاحظة، وقوة الذاكرة ، ما جعله ينظر الى ما حوله ومن حوله نظرة الفاحص المحقق .

حرب الفجار :

وقد حمل (محمد) عليه السلام السلاح ، إذ وقف إلى جانب أعمامه في حرب الفجار ، وهو بين الخامسة عشرة والعشرين من عمره ، وسببها أن النعمان ابن المنذر كان يبعث كل سنة قافلة من الحيرة الى عكاظ تحمل المسك ، وتجيء

بديلا منه بالجلود والحبال وأقمشة اليمن المزركشة ، فعرض البراض الكناني نفسه عليه ليقود القافلة في حماية قبيلته كنانة ، وعرض عروة الهوازني نفسه كذلك ، فاختار النعمان عروة فتبعه البراض ، وغاله وأخذ قافلته . فأرادت هوازن أن تأخذ بثأرها من قريش ، فنشبت الحرب ، وظلت أربع سنوات تباعاً انتهت بعدها إلى الصلح .

حلف الفضول :

وحضر (محمد) عليه السلام حلف الفضول الذي عقده بنو هاشم وزهرة ، وتيم في دار عبدالله بن جدعان ، حيث تعاقدوا وتعاهدوا لتكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة . وكان عليه السلام يقول ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم لو دعيت به لأجبت .

وقد دعاهم إلى عقد هذا الحلف شعورهم بما أصابهم بعد موت هاشم وعبد المطلب : من تفرق الكلمة ، وتنازع السلطة . الأمر الذي أطمع فيهم العرب كما فعلت هوازن في حرب الفجار ، وسميت (فجاراً) لأنها وقعت في الأشهر الحرم .

قريش تعيد بناء الكعبة :

طغى على الكعبة سيل عظيم ، انحدر من الجبال فصدع أركانها ، وترددت قريش في أمر هدم الكعبة وإعادة بنائها مخافة أن يصيبهم أذى لما كان يحيط بها من أساطير تخيف الناس من الإقدام على تغيير شيء من أمرها . ولكن الوليد ابن المغيرة أقدم في شيء من الخوف فدعا آلهته وهدم بعض الجانب من الركن اليماني ، وأمسى القوم ينتظرون ما الله فاعل بالوليد . فلما أصبح ولم يصبه شيء أقدموا يهدمون وينقلون الحجارة ، ومحمد عليه السلام ينقل معهم .

ونقلت قريش أحجار الجرانيت الأزرق من الجبال المجاورة للبدء في البناء وبدأت فيه ، فلما ارتفع الى قامة الرجل وآن أن يوضع الحجر الأسود المقدس

في مكانه ، في الجانب الشرقي ، اختلفت قريش أيهم يكون له فخار وضع الحجر في هذا المكان ، واستحر الخلاف حتى كادت الحرب الأهليـة تنشب بسببها ، وقرب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، وأدخلوا أيديهم فيه توكيداً لأيمانهم ، ولذلك سموا (لعقة الدم) .

ورأى أبو أمية بن المغيرة المخزومي ، ما صار إليه أمر القوم وكان فيهم شريفاً مطاعاً، فقال لهم : اجعلوا الحكم فيما بينكم أول من يدخل من باب الصفا ، فكان (محمد) عليه السلام أول داخل ، فقالوا : هذا (الأمين) رضينا بحكمه ، فوضع الحجر في ثوب وقال ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف منه ، ثم رفعوه إلى ما يحاذي موضع الحجر من البناء ، فأخذه (محمد) ووضعه في موضعه . وبذلك انحسم الخلاف وانفض الشر . وكان سن (محمد) عليـــه السلام حينذاك خمساً وثلاثين سنة ، فيما يروي ابن إسحاق .

نـذر الانقـلاب :

لم يبق لرجل في مكة من السلطة والمكانة ، ما كان لقصي أو هاشم أو عبد المطلب ، فهذا الخلاف بين القبائل والتحالف بين لعقة الدم . وتنازع السلطان بين بني هاشم وبني أمية . كل ذلك يدل على انحلال السلطة في مكة . الأمر الذي أدى إلى مزيد من حرية الناس في التفكير ، والجهر بالرأي . والى إقدام اليهود والنصارى على تعيير العرب بعبادة الأوثان . بل انتهى بكثير من أهل مكة إلى زوال قداسة الأصنام من نفوسهم ، وإن ظل سادة مكة يظهرون لها التقديس طمعاً في الاحتفاظ بمكانة مدينتهم الدينية والتجارية .

وكان الأعراب في قفار البادية ، يفتك بهم الجهل والجدب والحرب ويعانون عنت الكبراء وفقد الأمن ، وتوزع الثروة على مقتضى السيادة والقوة ويقاسون في ارزاقهم فحش الربا ، وأكل السحت ، وتطفيف الكيل ، والشعراء ينتقلون من سوق إلى سوق ، ومن ماء إلى ماء . يضربون على أوتار العصبية ويؤرثون

نار العداوة والخلاف بين القبائل، واليهود في يثرب واليمن فوق نشاطهم الصناعي والزراعي يشيعون أكل الربا ، وينشرون تعاليم التوراة .

ولم تكن هذه المادية القبيحة ، والنظام الفاسد ، وتبلبل الأفكار مما اختصت به جزيرة العرب فقط ، فقد كانت أحوال العالم الاجتماعية والدينية والسياسية ، تنذر بالزوال ، والانقلاب ، فبيزينطية حاضرة الروم أخذت في جدل عقيم في أمر دينها ، وفارس قد سخر فيها المجوس بدينهم واندفعوا يقتتلون على المطامع المادية .

وبالجملة فقد كان ظهور الإسلام ، في ذلك الحين نتيجة محتومة لتلك الحال . ونقضاً صريحاً لتلك الحياة .

الرسالة الخالدة :

كان (محمد) عليه السلام يطيل التفكير فيما حوله ، ويقلب في صحف ذهنه كل ما وعي ، متلمساً أسباب الهدى ، طامعاً في الوصول إلى الحقيقة . وبينما هو في غار حراء ذات يوم يتحنث كعادته عند ما بلغ الأربعين ، جاءه الملك الذي أفضى إليه بأول قطعة من الوحي ، إعلاماً بنبوته ، وإيذاناً بأن الله اختاره لإعلاء رسالته الخالدة ، وإبلاغها إلى العالمين . وكان ذلك في سنة (٦١٠) ميلادية .

كانت رسالة (محمد) عليه السلام تقوم على أساسين ، هما : الإيمان والإحسان ، أي العمل الصالح ، وهي بعد ذلك في مجموعها ثورة اجتماعية قلبت العقلية العربية قلباً ، وشنت على الجاهلية حرباً ، ورسمت للاجتماع مثلاً أعلى يخالف ما ألفوه ، ويناقض ما عرفوه ، فماتت العصبية القومية ، والجنسية ، وأصبحت السيادة للدين لا للنسب ، والإخاء في الله لا في العصب . على أن بعض الأعراب لم ينزعوا عن جاهليتهم وعصبيتهم ، وكذلك بعض من لم يتشبعوا بروح الدين ، من متحضري العرب ، وبذلك نستطيع أن نفسر إسراع كثير

من العرب إلى الردة عن الإسلام عقب وفاة النبي مباشرة . وبذلك أيضاً نعلل اشتداد الخصومة بين الهاشميين والأمويين فيما بعد وبين العدنانيين والقحطانيين كذلك .

الهجـــرة :

استمر النبي عليه السلام ، ثلاث سنوات يدعو إلى الإسلام سراً أعلن بعدها الدعوة الى الدين الجديد ، وعاب آلهة قريش وندد بدينها ، وقد أرهقته قريش ومن أسلم معه بألوان الأذى ، وأدخلت إلى نفس أهل مكة جميعاً من الروع ما صد أكثرهم عن اتباعه . لذلك فقد فكر النبي عليه السلام في الهجرة عن مكة ليكون له ولأصحابه من الحرية في الجهر بالدين والدعوة اليه ما يكفل لهم النجاح ، فهاجر الى يثرب (المدينة) بعد عدة اجتماعات عقدها سراً في مكة مع بعض الأوس والخزرج سكان يثرب الذين يفدون إلى مكة في أيام الموسم ، وكان قدومه المدينة ، في يوم الإثنين لثمان خلت من ربيع الأول سنة ٥٣ من مولده الشريف ، ويوافق هذا اليوم (٢٠) سبتمبر سنة ٦٢٢ م.

وقد كان الأوس والخزرج من عباد الأوثان . وكان بينهم وبين يهود يثرب عداوة شديدة . أدت الى القتال أحياناً ، وقد لجأ اليهود كعادتهم الى الوقيعة والتفريق بين الأوس والخزرج ليكونوا بمأمن منهم ومن عدوانهم ، وليتفرغوا للتجارة وجمع الثروة ، وقد نجحوا في سياستهم ، فاشتدت العداوة بين الحيين ، ونشبت بينهما الحروب ، وكان آخرها يوم (بعاث) الذي انهزمت فيه الخزرج شر هزيمـــة ، ولكن الله تعالى جمعهم بالإسلام وألف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمته إخواناً .

الجهـــاد :

صبر النبي عليه السلام وأصحابه عـــلى الأذى في مكة ثلاثة عشر عاماً ، ولكن الدين الجديد الذي احتمل فيه هـــذا الأذى والذي هاجر في سبيله الى

يثرب لا يقر الضعف ولا اليأس ولا الاستكانة ، وإذا كان يمقت الاعتداء وينكره ويقرر الإخـــاء ويدعو اليه ، فإنه يفرض الدفاع عن النفس وعن الكرامة ، وعن حرية العقيدة وعن الوطن ، هذه سياسة النبي عليه السلام التي اتجــه اليها عقب استقراره في المدينة حتى تم له فتح مكة ، وحتى مكن للدين الجديد في الأرض ، وعلت بذلك كلمة الحق .

كان لأهل مكة والطائف ، تجارة واسعة النطاق ، حتى لقد كانت بعض القوافل تسير في ألفي بعير حمولتهـــا تزيد على خمسين ألف دينار ، وكانت صادرات مكة السنوية على ما قدرها بعض المستشرقين توازي مائتين وخمسين ألفاً من الدنانير ، أي نحو مائة وستين ألف جنيه ذهباً ، فرأى النبي عليه السلام أن يعرض هذه التجارة للخطر من ناحيته وناحية أصحابه ، حتى تضطر قريش الى التفكير في التفاهم معه لكفالة حرية الدعوة الى الإسلام ، وحرية الدخول الى مكة لأداء الشعائر الدينية ، وقد وادع النبي عليه السلام لهذا الغرض القبائل المقيمة على طريق هذه التجارة ، وتحالف معها ، وقد جهز النبي عليه السلام السرايا والرحـــلات المسلحة تتعرض لعـير قريش ، وتريهم قوة المهاجرين واستعدادهم للدفاع عن دينهم ، حتى لا يتطرق الى قريش أو غيرهم من العرب مطمع في إعنات المسلمين والتعرض لهم ، كما كان النبي عليه السلام يرمي بذلك الى ارهاب اليهود المقيمين في المدينة وحواليها الذين بدءوا يقلبون للنبي ظهر المجن ، ويعملون على الوقيعة به ، ويثيرون البغضاء بين المهاجرين والأنصار ، ويحاولون إيقاظ الأحقاد الماضية بين الأوس والخزرج بذكر يوم بعاث وما قيل من الشعر فيه .

وقد اتفق في سرية عبد الله بن جحش ، أن رمى فيها أحد المسلمين عمر بن الحضرمي بسهم فقتله ، فكان أول دم أراق المسلمون ، وقد حاولت قريش بذلك أن تثير شبه الجزيرة كلها على النبي وأصحابه ، حتى لقد أيقن النبي أن لم يبق في مصانعتهم ، أو في الاتفاق معهم رجاء ، وكانت هذه الحادثة من بـين الأسباب التي أدت الى غزوة بدر ، والغزوات التي تتابعت بعدها ، وكما حارب

النبي قريشاً في بدر وأحد والخندق ، غزا غيرهم من العرب كثقيف وهوازن وبني المصطلق ولحيان ، وغزا ايضاً يهود بني قينقاع وخيبر وبني قريظة والنضير كلُّ ذلك تنفيذاً لسياسته العليا في حماية الدعوة والدفاع عن العقيدة .

دعوة الملوك الى الاسلام :

كانت فارس والروم أقوى دول العالم في العصر الذي رافق هجرة النبي عليه السلام ، وامتداد سلطان الإسلام بعد الهجرة ، وكانت اليمن والعراق تحت نفوذ فارس ، ومصر والشام تحت نفوذ (هرقل) ، أما بلاد العرب فقد كان يحكمها أمراء متعددون لهم نفوذ محصور ، ما خلا الحجاز التي بدأ الإسلام يبسط سلطانه عليه ، لذلك فقد أرسل النبي عليه السلام رسله الى ملوك الجزيرة والدول المتاخمة لها ، قبل غزوة خيبر بقليل أو بعدها على اختلاف بين المؤرخين ، وكتب مع كل رسول كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام ، وكان عدد الرسل كالآتي :

١ – دحية بن خليفة الكلدي – الى – هرقل ملك الروم
٢ – عبدالله بن حذافة السهمي – « – كسرى ملك فارس
٣ – عمرو بن أمية الضمري – « – النجاشي ملك الحبشة
٤ – حاطب بن أبي بلتعة – « – المقوقس ملك مصر
٥ – شجاع بن وهب الأسدي – « – الحارث الغساني ملك الشام
٦ – المهاجر بن أمية المخزومي – « – الحارث الحميري ملك اليمن
٧ – عمرو بن العاص السهمي – « – ملكي عمان
٨ – سليط بن عمرو – « – ملكي اليمن

وقد عاد هؤلاء الرسل الى النبي عليه السلام بما حملوا من رسالات في أكثرها

رقة وعطف ، وفي بعضها غلظة وشدة ، وكان كسرى أقبحهم رداً ، فقد استشاط غضباً ومزق الكتاب وأرسل الى بازان عامله على اليمن أن يبعث اليه برأس هذا الرجل الذي بالحجاز ، أما هرقل والنجاشي والمقوقس ، فقد كان ردهم حسناً ، وكذلك أمير البحرين الذي أسلم ، وأمير اليمامة الذي أظهر استعداده للإسلام إذا بقي على حكمه ، ولم يكن رد أميري اليمن وعمان بالرد الحسن .

وفود العرب :

كانت السنة العاشرة من الهجرة سنة الوفود ، فقد ترك فتح مكة وانتصار المسلمين في حنين، وانسحاب الروم أمامهم في تبوك ، أثراً عميقاً في نفوس قبائل العرب . فدخلوا أفواجاً في دين الله ، وقدمت وفودهم على النبي عليه السلام تعلن إسلامها وتعبر عن طاعتها وإذعانها ، حتى لم يبق في شبه الجزيرة بطن أو قبيلة إلا أسلم ، ما عدا أقلية أخذتهم العزة بالإثم ، منهم عامر بن الطفيل العامري الذي قال للنبي عليه السلام : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، وقد أصابه الطاعون في عنقه ، وقضى عليه عقب عودته من مقابلة النبي عليه السلام ، ومنهم مسيلمة بن حبيب الذي ادعى النبوة في قومه بني حنيفة ويزعم بأنه شريك محمد في الرسالة ، وأنه يوحى اليه .

وكانت الوفود التي تتوالى على النبي في المدينة ، مزيجاً من المشركين وأهل الكتاب ، وكان النبي يكرم كل وافد عليه ويرد الأمراء مكرمين الى إماراتهم ، ومنهم الأشعث بن قيس الكندي ، قدم في ثمانين راكباً من قومه ، ودخلوا المسجد على النبي وقد رجّلوا لممهم ، وتكحلوا ، ولبسوا جبب الحبر بطنوها بالحرير ، فقال لهم : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما هذا الحرير في أعناقكم ، فشقوه .

ومنهم وائل بن حجر الكندي ، قدم مع الأشعث ، فكان أمير بلاد

الشاطىء من حضرموت ، فأسلم وأقره النبي في إمارته ، على أن يجمع العشر من أهل بلاده ، ليرده الى جباة الرسول .

وقدمت عليه رسل ملوك حمير بإسلامهم ، وهم الحارث بن عبد كلال وأخوه نعيم ، والنعمان قيل ذي رعين ، ومعافر وهمدان ، كما كتب اليه بإسلامه فروة ابن عمرو الجذامي عامل الروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان من أرض الشام ، فلما بلغ الروم إسلامه حبسوه ثم قتلوه .

ومن بين الوفود ، وفود تميم وربيعة وقحطان ومواد ، وثقيف ، وأسد ، والأزد ، وغسان ، ومهرة ، ونجران ، ومذحج ، وخثعم ، والنخع وغيرهم ، وأول من وفد من اليمن في السنة العاشرة من البعثة ، قبل الهجرة نصارى نجران الذين سمعوا القرآن وآمنوا به ، وأول من وفد منهم بعد الهجرة وفد الأشاعرة ، أبو موسى وأصحابه أهل وادي زبيد .

وأرسل النبي عليه السلام عماله على اليمن وحضرموت ، فجعل على أعمال الجند معاذ بن جبل ومعه أبو موسى الأشعري ، وعلى صنعاء وأعمالها المهاجر ابن أمية المخزومي ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي ، وكان هذا يقيم (بتريم) ، وأقام له نواباً في بعض البلاد يجمعون الصدقات ويعلمون الناس أحكام الدين ، وقد ظل زياد عاملاً على حضرموت حتى خلافة أبي بكر

الرفيق الأعلى :

لقد جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وشعر النبي عليه السلام ، في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة بحمى تنتابه ، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة ، فأذن له ، وفي يوم الأثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة هجرية الموافق ثمانية (يونيه) سنة

٦٣٢ ميلادية لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى من الجنة ، وفارق الحياة الدنيا بعد أن أكمل الله به الدين ، وأتم نعمته على المسلمين .

وقد اجتمع أصحابه قبـــل دفنه في سقيفة بني ساعدة يأتمرون فيمن يقوم بأمر المسلمين بعده ، فلما تمت البيعة لأبي بكر ، أقبلوا على تجهيز النبي عليه السلام يوم الثلاثاء فغسل في قميصه ، وكفن في ثلاثة أثواب ، ووضع عـلى سريره ودخل الناس يصلون عليه أفراداً ، وقد انتهوا من صلاتهم منتصف ليلة الأربعاء ، ودفن في الموضع الذي مات فيه من حجرة السيدة عائشة بنت الصديق ، في الجهة الشرقية الشمالية من المسجد ، وكانت سنه عليه السلام إذ ذاك ثلاثا وستين سنة قمرية .



١٤ - بلاد العرب بعد انتشار الإسلام

عهد الخلفاء الراشدين

ارتجاج الجزيرة – حزم الصديق – قتال المرتدين – الأشعث بن قيس – انتصار المسلمين – وحدة العرب – عمال الجزيرة في عهد الخليفة الأول – عاصمة الخلفاء الراشدين – نظام الحكم – واردات الدولة – النقود – التعليم – نظرة عامة .

ارتجاج الجزيرة :

كان النبي عليه السلام مناط الاستقرار في الجزيرة العربية بعد نجاح دعوته ودخول العامة والخاصة في دينه ، فلما توفي عليه السلام غاب مناط الاستقرار فحدث ما لا بد ان يحدث وطرأ التقلقل الذي لا مناص منه في كل بيئة ريثما يزول الأثر الطارىء وترجع الأمور إلى نصاب[1] .

اجتمع كبار الأنصار في سقيفة بني ساعدة يبتون بينهم في مصير الخلافة ، لأنه مصير لا بد لهم من البت فيه ومضى كبار المهاجرين ليحضروا هذا الاجتماع في السقيفة ولينقذوا الموقف المضطرب بما هيئوه من تدابير كان لها الأثر الفعال في الاستقرار الذي شمل الجزيرة العربية وبايع الناس أبا بكر وتخلف البعض عن البيعة ومنهم عترة النبي وأقربهم إليه وأعظمهم إيماناً بدينه والغيرة عليه .

واضطرب اناس في مكة قريبو عهد بالنفاق فهموا بالعصيان لولا نذير من السلطان ، واضطراب القبائل من أعراب البادية وغيرهم فالبعض منهم يرى

---

١ - العقاد في عبقرية الصديق .

أنه إذا أخلص للنبي في حال حياته فلا مانع من أن يخرج على من ولي الحكم بعده وقد عبر عن هذا المعنى حارثة بن سراقة الكندي أحد المتخلفين من البيعة من الحضارم بقوله :

أطعنا رسول الله مذ كان بيننا فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر
أيورثها بكراً إذا كان بعده فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وامتنع فريق عن أداء الزكاة متأولين قول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » وقالوا لا ندفع زكاتنا إلا الى من صلاته سكن لنا فهم لم ينكروا الفريضة وإنما أنكروا الجباة .

وكان في بعض أنحاء الجزيرة مشعوذون لم يفهموا الإسلام ولم يعقلوا قط أنه دعوة إصلاح لخير الناس فتوهموا أنه حيلة كاهن أفلحت ، فطمعوا في الفلاح لأنهم كهان ، وتطلعت رؤوسهم إلى الفتنة . فادعى مسيلمة النبوة في قومه بني حنيفة باليمامة وادعاها طليحة في بني أسد والأسود العنسي في اليمن . وكان في اليمن وحضر موت أسر معرقات في الحكم برزت في هذا الاضطراب كعوامل للفتنة التي أنتجها اضطراب ميزان الأمور .

حزم الصديق :

وقد قابل الخليفة الأول فتنة الردة هذه بأحزم ما تقابل به من بدايتها الى منتهاها وبادرها بالحزم من صيحتها الأولى وتعقبها بالحزم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة حتى أسلمت مقادها وثابت إلى قرارها .

وقد تردد كبار الصحابة وفي مقدمتهم الفاروق في متابعة أبي بكر على رأيه في أخذ المرتدين بالشدة ولكنهم نزلوا أخيراً عند هذا الرأي ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه حتى تمزق شمل الفتنة وساد الأمن والاستقرار أنحاء الجزيرة .

قتال المرتدين :

توجه الأمراء والجنود لقتال المرتدين والمتخلفين عن البيعة عقب عودة أسامة ابن زيد من الشام وفيما يلي بيان موجز عن المواضع التي اتجهت إليها :

١ – خالد بن الوليد إلى طليحة بن خويلد الأسدي ثم مالك بن نويرة
٢ – عكرمة بن أبي جهل « مسيلمة باليمامة .
٣ – المهاجر بن أبي أمية « الأسود العنسي بصنعاء .
٤ – حذيفة بن محصن « أهل دبا بعمان .
٥ – عرفجة بن هرثمة « أهل مهرة .
٦ – سويد بن مقرن « تهامة اليمن .
٧ – العلاء بن الحضرمي « البحرين .
٨ – طريفة بن حاجز « بني سليم وهوازن .
٩ – عمرو بن العاص الى قضاعة .
١٠ – خالد بن سعيد « مشارف الشام .

وقد حصلت وقائع حربية بين هؤلاء القواد وبين المرتدين من العرب كان النصر فيها جميعها حليف جيوش الخليفة ولم تنقض السنة التي لحق فيها الرسول بربه حتى عادت الجزيرة العربية أشد إيماناً بدينها وأقوى تمسكا به .

الأشعث بن قيس :

كتب أبو بكر الى عامله بحضرموت زياد بن لبيد يخبره بوفاة النبي ويأمره بأخذ البيعة على من قبله من أهل حضرموت ، فقام فيهم زياد خطيباً وعرفهم موت النبي عليه السلام ودعاهم الى بيعة أبي بكر ، فامتنع الأشعث بن قيس من البيعة واعتزل في كثير من كندة وبايع زياداً خلق آخرون[١] .

ولما رأى زياد اجتماع عظماء كندة على الأشعث كتب إلى أبي بكر يستمده فأمر ابو بكر المهاجر بن أبي أمية عامله على صنعاء أن يمده وأن يسير مع عكرمة بن أبي جهل لمحاربة الأشعث وكان عكرمة قد جاء من عمان ومعه خلق كثير من مهرة والأزد وعبد القيس ، فلقيا الأشعث ، ففضا جموعه وقتلا منهم

١ – ياقوت الحموي .

مقتلة كبيرة ، فلجئوا إلى حصن لهم يدعى النجير ، فحصرهم المسلمون حتى أجهدوا ، فطلب الأشعث الأمان . ونزل إلى زياد والمهاجر ، فقبضا عليه وبعثا به إلى أبي بكر أسيراً فمنّ عليه ابو بكر وزوجه أخته أم فروة ولم يزل بالمدينة إلى أن سار إلى العراق غازياً ومات بالكوفة ، فصلى عليه الحسن بن علي بعد صلح معاوية .

ويروي ابن الاثير « ان بني معاوية كلها أطبقت على منع الصدقة إلا شرحبيل بن الصمت وابنه فإنهما قالا لبني معاوية إنه لقبيح بالأحرار التنقل ، إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق إلى الباطل والقبيح اللهم إنا لا نمالىء قومنا على ذلك » .

ويقول ابن الأثير أيضاً « إن شرحبيل هذا هو وامرأ القيس بن عابس أشارا على زياد بتبييت القوم ، فطرقهم ليلا وقتل ملوكهم الأربعة وهم محوس ومشرح وجمد وأبصعة وأختهم العمردة وكانوا قد ثملوا من الشرب وهؤلاء الملوك هم بنو معد يكرب بن وليعة وكان لكل واحد منهم واد يملكه » .

انتصار المسلمين – وحدة العرب :

لقد كان انتصار المسلمين في حروب الردة دليلا قاطعاً على أن العرب أشربت نفوسهم مبادىء التوحيد ولذلك لم يقل احد من الذين ادعو النبوة أنهم يدعون الناس إلى وثنيتهم والى جاهليتهم الأولى كما دل على ان الذين امتثلوا هذه المبادىء من أصحاب رسول الله المهاجرين والأنصار قد وهبوا لها نفوسهم فلا غالب لهم ومن ثم أسرعت وحدة العرب الى التماسك والثبات فلم يمض عام من خلافة أبي بكر حتى كان المسلمون العرب يواجهون الفرس في دلتا الفرات فيقهرونهم . ولم ينقض العام الثاني حتى كانوا يواجهون الروم في الشام ويثبتون لهم . وكذلك مهد أبو بكر للفتح وللإمبراطورية بعد أن هيأ الدين الجديد لها القلوب والأفئدة .

عمال الجزيرة في عهد الخليفة الأول :

قسم أبو بكر الجزيرة العربية الى ولايات جعل على كل ولاية عاملا من قبله يقيم الصلاة ويفصل في القضايا ويتولى تنفيذ الحدود وكانت جزيرة العرب جميعها قد دخلت نهائياً تحت الإدارة الإسلامية وهؤلاء هم عمال الجزيرة :

١ – عتاب بن أسيد عاملا على مكة .
٢ – عثمان بن أبي العاص » » الطائف
٣ – المهاجر بن أبي أمية » » صنعاء
٤ – زياد بن لبيد » » حضرموت
٥ – يعلى بن أمية » » خولان
٦ – أبو موسى الأشعري » » زبيد ورمع
٧ – معاذ بن جبل » » الجند
٨ – جرير البجلي » » نجران
٩ – عبد الله بن ثور » » جرش
١٠ – العلاء بن الحضرمي » » البحرين

عاصمة الخلفاء الراشدين :

تسمى الدولة الأولى من دول الإسلام بدولة الخلفاء الراشدين وتبتدىء بخلافة أبي بكر عقب وفاة النبي مباشرة، سنة ١١ من الهجرة وتنتهي بقتل الإمام على سنة ٤٠ من الهجرة، وكانت المدينة هي العاصمة الإسلامية الأولى منذ اتخذها النبي عليه السلام مقراً لإقامته كما كانت العاصمة السياسية للخلفاء الراشدين إلى أن غادرها الخليفة الرابع علي بن أبي طالب الى الكوفة سنة ٣٦ هـ.

نظام الحكم :

كان نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين في دور التكوين حيث كان واضح الأساس في كتاب الله وفي سنة رسوله مبهم التفاصيل وخصوصاً في عهد الخليفة

الأول إذ كانت حكومته أدنى الى الحكومة العسكرية منها الى الحكومة المدنية فلم يكن في عهده للدولة جيش نظامي بل كانت الفروسية تجعل من كل عربي جندياً فاذا دقت طبول الحرب ونادى المنادي للقتال خرجت القبائل وعلى رأس كل جماعة زعيمها ومعهم ميرتهم وذخيرتهم لا يكلفون الحكومة المركزية شيئاً ويعتمدون في معاشهم على ما يغنمون في الحرب فقد كانوا يأخذون أربعة أخماس الغنائم ويرسلون الخمس الى الخليفة ليضعه في بيت المال ولينظم به الشؤون العامة القليلة التي يتولاها بصورة مباشرة .

ولم يكن لأبي بكر وزير ، وإنما كان عمر يلي القضاء ، وأبو عبيدة أميناً لبيت المال قبل أن يسيّره إلى الشام. وكان يكتب له الرسائل عثمان بن عفان وزيد بن ثابت .

وأول من عين قضاة ، لفصل القضايا بين الناس مستقلين عن الأمراء عمر ابن الخطاب وقد وضع لهم أنموذجا يسيرون عليه . وكان للقضاة رزق من بيت المال ، كما وضع ابن الخطاب دواوين لإحصاء الجنود وضبط خرج الدولة ودخلها،ورتّب للجنود رزقاً من بيت المال،وكان لكل جندعرفاء يلون أمورهم ويقبضون أرزاقهم ويوزعونها عليهم ، كما أقام في كل ثغر جنوداً مرابطين لحمايته وكان أول من استعمل البريد لنقل الرسائل .

وليس في دولة الخلفاء حصر للخلافة في أسرة معينة ، بل كان يختار الخليفة بالانتخاب من أي أسرة من أسر قريش وأساس الانتخاب هو الشورى ، وقد كان الخلفاء الأربعة من ثلاث أسر ، فأبو بكر من بني تيم وعمر من بني عدي وعثمان وعلي من بني عبد مناف .

واردات الدولة :

كان للدولة في عهد الخلفاء الراشدين واردات ثابتة تتكون من الخراج والجمارك والصدقات والجزية ، فالخراج هو ما كان يوضع على الأراضي التي امتلكها

المسلمون عنوة وتركوها في أيدي أهلها يؤخذ منهم كأنه أجرة للأرض التي أبقيت في أيديهم . والجزية ما كان يوضع على رؤوس أهل الذمة على الرجال دون النساء والصبيان في مقابل حمايتهم ، والجمارك أو العشور ما يأخذ على أموال التجارة التي ترد من الخارج ، فكانوا يأخذون من تجار المسلمين ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر ، أما الصدقات فهي المقادير المعروفة في الأموال التي تجب فيها الزكاة .

ولا يعرف مجموع ما يرد سنوياً الى بيت المال ولا مقدار ما كان يصرف في السنة ، إلا أنهم لم يكونوا يتركون في بيت المال وفراً ، وكان لبيت المال خازن يخرج منه بمقدار ما يأمر الخليفة .

النقـــود :

لم يكن للعرب نقود خاصة يتعاملون بها قبل الإسلام ، بل كانوا يتعاملون بنقود كسرى وفارس من الذهب والفضة ، وسار المسلمون على تلك الحال حتى خلافة عمر بن الخطاب ، فضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية ، غير أنه زاد في بعضها الحمد لله ، وفي بعضها محمد رسول الله ، وفي بعضها لا إله إلا الله وعلى أخرى عمر ، وجعل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل ، فلما بويع عثمان ضرب في خلافته دراهم ونقشها الله أكبر .

التعلـيم :

كان أكثر النشء الذي نشأ في عهد الخلفاء الراشدين يعرف القراءة والكتابة، لأن فتح الحيرة سهّل جلب كثير ممن يكتبون هناك لتعليم الناشئة . وكان المسلمون في هذا العهد يستقلون بفهم العلوم الدينية مكتفين بما فطروا عليه من معرفة اللغة العربية وفهم أساليبها؛ والشريعة الإسلامية، إنما جاءتهم بهذه اللغة . أما العلوم الصناعية فإن الأمة كانت لا تزال فيها على بداوتها ، وربما بينهم من أمكنتهم إنشاء المدن ومسح الأراضي بواسطة المران لا بتعلم سابق .

ولم يكتب شيء من الكتب في هذا العهد إلا القرآن فإنه جمع في صحف في عهد أبي بكر ، فلما جاء عهد عثمان كتبت منه مصاحف عدة أرسل بها الى الأمصار . أما سنّة الرسول فلم تجمع في كتاب ولم يدون كذلك شيء من العلوم الأخرى في هذا العهد .

نظرة عامة :

لما كان الحجاز موطن الخلافة[1] أيام الخلفاء الراشدين كانت ثانية الأرزاق من البلاد المفتوحة كمصر والعراق ، ولما انتقلت الخلافة الى دمشق في العهد الأموي ظلت الخيرات تنهال على الحجاز لكثرة الفتوح وكثرة الغنائم ، وكانت عصبية عربيـة تقر بالسيادة للعرب ، فكانت ترعى جزيرة العرب وسكانها ، وكان الفاتحون من العرب وكثير من غنائمهم يتسرب الى بلادهم ، ولهم ديوان تقيد فيه أسماؤهم وعطاياهم ، لذلك سعدت الجزيرة في عهد الأمويـين وأنتجت علماً وفناً .

فلما جاءت الدولة العباسية ، تغير الوضع فأصبح زمام الأمور أكثره في يد الفرس والعمال أكثرهم من الفرس .

وزاد الأمر سوءاً في الحجاز خروج العلويين به ، والتفاف الناس حولهم وإرسال الخلفاء العباسيين من ينكل بهم ، فأخذت جزيرة العرب يقل شأنها شيئاً فشيئاً بغلبة العنصر الفارسي وإبعاد العنصر العربي وقلة المدد الذي يرسل إلى الجزيرة .

ولما جاء المعتصم وتغلب العنصر التركي كان الأمر أسوأ فقد كتب إلى عماله في الأطراف بإسقاط من في دواوينهم من العرب وقطع العطاء عنهم ، ففعلوا وانحط شأن العرب من ذلك الحين .

---

١ - ملخص من ظهور الإسلام لأحمد أمين ص ٣١١ .

واستمر هذا العبث بالجزيرة وتتابعت حوادث خروج العلويين وثورات الحجاز واستفحال شأن القرامطة وظهر في كل ناحية من نواحي الجزيرة طامعون في الملك طامحون الى السيطرة والسلطان . والخلافة في بغداد عاجزة عن الاحتفاظ بهيبتها ونفوذها .

كل هذه الأحداث وأمثالها أضعفت شأن جزيرة العرب ، وجعلتها في شبه عزلة ، وأخرّتها مادياً وعلمياً حتى أن المقدسي لما زارها في القرن الرابع وصفها بالفقر وقلة العلم .

ووصف مذاهبهم الدينية فقال : « إن مذاهبهم بمكة وتهامة وصنعاء سنّة ونواصي صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شراة « خوارج » غالبة وهجر وصعدة شيعة ... وشيعة عمان وصعده وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة ... والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع في أيديهم وفي نواحي نجد اليمن مذهب سفيان .. والعمل بهجر على مذهب القرامطة وبعمان داودية على مذهب آل الظاهر لهم مجالس » .

ومع هذا فقد كان في الحجاز حركة دينية في الفقه والحديث وقد كان هذا الإقليم أخصب الأقاليم في هذا الموضوع وكان للإمام مالك وتلاميذه من بعده فضل كبير في الحركة الفقهية .

أما في اليمن فقد انتشر فقه الزيدية وهم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ومذهبهم في الأصول قريب من مذهب اعتزال ، فهم يقولون بالعدل والتوحيد كالمعتزلة وبوجوب الخروج على الظلمة كالخوارج ولهم في الفقه اجتهاد يخالفون في بعض الاحكام المذاهب الاربعة وقد اشتهر منهم أئمة في اليمن كالإمام يحيى الرسي والإمام الناصر للحق والقاسم بن إبراهيم وأبو الحسن الصليحي ملك اليمن الذي قتل سنة ٤٧٣ هـ . وكان فقيهاً زيدياً كبيراً .

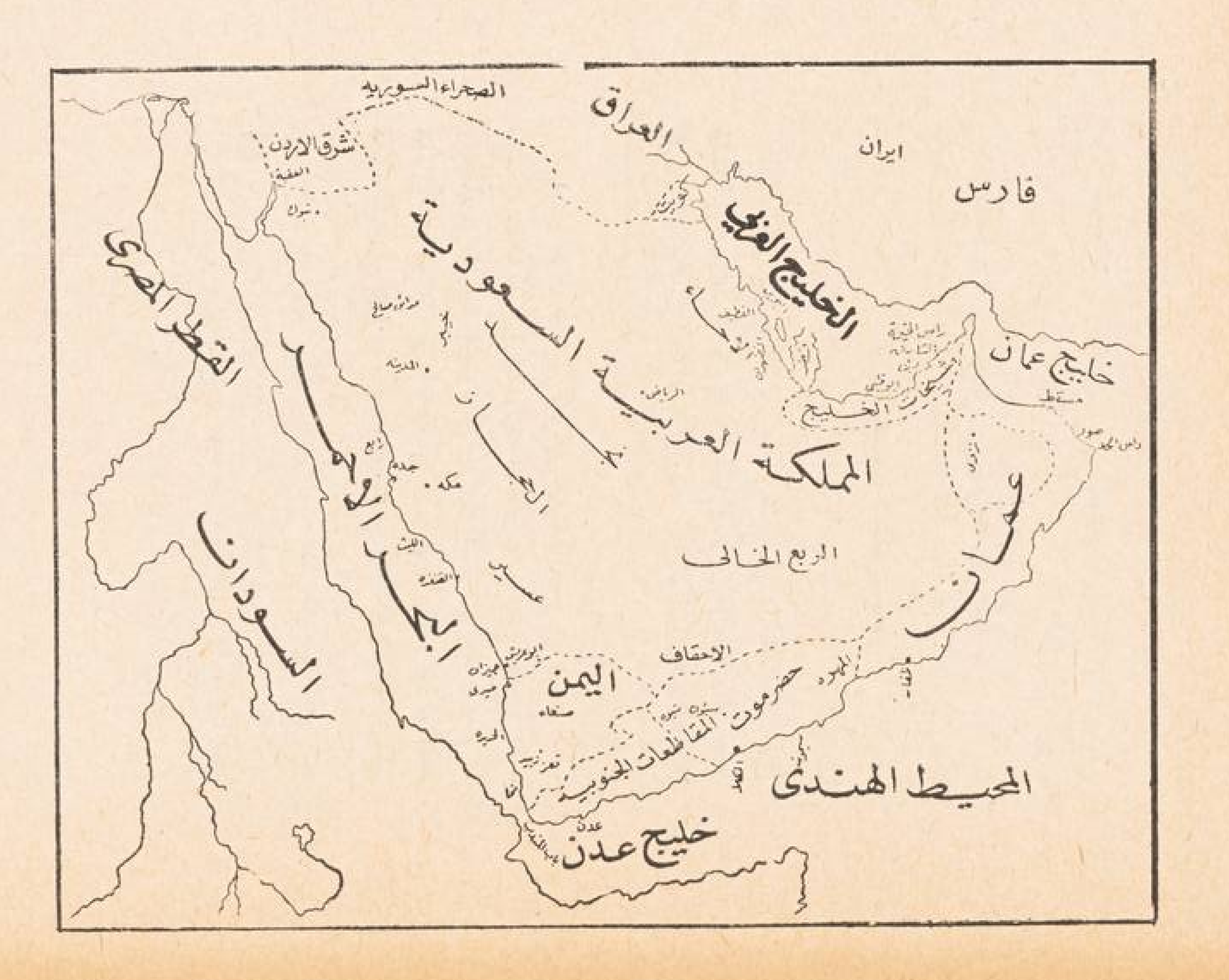
١٥ـ جَزيرة العَرب

حسب تقسيمها السياسي الحاضر

تقلبت على جزيرة العرب بعـد انقضاء عهـد الخلفاء الراشدين أحداث شتت شملها ومزقت وحدتها ، وفرقتها شيعاً وأحزاباً ، وظل أمرها طيـلة القرون الماضية ، في اضطراب وسكون ، إلى أن انتهى بهـا المطاف إلى هـذا التقسيم السياسي الحاضر .

ولهـذا آثرت الحديث الآن عن تاريخ كل قسم من هـذه الأقسام بمفرده مبتدئاً بالمملكة العربية السعودية ثم أمارات الخليـج العربي فاليمن وعدن والمقاطعات الجنوبية مقتصراً على الحوادث المهمة التي توضح معالم التاريخ في هذه الأقطار ومشيراً الى ما لا بد منه من المعلومات الجغرافية التي تعطي القارىء فكرة عن موقع كل قطر وحدوده ومساحته وسكانه ومناطقه .

وأنا أرجو بذلك أن أكون قـد أديت بعض الواجب الذي أشعر به نحو إخواني أبناء الجزيرة العربيـة وغيرهم من الناطقين بالضاد ومهدت لهم سبيل الاستزادة من هذه المعلومات بواسطة المراجع الكبرى والكتب المبسطة .



الصحراء السورية
العراق
ايران
فارس
شرق الاردن
الخليج العربي
خليج عمان
مسقط
المملكة العربية السعودية
عمان
الربع الخالى
القطر المصرى
البحر الأحمر
مكة
المدينة
الاحقاف
اليمن
صنعاء
حضرموت
المقاطعات الجنوبية
المحيط الهندى
خليج عدن
عدن
السودان

١٦ ـ المملكة العربية السعودية

موقعهـــا :

تقع في قلب الجزيرة العربية ومبدؤها من الغرب عند الدرجة ٣٢ والدقيقة ٣٠ – ومنتهاها الشرقي من جهة الخليج العربي عند الدرجة ٦٠ من الطول الشرقي وتمتد من الخليج العربي حتى البحر الأحمر ، ومن حدود الشام حتى مشارف اليمن ، وهي أكبر بلاد العرب مساحة وأوسعها رقعة .

حدودهـــا :

يحدها البحر الأحمر غرباً والخليج العربي شرقـاً واليمن جنوباً والعراق والكويت وشرق الأردن شمالاً .

أقسامهـــا :

يمكن إرجاع الأقسام الإدارية في مملكة نجد والحجاز الى الأقسام الآتية :

أولاً في نجد وملحقاتها خمسة أقسام او خمس أمارات :

١ – إمارة نجد او العارض ومقرها في الرياض عاصمة نجد .

٢ – إمارة القصيم .

٣ – إمارة جبل شمر .

٤ – إمارة الحسا .

٥ – إمارة عسير السراة .

ويتبع كل مقاطعة من هذه المقاطعات الكبيرة عدة نواح ، وتسمى كلها بالإمارات .

فمن الإمارات التابعة لنجد الرياض والحوطة ووادي الدواسر والوشم والسدير والمحمل وبيشة .

إمارات القصيم عنيزة والقصيم والرس والمذنب ، ويتبع الجبل حائل وتيماء على طرف النفود الكبير وخيبر والإمارة البدوية التي تشمل حرب وعنزة وهتيم وشمر .

ويتبع الحسا القطيف والجبيل والإمارات البدوية مثل إمارة آل مرّة وبني هاجر وبني خالد والعجمان وإمارة مطير والمناصير والعوازم والرشائدة .

ويتبع عسير إمارات أبها وشهران وقحطان ورجال المع ونجران .

ويتبع عسير تهامة ثلاثة أقضية قضاء ضبا وجيزان وأبي عريش .

وينقسم الحجـــاز من حيث الإدارة الى إمارات يتولاها اشخاص يدعون بالأمراء ، وهذه اسماء الإمارات من الشمال الى الجنوب :

١ – إمارة قريات الملح .
٢ – « الجوف أو وادي السرحان الأدنى .
٣ – « تبولة .
٤ – « العلا .
٥ – « ضبا على ساحل البحر الأحمر .
٦ – « الوجه على ساحل البحر الأحمر .
٧ – « املج بين الوجه وينبع .
٨ – « ينبع .
٩ – « المدينة المنورة وهي من اوسع الإمارات .

١٠- إمارة رابغ ذات المرفأ الطبيعي الجميل .
١١- « القضيمة الواقعة بين رابغ وجدة .
١٢- « جدة مرفأ الحجاز الأكبر .
١٣- « مكة المكرمة وهي عاصمة الحجاز .
١٤- « الطائف .
١٥- « غامد وزهران .
١٦- « بني شهر .
١٧- « القنفدة وهي ثغر عسير السراة ومركز مهم للتجارة .
١٨- « الليث على شاطىء البحر الأحمر .

وضعها الأخير :

كانت هذه المملكة عبارة عن مجموعة حكومات وإمارات عديدة اندمج بعضها في بعض وقد اكتسبت وضعها الجغرافي الأخير عام ١٩٢٦ م . بعد استخلاص جلالة الملك عبد العزيز آل سعود للحجاز من أيدي الأشراف سنة ١٣٥٤ هـ. وأطلق عليها يوم ٢١ جمادي الأولى سنة ١٣٥١ هـ. اسم المملكة العربية السعودية .

سكانها :

لا يوجد إحصاء رسمي لعدد السكان في المملكة ولكن يقدر عددهم بما بين خمسة ملايين وستة ملايين نسمة على وجه التقريب ، غالبهم من الأصل العربي الصريح ، ويوجد في بعض الأنحاء خليط من العناصر الأخرى كالجاوا والصين والتركستان في مدن الحجاز والصقالبة والترك والأفغان والأحباش والزنوج والأرقاء .

ويوجد في نجد بعض الشيعة ينزلون مقاطعة الإحساء ، ويتمذهب النجديون بمذهب الإمام أحمد بن حنبل واهل الحجاز وعسير بمذهب الإمام الشافعي .

مساحتهـا :

يقدر مساحتها بأربعمائة وخمسين ألف ٤٥٠,٠٠٠ ميل مربع تقريبـاً ، ويبلغ طول ساحل المملكة من العقبة إلى ميدي ١,١٠٠ ميل تقريباً ويبلغ طول الساحل من رأس معشاب إلى قطر ٣٥٠ ميلا كما أن خط الحدود من العقبة إلى رأس مشعاب يبلغ ٧٥ ميلا ومن ميدي إلى الخليج العربي ٨٠٠ ميل .

مناطقهـا :

تنقسم المملكة من الوجهة الطبيعية إلى مناطق جغرافية لكل منها صفات تميزها عن الأخرى مع اشتراكها معـاً في خواص أخرى عمومية شاملة لكل المملكة .

١ – المنطقة الساحلية الغربية وتمتد من أقصى الجنوب الى منتهى خليج العقبة في الشمال وتسمى تهامة وقد تضاف إلى القسم الذي تحاذيه فيقال تهامة اليمن تهامة عسير تهامة الحجاز وتضيق هذه المنطقة وتتسع . وأقصى اتساع لها ٤٠ ميلا ، وأكثر هذه المنطقة رملي شديد الحرارة قليل الإنبات ، وتقع في هذ المنطقة جميع المدن الساحلية .

٢ منطقة الهضاب والنجود وهي موازية للمنطقة الساحلية ومتصلة بهـا مباشرة ويبلغ معظم ارتفاع هذه الهضاب ٦٥٠ مترا وتقع مكة المكرمة في هذه المنطقة .

٣ – المنطقة الجبلية المرتفعة وتمتد من شمال مدين الى حدود اليمن ويتراوح ارتفاعها من خمسة آلاف قدم الى ثمانية آلاف، ومناخ هذه المنطقة في شرقيها معتدل لطيف وتكثر فيها الأشجار وتقع تيماء وخيبر والطائف وغامـد وزهران وبني شهر وأبها في هذه المنطقة .

٤ – المنطقة المترامية الأطراف وتمتد من سفوح المنطقة الجبلية الحجازية إلى الدهناء التي تفصل بينها وبين ساحل الخليج العربي ويبلغ عرضها ما يقرب

من خمسمائة ميل (٥٠٠) وفي هذه المنطقة يقع جبل شمر ونجد أو العارض والنفود والربع الخالي .

٥ – منطقة الدهناء وهي عبارة عن سلاسل رملية وآكام وكثبان متقطعة متوسط ارتفاعها عن سطح البحر (١٢٠) إلى ١٥٠٠ قدم والدهناء بمجموعها تفصل بين مرتفعات العارض والقصيم والسدير وبين سواحل الحساء والكويت .

٦ – منطقة السمان وتقع بين الدهناء غربا والمنطقة الساحلية السهلية شرقاً ويختلف عرضها من ٥٠ إلى ٩٠ ميلا ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٥٠ قدماً ويغلب على هذه المنطقة الجفاف .

٧ – المنطقة الساحلية الشرقية ويبلغ عرضها ٥٠ ميلا وهي أرض رملية قليلة الإنبات تشبه في تكوينها أرض التهائم في الساحل الغربي وتقع في هذه المنطقة الحسا والقطيف .

قبائلها :

في المملكة قبائل متعددة ذات عصبية يتعادل بعضها في الكفاءة والمجد والنسب وترجع بأنسابها إلى أصول عربية معروفة ، وهناك قبائل ذات عصبية أيضاً ولكنها لا تستطيع رد أصولها إلى أرومات عربية معروفة مثل الظفير والشرارات والعوازم والرشائدة . وتوجد قبائل لا يعترف لها العرب بالأصل فلا يصاهرونها ويسمونها صلبه مثل الصلبه وهتيم وهذه أسماء طائفة من القبائل المشهورة في أنحاء المملكة :

بارق ، بقوم ، تميم ، ثقيف ، ثمالة ، جحادلة ، جعافرة ، جعده ، جهينة ، حارث ، حرث ، حرب ، خالد ، خثعم ، خزاعة ، دواسر ، ذبيان ، ربيعة ، زهران ، شمر ، يشهر ، عبس ، عتيبة ، عجمان ، عسير ، عمرو ، عنزة ، غامد ، قحطان ، قريش ، مالك ، مره ، مطير ، مناصير ، نجران ، هلال ، هذيل ، يعلى ، يام .

التاريخ الإسلامي

١٧ - المملكة

نجد والحجاز

تمهيد :

سبق القول في التاريخ الجاهلي لهذا الجزء المهم من بلاد العرب كما ألمعنا في فصول سابقة إلى الحوادث التاريخية الهامة في حياة النبي عليه السلام وأيام حكم الخلفاء الراشدين وفي ما يلي معالم تاريخ المملكة مبتدئاً بالحكم الأموي في هذه البلاد إلى العصر الحاضر[١] .

معاوية :

في سنة ٤١ هـ. استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان الأموي أول خلفاء بني أمية، ففي هذا العام المسمى بعام الجماعة سلم الحسن بن علي وأعلن تنازله عن الخلافة وأصبح معاوية الخليفة الشرعي للبلاد العربية واتخذ من دمشق عاصمة للخلافة ووجه الجيوش لاحتلال المقاطعات الإسلامية ومنها سرية قدمت إلى جهات تيماء لاحتلالها، وسرية أخرى بقيادة بسر بن أرطاه إلى المدينة فاحتلتها وتوجهت منها إلى مكة فاحتلتها أيضاً وبذلك أصبحت البلاد مقاطعة تابعة للخلافة بعد أن كانت مركزاً تتبعه المقاطعات .

١ — اعتمد في هذا الفصل على كتاب : قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة .

وقد كان يتولى إدارة البلاد أثناء الحكم الأموي عمال من قبل الخلفاء في في دمشق وقد تجتمع لعامل واحد إمارة مكة والمدينة وقد يكون لكل منهما أمير وفي بعض الأحيان تكون الجهات الأخرى في المملكة تابعة للحجاز وقد يكون القسم الشرقي منها تابعاً للعراق .

وفي أيام معاوية تولى إمارة المدينة ثلاثة وهم : سعيد بن العاص ، ومروان ابن الحكم، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان،وولي مكة في أيامه عتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص وابنه عمرو بن سعيد ، وخالد بن العاص ، وعبد الله بن خالد بن أسيد .

وقد قدم معاوية أثناء حكمه الى الحجاز مرتين ، إحداهما عند ما أخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد ، وقد بايعه أهل المدينة ، إلا الحسن بن علي وابن الزبير ، وعبدالله بن عمر ، فقد انصرفوا الى مكة ولحقهم معاوية اليها حيث اضطروا الى البيعة . أما المرة الثانية فقد كانت سنة ٥٠ هـ.، وفيها حج بالناس .

الخليفة الأموي الثاني

بعد وفاة الخليفة الأول تولى ابنه يزيد سنة ٦٠ هـ. ٦٨٠م.، وقد كتب عقب توليته الى أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ بيعة أهل الحجاز، ففر الحسين بن علي وابن الزبير الى مكة دون أن يبايعا . ويقال إن ابن الزبير كان يشجع الحسين على الخروج من مكة الى أنصار أبيه في العراق لأنه يرى أن أهل الحجاز لا يبايعونه مع وجود الحسين بن علي .

وقد أشار أصدقاء الحسين عليه بعدم الذهاب الى العراق ، فلم يحفل برأيهم وسار الى العراق ، فكان ما هو معروف من استشهاده في كربلاء في عشر محرم سنة ٦١ هـ .

وفي عام اثنين وستين(٦٢هـ.)خلع أهل المدينة بيعة يزيد وحاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم ، وقد أنفذ يزيد القائد مسلم بن عقبه المري لقتالهم ،

فوقعت بينه وبين أهل المدينة الوقعة المعروفة بوقعة الحرة قرب المدينة ، حيث قتل عدداً كبيراً منهم وأباح المدينة للجيش ثلاثة أيام ، وقد أتى الجند أثناء احتلاله للمدينة ما يخجل التاريخ من ذكره .

وبعد اخضاع المدينة توجه القائد المري الى مكة لحرب ابن الزبير ، فمات قبل أن يبلغها ، وخلفه في قيادة الجيش الحصين بن نمير الذي واصل زحفه حتى وصل مكة في أواخر محرم سنة ٦٤ هـ .

وأعد ابن الزبير عدته للمقاومة وخرج لصد الجيش الهاجم ، فانهزم ولاذ بمكة حيث حاصره الحصين فيها ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ، وقد احترقت الكعبة بفعل الرمي ، ولم يرفع الحصار عن مكة إلا بعد وفاة يزيد في منتصف ربيع الأول سنة ٦٤ هـ .

معاوية الثاني ومروان

آلت الخلافة بعد يزيد الى ابنه معاوية ، ولم تدم خلافته أكثر من بضعة أشهر توفي بعدها حيث خلفه في الحكم مروان بن الحكم ، وكان هذا بعيداً عن سياسة العنف والشدة وأخذ الأمور بالحزم ، الأمر الذي مكن لابن الزبير بالحجاز وبعض العراق ومصر ، وقد استفحل أمره حتى كاد ينضوي تحت لوائه أكثر البلدان الإسلامية في ذلك العصر ولم يدم ملك مروان طويلا فقد توفي سنة ٦٥ هـ. وقام بالأمر بعده ابنه عبد الملك .

عبد الملك بن مروان

وقد عرف الخليفة الخامس عبد الملك بإصابة الرأي وحزمه في الأمور ورغم مواجهته لمشكلات متعددة أهمها مشكلة ابن الزبير فقد استطاع بعد ثمانية أعوام أن يتغلب على ابن الزبير ويعيد الوحدة إلى البلاد الإسلامية .

وقد كان مصعب بن الزبير يلي أمر المدينة من قبل أخيه عبد الله ثم أرسله إلى العراق ، فتمكن من استخلاصه من أعداء أخيه وضمه إلى مملكته .

وفي عام ٧٢ هـ. وبعد أن انتهى عبد الملك من أمر العراق وجه إليه قوة عظيمة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي فوصل الحجاج مكة في جمادي الأولى سنة ٧٢ هـ. وشدد الحصار على أهل مكة ورمي الكعبة بالمنجنيق كما فعل الحصين سابقاً ولما يئس ابن الزبير من النجاح خرج للقتال فأبلى بلاء حسناً انتهى بقتله وصلبه سنة ٧٣ هـ. وله من العمر ٧٣ سنة وبقتله عاد حكم البلاد العربية إلى يد الأمويين .

ومن الحوادث الجديرة بالذكر في خلافة بن الزبير بناؤه للكعبة على أثر التصدع الذي حدث من رمي المنجنيق سنة ٦٤ هـ. وأدخل فيها حجر اسماعيل وفتح لها باباً آخر من جهه الغرب ولكن الحجاج أعاد بناءها في خلافة عبد الملك على الشكل الذي كانت عليه قبل بناء ابن الزبير .

الادارة بعد عبد الملك

عادت إدارة البلاد إلى ما كانت عليه تابعة لحكم الخلفاء في دمشق بعد أن قضي على سلطان ابن الزبير . يعين الخلفاء امراء من قبلهم لإدارتها ثم يعزلونهم حين ما يبدو لهم ذلك وتاريخ نجد في هذا الدور غامض لا توجد معلومات كافية يمكن الاعتماد عليها غير أن إدارة نجد كانت تتبع في الغالب العراق أو البحرين وإدارة عسير كانت تابعة للحجاز أو اليمن .

وقد كان بعض الخلفاء يزور الحجاز في خلافته كما حصل للوليد ابن عبد الملك ولعمر بن عبد العزيز ، في حين أن بعض الخلفاء كان لا يعلم عن موطن آبائه وأجداده إلا ما يسمعه عن أمرائه أو مهذبيه وقد كان عمر ابن عبد العزيز والياً على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك وجمع له إمارة مكة أيضاً سنة ٨٧ هـ. فسار عمر في الناس أحسن سيره واتخذ أشهر فقهاء المدينة بطانة له يستشيرهم ويسترشد بآرائهم .

ويعد عصر الوليد بن عبد الملك من أبهى الأدوار التاريخية في الحجاز فقد أمر عمر بن عبد العزيز أمير المدينة ببناء المسجد النبوي سنة ٨٨ هـ. وتوسيعه ،

وأمر بأن تدخل في المسجد بيوت أزواج النبي عليه السلام ما عدا مقصورة السيدة عائشة التي فيها القبور الثلاثة .

ومن اصلاحاته أمره ببناء الفوارة التي يشرب منها أهل المدينة وتسهيل السبل ما بين الحرمين وتمهيد الثنايا الواقعة فيهـــا . ولم يحدث في أيام سليمان ابن عبد الملك وعمر ما يستحق الذكر فقد كانت الحجاز في يسر ورخاء. وكانت نجد والبحرين بعيدة عن الفتن والقلاقل يتعاقب الأمراء على إدارتها دون أن يحصل في أيامهم ما هو جدير بالتنويه .

وفي أواخر دولة بني أمية في عهد الخليفة مروان بن محمد حصلت ثورة عبدالله بن يحيى الكندي الحضرمي في سنة ١٢٩هـ. فقد استقل هذا الثائر بالأمر في حضرموت وطرد عامل بني أمية من اليمن وزحف على الحجاز حيث أنفذ أحد قواده المختار بن عوف الأزدي فاحتل مكة والمدينة ثم دحر الجيش الحضرمي بعد أن وصلت قوات مروان الحمار من الشام .

العهد العباسي

لا توجد لدينا المعلومات الكافية عن تاريخ هذه البلاد أثناء الحكم العباسي وما وصل إلينا منه قليل جداً لا يشفي غليلا ومما لا ريب فيه أن خلفـاء بني العباس لم يهتموا بهذه البلاد إلا بالمقدار الذي يحفظ لهم السيطرة على الحجـاز ويمكنهم من الحيلولة دون تدخل أعدائهم في البلاد المقدسة وليس لهم أي عذر في هذا الإهمال ، وإن علله بعض المؤرخين بكثرة مشاغلهم واتساع رقعـة ممالكهم وكثرة المناوئين لهم وربما كان ذلك الإهمال مقصوداً عندما سيطر الفرس على شؤون الدولة العباسية واستبدوا بالخلفاء واستأثروا بالأمر دونهم .

وإذا كان للعباسيين من مآثر في هذه البـلاد فإنها محصورة في الحرمين الشريفين والأماكن الموصلة إليهما. أما بقية المناطق فقد أهملت وتركت على حالتها البدوية فعادت القبائل إلى السلب والنهب والفتن والحروب .

ومن الحوادث التي تذكر للعباسيين ، ما أمر به أبو العباس السفاح من إنشاء بعض القلاع والخانات على طريق الحج الممتدة من الكوفة ووضع الأعلام التي يستدل بها الحاج على طول الطريق في أبعـاد معينة وأمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في الحرم المكي سنة ١٣٩ هـ. وكان الخلفاء يحسنون معاملة أهل الحرمين ويمدونهم بالأعطية والصدقات ، ويقال بأن المهدي أخذ خمسمائة نفر من أبنـاء الأنصار وأقطعهم الأملاك الواسعة في العراق وجـدد بناء الأعلام والخانات على درب الحج ووسع في بناء المسجد الحرام في مكة وأدخل فيه دوراً عديدة من جهة المسعى .

وعندما حجت الخيزران زوجـة المهدي ابتاعت أماكن عديدة في مكة وأنشأت فيهـا مساجد ، منها مولد الرسول في سوق الليل ، ودار الأرقم في الصفا ، ومدت زبيدة زوجة الرشيد المياه الى مكة وعرفة من وادي حنين ووادي نعمان .

أهم الحوادث في العهد العباسي

١ – في أيام المنصور ثار محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية واستولى على المدينة ، وقد كاتبه المنصور ووعده بالعفو عنه إن هو عدل عن ثورته وأخلد الى السكينة ، ولكن النفس الزكية أغلظ في الجواب وأعد عدته للكفاح ، فأرسل المنصور عيسى بن أخيه لحربه في المدينة .

٢ – وفي نفس السنة ثار السودان في المدينة وآذوا الأمير ، وانتهى الأمر بقتل رؤسائهم .

٣ – حج المنصور سنة ١٤٧ هـ . ثم عزم على الحج سنة ١٥٨ هـ . فتوفي في طريقه قبل دخوله مكة في بئر ميمونة ودفن في مكة .

٤ – في أيام الهـادي ثار الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي

طالب في المدينة وتغلب على مكة أيضاً ،فقتل يوم التروية سنة ١٦٩ هـ. بعـــد معركة مع الجيش العباسي بالقرب من مخ .

٥ - في خلافة المأمون ثار أتبـــاع ابن السرايا سنة ١٩٩ هـ . واستولوا على شؤون مكة والمدينة ، وأتلفوا وحرقوا ونهبوا ستائر الكعبة وما في المسجد من ذهب وما في الخزائن من ودائع .

٦ - في أيام الواثق أسرف قبائل بني سليم وأشجع وهلال في النهب والسلب والاعتداء على الآمنين في المدينة وأطرافها ، فوجه الواثق لقتالهم القائد بغـــا سنة ٢٢٠ هـ . فحاربهم وقضى على فتنتهم .

٧ - في سنة ٢٣٢ هـ . سار القائد بغا بأمر الواثق الى اليمامة لقتال بني نمير وباهلة ، فأوقع بهم وأخذ منهم عدداً كبيراً من الأسرى .

٨ - في خلافة المستعين بالله ثار أحد العلويين في مكة سنة ٢٥٠ هـ. وثار لثورته بعض العلويين في المدينة ، وقد نهب ما في خزائن الكعبة من الأموال ، وانتهى أمره بالقضاء عليه .

٩ - في سنة ٢٧٩ هـ . ثار أحد أدعياء العلويين بالمدينة في خلافـة المعتمد ، ونهب ما في المسجد الحرام ومنع الناس من الخروج فظلوا محصورين لا يجسرون على الخروج مدة أربعة أسابيع .

القرامطـــة

القرامطة فرقة من الشيعة ينتسبون الى شخص يمـاني الأصل يدعى حمدان قرمط ، وكان مغالياً في التشيع لأهـــل البيت ، وكانت دعوته دينية محضة انقلبت فيما بعد الى دعوة سياسية بتأثير أبي سعيد الجنابي .

وقد تغلب أبو سعيد هذا في أواخر المائة الثالثة للهجرة على شرقي الجزيرة واستولى على البحرين ، وهجر وخلع طاعة المعتمد العباسي ، وقد قام بالأمر بعد

موته ابنه أبو طاهر، فهاجم الحرمين من مقره بالقطيف ودخل مكة سنة٣١٧هـ. ونهبها وانتزع الحجر الأسود ونقله الى واحة القطيف ووضعه في مسجد الضرار لكي يصرف الناس اليه عن مكة ، وقد ظل حكم أبي طاهر للحرمين مدة تزيد عن عشرين سنة كان الحجر الأسود خلالها في هجر ، وكان القرمطي على صلة بالفاطميين في أفريقيا الشمالية وينتسب اليهم ، فلما أمره الفاطمي بإعادة الحجر الى البيت نقم القرمطي على الفاطمي وقطع صلته به ، ثم أعيد الحجر الى مكة سنة ٣٣٩هـ .

وبعد وفاة أبي طاهر تلاشت القوة السياسية للقرامطة وانحصرت سلطتها في الحسا والبحرين ما يقرب من مائة سنة ثم تلاشت نهائياً ، وتوجد الآن بقايا من القرامطة في واحة القطيف .

ملوك الطوائف

عاد حكم مكة الى العباسيين في بغداد بعد أن زالت سيطرة القرامطة، إلا أن سيطرتهم على الحرمين كانت ضئيلة ، نظراً لضعف الخلفاء واشتغالهم بدفع المؤامرات في بلاطهم ، وقد حاول الفاطميون السيطرة على الحرمين ، إلا أن أهل الحرمين فضلوا الحكم العباسي وامتنعوا عن قبول الحكم الفاطمي لما عرف من صلة الفاطميين بالقرامطة .

وفي سنة ٣٥٦هـ . ثار محمد بن جعفر الحسني على سلطة أبناء عمومته الحسينيين في المدينة ورحل عنها الى مكة واستولى عليها ، وعندما فتح المعز الفاطمي مصر دعا له على المنبر في الحرم المكي ، وبهذا الأمير تبتدىء سلطة الأشراف في مكة التي يأتي الحديث عنها .

ومن أيام الفاطميين الى حين فتح السلطان سليم العثماني لمصر ظل الحجاز تحت حكم أمراء من الاشراف يتبعون خلفاء بغداد تارة ، وملوك الطوائف في مصر تارة أخرى ، يتبعون الملك الذي يكثر لهم العطاء ويجزل لهم المنافع .

والسلطان نور الدين زنكي من أعظم ملوك الطوائف نفوذاً وأكثرهم إصلاحاً في الحرمين ، فقد حصن المدينة ، وأمن السبل وحقق العدالة والمساواة وأنشأ في أطراف البلاد قلاعاً وحصوناً لحمايتها من هجمات المغيرين .

وقد كان للأيوبيين نفوذ عظيم أيضاً ، فقد منعوا الأشراف ورؤساء القبائل وأمراءهم من الاعتداء على الحجاج وظلمهم ، وإذا كان الشريف الحسني في مكة والأمير الحسيني في المدينة خاضعين لحكم الملك المصري إلا أن تصرفاتهما في الحجاز كانت على الشكل الذي يروق لهما .

وقد ترك المماليك آثار عمران عديدة في الحرمين ، من بينها ما خلفه الملك الظاهر والسلطان قايتباي والغوري من المدارس والتكايا ودور الإحسان، وبعض هذه الآثار لا يزال باقياً حتى الآن .

الحكم العثماني :

خضعت هذه البلاد للخليفة الأول من آل عثمان السلطان سليم العثماني فاتح مصر سنة ٩٢٢ هـ . وظلت خاضعة للحكم العثماني مدة أربعمائة سنة وكانت سلطة العثمانيين خلالها في صعود وهبوط ، إلى أن أزيلت تماماً سنة ١٩١٧ م. في نهاية الحرب العالمية الأولى .

وقد قامت في هذه البلاد إمارات محلية ، لكنها تستمد قوتها من مقر السلطة العثمانية بالآستانة ، وكان نفوذ العثمانيين في الحجاز أقوى منه في أي قسم آخر ، ووجدت بعض مقاطعات اكتفى العثمانيون فيها بالسيطرة الاسمية ولم تطأها أقدام موظفيهم وجيوشهم ، وخرجت بعض المقاطعات من أيديهم بالكلية كما حصل في الحجاز ايام حكومة آل سعود الأولى ، وأيام حكومة محمد علي باشا .

ولكن العثمانيين استعادوا سلطتهم ونفوذهم في أواسط القرن التاسع عشر بشكل أوضح، ونشروا سيطرتهم الفعلية في الحجاز والحسا، وأداروا البلاد بشكل

فعلي مباشر ، قضى على نفوذ الأمراء والحكام ، واستولى مدحت باشا على ساحل الحسا وبعض نجد سنة ١٨٧١ م. أثناء ولايته للعراق ، وفي أوائل القرن العشرين استولت قواتهم على القصيم في أواسط نجـد ، ثم تقلصت سلطتهم بالتدريج الى أن زالت تماماً عن جميـع البلاد العربية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ م. الى ١٩١٨ م .

سلاطين آل عثمان :

يبتدىء حكم العثمانيين في هذه البلاد باستلام السلطان سليم الأول مفـاتيح الحرمين من الشريف بركات وإقراره إياه في الحكم أواخر عام ٩٢٢ هـ. – ١٥١٧ م. وقد خلفه ابنه السلطان سليمان القانوني سنة ٩٢٦ هـ. ، وفي أيامه حاصر البرتغاليون جدة ، فردهم عنها الشريف بونمي .

وللسلطان سليمان مآثر كثيرة في الحجاز كعمارة المسجد الحرام وبناء أسوار جدة ، وإصلاح سقف الكعبة والشروع في جلب مياه عين زبيدة من منى الى مكة ، وقد سار خلفه ابنه السلطان سليم الثاني الذي تولى الحكم سنة ٩٧٤ هـ. على خطة أبيه في الإصلاح ، فأكمل القسم الأعظم من بناء المسجد الحرام وأتمه بعد وفاته ابنه السلطان مراد الثالث .

وكان حكم آل عثمان في مدة حكم السلطان أحمد الأول من ألف واثني عشر ١٠١٢ هـ. – ١٠٢٦ هـ. شاملاً لكافة الحجاز حتى رأس علي جنوبي القنفدة ، أما نجد وسائر الجهات الأخرى فلم يكن لهم فيها نفوذ فعلي .

وأعيد بناء الكعبة على الشكل الذي هي عليه في عصرنا الحاضر في زمن السلطان مراد فاتح بغداد ١٠٣٢ – ١٠٤٩ هـ. ، وقد اشتغل آل عثمان بعد مراد هذا بالفتن الداخلية والحروب الخارجية ، وتركوا أمر البلاد الى الحكام المحليين الى أن حصل الانقلاب الفكري والديني العظيمين في البـلاد العربية بظهور الحركة الإصلاحية في نجد وانتشارها الى الحجاز وسائر الأقطار العربية ، وذلك

في عهد السلطان محمود من ١٢٢٣ – ١٢٥٥ هـ . واستولى سعود الكبير على البلاد التي تتألف منها رقعة المملكة الحالية ، ولم يخرج منها إلا على يد محمد علي باشا الذي يحسب استيلاؤه على هذه البلاد فترة تخللت الحكم العثماني وقضت عليه ، ودامت الحال كذلك الى أن استعادت الدولة العثمانية البلاد من محمد علي وأعادتها الى سلطانها حوالي ١٢٥٥ هـ – ١٨٤٠ م .

الحكم المصري :

قامت في مصر حكومة مصرية عربية تحت رئاسة محمد علي باشا ، وقامت في نجد حكومة عربية يرأسها آل سعود ، وكانتا ترميان الى القضاء على سيطرة الدولة العثمانية التي بدأت تضعف وتتضعضع ، والى بعث الفكرة العربيـــة ، فارتاعت الدولة من ذلك وأرادت أن تصيب هدفين بحجر واحد ، فرمت نجد بمحمد علي باشا، فجر عليها الجيوش والحملات تحت قيادة نجليه طوسون وإبراهيم ثم تحت قيادته ، فتمكن من الاستيلاء على الحرمين وعلى البلاد النجدية وبلاد عسير وأخضعها لحكمه المباشر مدة تقرب من ربع قرن الى أن أخرج منها سنة ١٨٤٠ م ، وظلت مقاطعتا الوجه والعقبة تحت إدارة والي مصر الى أواخر أيام إسماعيل باشا،فاسترجعتها منه الحكومة العثمانية ، وكان من نتائج الحكم المصري ازدياد العلاقات بين مصر والحجاز .

فقد أبدلت السلالة الشريفية الحاكمة ، بسلالة اخرى من العبادلة هي عائلة ذوي عون ، وأنشأت كثيراً من الآثار العامة مثل دار الحكم بمكة والتكية المصرية التي انشأها محمد علي باشا على انقاض دار السعادة مقر الأشراف حكام مكة ، وكان من جراء ذلك ايضاً بعث روح جديدة في البلاد وفتحها للإفرنج وتقريبها الى علمائهم والسير في الحكومة على نهج الحكومات الحديثة .

عودة الأتراك :

بعد انحلال قوة محمد علي العسكرية في سوريا حوالي سنة ١٢٥٥ – ١٢٦٥ هـ.

١٨٤٠ – ١٨٥٠ م ، شرع الأتراك في استعادة ما فقدوه من الحرب المصرية ، فاستولوا على الحجاز ثم قضوا على سلطة امير ابي عريش ، فتم لهم الاستيلاء على عسير واليمن خلال عشر سنوات .

اما في الحجاز فقد نقل الحكم الى الشريف محمد بن عون ، فاستمال القبائل اليه ووسع حدوده الى الشرق حتى بلغ القصيم ،وفرض على آل سعود نوعاً من الجزية وشجع قيام إمارة آل رشيد في حائل تأميناً لبقاء نفوذه في نجد .

ثم نزعت السلطة من يده الى الوالي العثماني وجعل مكانه الشريف عبد المطلب من الأشراف ذوي زيد منافسي ذوي عون ، وفي زمن السلطان عبد المجيد لم تتعد قوات الدولة حدود الحجاز الشرقية ، وحصلت في الحجاز عدة فتن ضد الدولة كان من نتيجتها عزل الشريف عبد المطلب وإعادة محمد بن عون ، واكتفى الأتراك من آل سعود وآل الرشيد بالانتساب اليها وإظهار التعلق بها اسماً .

وفي أيام السلطان عبد العزيز تغلب الأتراك على جميع البلاد العربية، فاستولى القائد مختار باشا على صنعاء سنة ١٨٧٢ م ، واستولى مدحت باشا على الحسا عام ١٨٧١ م ، وانحصرت سلطة الشريف في البدو وبعض الوظائف الإدارية .

وعن أهم أعمال السلطان عبد المجيد في الحجاز إعادة الإصلاح في الحرم المدني وإنشاء العيون والمدارس في مكة والمدينة .

سياسة عبد الحميد :

كانت سياسة عبد الحميد الذي أخذ دوره في السلطنة من ١٢٩٣ – ١٣٢٦هـ. ١٨٧٧ – ١٩٠٩ م . ترمي إلى جمع شمل المسلمين تحت لواء الخلافة إنقاذاً لسيطرة الأتراك السائرة في طريقها إلى الانهيار ومقاومة للاستعمار الأوروبي الذي شرع في مد نفوذه على البلدان المحاذية للبلاد العربية فلجأ عبد الحميد الى استمالة العرب من جهة وتوطيد قدمه في بلادهم من جهة اخرى لأن العرب

هم العنصر الرئيسي في الإسلام وبلادهم مهـد الإسلام وموطن آثاره المقدسة فأرسل الجيش تلو الجيش والحملة إثر الحملة لدفنها في مجاهل البلاد العربية وفيافيها .

فأرسل عدة حملات الى اليمن وجرد عدة قوات لمحاربة ابن سعود مساعدة لابن رشيد . وأرسل القائد فيضي باشا لنفس الغرض ولم يحصل في الحجاز في أيامه ثورات أو فتن تستحق الذكر ما خلا اعتداء العربان على قوافل الحجاج وسلبها .

ولم تعمر سياسة عبد الحميد هذه فقد قامت عقب إعلان الدستور العثماني حركات في اليمن وبلاد الأدارسة ونجد ترمي إلى التخلص من حكم العثمانيين وإنشاء حكومات عربية لا علاقة لها بالدولة .

أما في عسير فكان الإدريسي وابن عائض يهيآن نفسيهما للقيام على الدولة غير أن عملهما جاء بعد خلع عبد الحميد وكان الشريف عون الرفيق في الحجاز آلة مسخرة في أيدي ولاة عبد الحميد ليس له من الحول والطول شيء .

ولعبد الحميد مآثر خالدة في الحجاز منها إنشاء سكة حديد الحجاز الممتدة في خط يزيد عن ألف وثلاثمائة كيلو متر ١٣٠٠ كلم. من دمشق إلى المدينة . وقلما خلت مدينة كبيرة من آثار عبد الحميد فتجد في أكثرها عمارات تسمى بالحميدية وفي مكة قلاع وثكنات ومستشفيات ودور حكومية بنيت في أيامه .

أهم الأحداث بعد عبد الحميد :

بعد خلع عبد الحميد وإعلان الدستور العثماني حصلت في هذه البلاد أحداث جسام انتهت بزوال الحكم العثماني عن البلاد العربية وتبتدىء هذه الفترة من سنة ١٣٢٦ - ١٣٣٦ هـ . ١٩٠٨ - ١٩١٨ م .

١ - حركات الإدريسي في تهامة وعسير ومخلاف اليمن وحرب الإمام يحيى ضد الدولة .

٢ – تعيين الشريف حسين بن علي في إمارة مكة عوضاً عن الشريف علي باشا وقد عرض الشريف حسين خدماته على الدولة التي عهدت إليه بقيادة حملة لقتال الإدريسي وفك الحصار عن مدينة أبهاء .

٣ – حركات وحروب بين الشريف حسين وابن سعود وقد وصلت قوات الشريف إلى قرب القصيم .

٤ – استيلاء الملك عبد العزيز بن سعود على الحسا وسواحل الخليج العربي العثمانية سنة ١٩١٣ م .

٥ – إعلان الحرب العالمية الأولى وتحالف الشريف حسين مع الحلفاء ورفعه علم الثورة العربية ووقوفه في جانب الانكليز والفرنسيين ضد الأتراك والألمان طمعاً في تحقيق الأماني القومية وإنشاء الدولة العربية التي يحلم بها .

٦ – ظل ابن رشيد على ولائه للدولة ووقف ابن سعود موقف المتفرج في الظاهر وحالف الانكليز ضد ابن الرشيد طيلة الحرب وكذلك فعل الإدريسي .

٧ – انتهت الحرب العالمية بالقضاء على سيطرة آل عثمان نهائياً عن بلاد العرب وقيام حكومات عربية مستقلة في أنحاء هذه البلاد وهي : (١) المملكة الحجازية (٢) السلطنة النجدية (٣) الإمارة الرشيدية (٤) الإمارة الإدريسية (٥) إمارة آل عائض .

الاشراف :

في أوائل القرن الرابع الهجري تولى إمارة مكة أبو محمد جعفر الموسوي المنحدر من نسل الحسن بن علي ويعتبر هـذا مؤسس العائلة الشريفية الأولى وقد هجم على مكة واستولى عليها بعد ضعف أمر الإخشيديين في مصر بوفاة كافور .

ويكاد يكون تاريخ الحرمين خلال الألف سنة الماضية عبـارة عن تاريخ الأشراف وارتقائهم أو تداعيهم وهبوطهم ، فقد يكون الشريف كل شيء في الحجاز وقد يكون ألعوبة في أيدي الملوك والسلاطين والخلفاء .

وقد كان الأشراف على صلة بالفاطميين حتى اختلف ابو الفتوح الخليفة الثاني لمؤسس العائلة معهم حيث أرسل الحاكم بأمر الله سجلا أمره بقراءته في المسجد الحرام بسب الصحابة وبعض ازواج النبي والانتقاص من كرامة غير الفاطميين فعصى ابو الفتوح الأمر وقطع صلته بمصر ودعا الى نفسه ثم تحول هو ومن خلفه الى الخلفاء العباسيين في بغداد وخطبوا لهم في مكة .

واشتبك ابو الفتوح في حروب مع الفاتكي احـد الأشراف الحسينيين ايضاً وفر هارباً عن مكة حيث قام بالأمر فيهـا الأمير الفاتكي الى ان استعاد الموسويون السلطة ثانية وقد انقرضت هذه العائلة بوفاة اميرها عن بنت له فقط فولى الأمر عبد من عبيده إلا ان الفاتكين تغلبوا عليـه وانتزعوا الأمارة منه .

وهناك عائلة ثالثة تدعى بالهواشم من الأشراف الحسنيين تداولوا حكم مكة وقتا طويلا مليئا بالفتن والحروب الى ان ازيلت دولة العبيديين من مصر على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٩٨هـ ١١٧٤م. فزالت باستيلاء صلاح الدين على الحجاز سيطرة الهواشم عن مكة ووليها امير حسني من فرع آخر .

في سنة ٥٩٨ هـ. استولى الشريف قتادة على مكة وكان يسكن هو وقومه في جهات ينبع ووادي الصفراء ويقال انه كان ناقما على امراء مكة لانهماكهم في اللذات وإعراضهم عن شؤون البلاد كما يقال بأنه استغاث به بعض المظلومين بمكة ، وقد اخضع قتادة لسلطانه كافة الأراضي الحجازية من خيبر شمالا حتى القنفذة جنوباً وأنشأ إمارة ظلت قائمة بالأمر الى حين تأسيس الحكومة الحالية .

وكان على وفاق مع الأيوبين في مصر وسوريا والعبـاسيين في العراق ومع

امراء اليمن. فمنع بذلك الشقاق والتنافس بين الملوك والأمراء وقام بالأمر بعده ابنه الحسن وقد دانت له جميع البلاد بعد حروب اثارها ضده إخوته وبنو عمه.

وتوالى الأمراء من خلفاء الشريف قتادة على حكم الحجاز متبعين سياسته في مصافاة الحكومات القائمة في مصر وسوريا والعراق رغم التقلبات التي تطرأ عليها ، وقد يحدث تنازع بين أمراء الحجاز يؤدي الى خلع هـذا او قتل ذاك وقيام واحد من أبناء عمه او أقاربه مكانه كما حدث ايام نور الدين علي بن عمر ابن رسول من استيلاء أمراء اليمن وتنصيبهم أميراً عليها من قبل الملك الكامل هو طفتكين التركي ثم عزل هذا وجعل الشريف راجح بن قتادة مكانه .

وفي زمن السلطان بيبرس تولى الأمارة الأمير ابو نمي الأول الذي حـارب عمامه وابناءهم حتى نالها وهو من الأمراء المشهورين من نسل قتادة وقد كان لهذا الاختلاف بين العائلة أثره في تدخل مصر وسوريا في شؤون امراء الحجاز واخضاع المماليك لهم عندما حادوا عن سياسة الشريف قتادة في حفظ التوازن وعدم التحيز الى فريق دون آخر .

والأمير بركات الثـاني الذي كان معاصراً للسلطان قايتباي من سلاطين المماليك من الأشراف المشهورين وكذلك الأمير بركات الأول الذي كان عهده مليئاً بالفتن والقلاقل والحروب الداخلية ومن اشهر امراء مكة قاطبة الشريف ابو نمي الثاني ابن بركات السابق ذكره الذي سافر الى مصر مرتين لمقـابلة السلطان الغوري ومرة لإعلان تسليم الحرمين للسلطان سليم الخليفـة العثماني لأول سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٧ م .

الأشراف وآل عثمان :

استولى السلطان سليم على الحجـاز وعهد بالإمارة الى الشريف بركات وأقره عليها بالاشتراك مع ابنه أبو نمي الى أن توفي بركات بعد الاستيلاء العثماني بتسع سنوات ، فاستقل ابو نمي بأمر مكة وظل أميراً مدة تزيد على ستين عاماً

وقد كان أبو نمي متمتعاً بعطف السلطان سليان القانوني وخلفائه وبسلطة واسعة لإدارة الأمور فوضع قواعد عديدة للشرافة والأشراف يدعوها أهل الحجاز بقانون ابي نمي .

ويقال بأن القانون صارم جداً وبعيد عن جادة العدل والإنصاف ويقع في ست وثلاثين مادة أهمها جعل الإمارة إرثاً في أسرة أبي نمي ومنع الأشراف عن الاشتغال ببعض المهن وحقوق الأشراف بالنسبة الى العامة وجعل حق الشريف مقابل أربعة أمثال حق العامي .

وإذا كان الشريف يتمتع بسلطة مطلقة في الحجاز فإن سلطته الحقيقة كانت مستمدة من الخليفة العثماني وعمدته في التولية على الفرمان السلطاني . ويتلخص تاريخ الاشراف من عهد أبي نمي إلى ايام الشريف غالب ، الذي حصلت حروب آل سعود واستيلاؤهم على الحجاز في أيامه في القرن الماضي، بأنه تاريخ مطرد ووصف متشابه للفتن والمعارك التي تجري بين الأشراف وفيما يجري بين الاشراف والموظفين العثمانيين وفيما يقع في الحرمين وأطرافهما من غزو البدو واعتدائهم على السابلة وقطعهم الطريق وانتهابهم للحجاج وفيما يقوم به الأشراف من تجريد الحملات عليهم لكبح جماحهم وتأديبهم .

وعندما استولى سعود الكبير على الحجاز أقر الشريف غالباً على إمارة الحجاز ، فظل فيها الى أن قضى على الحكم السعودي في البلاد ، حيث أغرت الحكومة العثمانية محمد علي باشا بأهل نجد وعهدت اليه بتجهيز الحملة ، فأرسل قوة بقيادة ابنه طوسون نزلت في ينبع سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١١ م ، ثم أمدها بحملة قادها ابنه إبراهيم باشا في العام الثاني ، ففتح المدينة ومكة ثم قدم محمد علي الى مكة وعزل الشريف غالباً ونفاه الى مصر ومنها الى سلانيك ونصب يحيى ابن سرور عوضاً عنه .

وبعد أن تقرر انسحاب محمد علي باشا من البلاد التي احتلها من املاك الدولة أرسل الأتراك والياً للحجاز سنة ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م. غير أن السلطة كانت ثنائية بين الشريف محمد بن عون والوالي العثماني .

وحصل تنافس شديد بين الأمير والوالي أدى الى تدخل الباب العالي ، فنفي محمد بن عون ونصب الشريف عبد المطلب مكانه سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٥١ م. ثم عزل عبد المطلب وأعيد محمد بن عون لحصول فتنة في البلاد .

وبعـد موت محمد بن عون سنة ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧م. أقرت الحكومة الإمارة في ابنه عبدالله الذي حصل في أيامه الاعتداء على قناصل الدول في جدة وأرسلت الدول لجنة لتنظيم البلاد وحددت وظائف الإمارة وضيقت عليها جداً . وبعد وفاة عبدالله عينت الحكومة أخاه حسيناً ، فقتل في جدة وأعيد عبد المطلب ثم عزل وعين عون الرفيق بن محمد بن عون سنة ١٢٩٩ هـ ، فساء الأمن وانتشرت الفتن وعم القلق وأنـّت النـــاس من الظلم والجور الى ان توفي عون سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م .

بعد وفاة الشريف عون عين الشريف علي باشا ثم عزل عقب إعلان الدستور العثماني ومات الشريف عبدالله الذي عين خلفاً له قبل ان ينصرف من الآستانة إلى مقر الأمارة ، فوقع الاختيار على الشريف حسين بن علي بن محمد ابن عون .

الشريف حسين :

هو حسين بن علي بن محمد عون ولد في الآستانة سنة ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م . وكان والده وجده فيها خلال أمارة عبد المطلب في مكة وعين بعده للإمارة بعد ذلك بسنتين ، فقدم معه الى الحجاز وأقام في مكة الى أن بلغ أشده وفي أيام عمه عون الرفيق أبعد الى الآستانة وعين عضواً في مجلس شورى الدولةوظل في الآستانة الى أن عين بعد وفاة عمه الثالث عبد الإله أميراً لمكة سنة ١٣٢٦ هـ.

كان الحسين مشهوراً في الآستانة بالزهد والتقوى والصلاح ، فعلقت عليه الآمال ، لأن الناس في الحجاز خرجوا من حكم جور واستبداد ضاقوا به ذرعاً فتقرب منالبادية وظهر أمام أهل الحجاز بمظهر المحب لهم المريد لخيرهم وتحكك

بالانكليز بواسطة أعوانه في الآستانة وبواسطة اللورد كتشنر في مصر والمرغني في السودان وسعى لجعل مبعوثي العرب في دار الخلافة يعتقدون فيه السعي لمصلحة العرب وجمع كلمتهم لنيل حقوقهم المغصوبة من الترك .

ثم عمل لبسط سلطانه على سائر الحجاز وتوسيع حدود الإمارة وحرض قبيلة عتيبة على الخروج على ابن سعود بحجة انهم تابعون للحجاز فوفق في خطته وتغلغل في بلاد عتيبة حتى وصل الى قرب الوشم والقصيم في نجد وتمكن من أسر سعد بن عبد الرحمن شقيق الملك عبد العزيز سنة ١٣٢٨ هـ – ١٩١٠ م ، ثم رجع الحسين عن نجد وفك أسر أخي الملك بعد توسط خالد بن لؤى بين الشريف والملك عبد العزيز .

وثار الإدريسي على حكم الدولة في جيبا وأبي عريش ففرض الحسين خدمته على الباب العالي ، فولته الحكومة قيادة الحملة لفك الحصار عن القوة العثمانية في ابها وتأديب القبائل العاصية ، فسافر من مكة في ربيع الثاني عام ١٣٢٩ هـ. وعاد بعد بضعة أشهر بعد أن وطد لنفسه بين البادية في الحجاز وعسير وعهد إليه بتجريد حملة أخرى على الإدريسي ، فأنفذ على رأسها نجله الثالث فيصل إلى القنفذة ولكنه عاد من غير طائل .

ودخلت الحكومة العثمانية الحرب الى جانب ألمانيا ، فاقتضت السياسة البريطانية القيام بتدابير عديدة منها إثارة العرب على دولة الخلافة والعمل لإنشاء خلافة عربية في البقاع المقدسة تأميناً لسلامة المواصلات البريطانية ومقاومة لجهود الحكومة العثمانية ودعايتها لإعلان جهاد عام في البلاد الإسلامية المختلفة .

واتفقت هذه الأغراض مع الأماني الوطنية التي كانت تختمر في رؤوس المتنورين من شبان العرب فلم يجدوا غضاضة في التفاهم مع الإنكليز ورجحوا اتخاذ الشريف حسين واسطة لتحقيق أغراضهم لما يعلمون من مطامعه في الحجاز ونقمته على الدولة ، فشرعوا في مفاوضته .

دامت المفاوضات بين الجانبين وقتاً طويلا وطلب الشريف تحديد البلاد العربية التي تساعد بريطانيا على استقلالها، فماطلته بريطانيا في ذلك ثم اشترطت بعض استثناءات فات الحسين أن يتثبت من مراميها وما يمكن أن تؤول به، أو ما يمكن أن تعنيه وتم الاتفاق نهائياً على ان يقوم بالثورة على الترك مقابل اعتراف بريطانيا وتعهدها باستقلال العرب بدون تعيين حدود البلاد التي يعضد فيها الاستقلال واستثنت بريطانيا خمسة مناطق :

١ – المنطقة الواقعة غرب الخط من حلب وحماة وحمص ودمشق حتى البحر.

٢ المناطق التي لا تستطيع أن تتصرف فيها مستقلة عن حليفتها فرنسا .

٣ – منطقة عدن .

٤ – ولاية البصرة .

٥ – المناطق العربية التي لا تقدر أن تتصرف بها من تلقاء نفسها .

وقد كان الإنكليز عندما اتفقوا مع الشريف متفقين مع فرنسا على سوريا ومع الإدريسي على عسير، ومع آل سعود على نجد والحسا، ومع أمراء العرب المختلفين على المقاطعات الساحلية والكويت وفسروا وعودهم بأنها لا تشمل إلا الحجاز تقريباً .

وأعلن الشريف ثورته في تسع شعبان ١٣٣٦ هـ. والتحق به شبان العرب من أطراف السلطنة العثمانية، ثم أعلن نفسه ملكا للعرب فمنعه الانكليز من ذلك، فاكتفى بلقب ملك الحجاز .

وبعد انتهاء الحرب أراد الشريف حسين أن يمد سلطانه على واحتي تربة والخرمة، وكان أهلهما من سبيع والبقوم وعتيبة منحازين إلى ابن سعود فنشبت في تربة معركة هائلة بين الإخوان وقوات الشريف، أسفرت عن فوز الإخوان وخسارة الحجاز أكبر قوة عسكرية، وكان ذلك مقدمة للمشادة التي انتهت باستيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ، وفي ربيع الأول ١٣٤٣هـ.

طلب منه التخلي عن العرش ، فسافر من جدة إلى العقبة ثم أخرج منها إلى قبرص ، واشتد به المرض فنقل إلى عمان حيث وافته منيته .

آل سعـــود :

مؤسس هذه العائلة هو « سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان » من قبيلة عنزة ، وإليه ينتسب آل سعود . وقد كان مقيماً في الدرعية ، وقد تمكن بدهائه وحنكته من تثبيت إمارته في الدرعية وما جاورها ، ووضع بعمله هذا أساس مملكة آل سعود ، وتوفي سنة ١١٣٧ هـ ١٧٢٤ م ، عن أربعة أولاد « ثنيان ، وفرحان ، ومحمد ، ومشاري » ، وقد تعاقب على الإمارة من خلفه عشرة وهم على الترتيب :

(١) محمد بن سعود (٢) عبد العزيز بن محمد (٣) سعود بن عبد العزيز « الملقب بالكبير » (٤) عبد الله بن سعود (٥) تركي بن عبد الله (٦) فيصل ابن تركي (٧) عبدالله بن فيصل (٨) عبد الرحمن بن فيصل (٩) محمد بن فيصل (١٠) الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن .

محمد بن سعود :

بعد وفـاة سعود الأول تعاضد أبناؤه الأربعة على تثبيت دعائم الملك ، وتعاونوا فيما بينهم تعاوناً تاماً،وفي عام ١١٥٣ هـ - ١٧٤٠م ، اتفق محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الوهاب المصلح الكبير ، وباعث روح النشاط الديني والعقيدة السلفية الصحيحة على أن يكون محمد بن سعود حارساً للدين وناصراً للسنة وقاطعاً للبدع.وبعد وفاة ثنيان ١١٦٠هـ - ١٧٤٧م اعترف الجميع لمحمد أخيه بالإمامة الدينية والزعامة الزمنية المطلقة .

وقد أثمر هذا الاتفاق بين الزعيم السياسي والمصلح الديني كل الخير للإسلام والعرب،وقد توفي الإمام محمدسنة ١١٧٩ هـ - ١٧٦٥م.بعد أن شهد مملكةواسعة

الأطراف تشمل أكثر نجد ورأى مبلغ انتشار الدعوة بين أهل نجد ولم يخلص من حكمه سوى بلدة الرياض ، التي كان أميرها ، وهام بن دواس ، وسوى الحسا والقصيم .

عبد العزيز بن محمد :

خلف أبيه في الإمارة ، وكان مشهوراً بغيرته على الدين ، وبحماسته في الاصلاح ، شرع في نشر دعوة التوحيد في المقاطعات الشمالية ، فتوجه الى القصيم ، واستولى على بريدة والرس وتنومه ، وحاصر عنيزة فارتد عنها خائباً وقد كان نفوذه الأدبي والديني في بلاد القصيم عظيماً لا يشاركه فيه أحد ، ثم عزم على سحق ابن دواس ، والاستيلاء على الرياض ، فتم له ذلك سنة ١١٨٧ هـ. – ١٧٧٣ م.

ثم شرع في شن الغارة على أطراف الحسا وأدب القبائل الثائرة من شمر ومطير وعتيبة ، وقهر قوات بني خالد وقوات أمير الحسا بقرب اللصافة ، وهاجم مركز ابن عريعر في الهفوف ، فسلم بدون مقاومة ، ثم استولى على وادي السرحان ، ووصل ابنه سعود في غزواته الى عسير غرباً والى عمان جنوباً ، وأنفذ السرايا الى حدود العراق حتى خافت السلطات العثمانية في البصرة وبغداد ، فجمع الوالي سليمان الجموع لصد قوات ابن سعود ، وتقابل الفريقان في الحضر ، فتفرق الجيش العثماني وتقدم ابن سعود الى السماوه واستاق أموالاً عظيمة .

وقد وقعت بينهم وبين أمير مكة الشريف غالب فتنة سببها مسعى عبد العزيز في نشر الدعوة بين القبائل الخاضعة للأشراف في مكة ، حتى إن الشريف غالب منع قدوم الحجاج بطريق نجد ، ثم تصالحا وتعاهدا ، وقدم ولده سعود للحج سنة ١٢١٥ هـ. – ١٨٠٠ م .

وفي سنة ١٢١٦هـ. – ١٨٠١م. هاجم كافة الحواضر الواقعة بين النجف والزبير في العراق ومنطقة الفرات السفلى ، واستولى على كربلاء ، ولكنه قتل من قبل

شيعي من أهل العراق بعد ذلك بسنتين في مسجد الطريف بالدرعية ، بعد أن ترك ملكاً يمتد من شواطىء الفرات ووادي السرحان الى رأس الخيمة وعمان ومن الخليج الفارسي الى أطراف الحجاز وعسير .

سعود الكبير بن عبد العزيز :

اكتسبت الدولة في زمانه أكبر رقعة وأعظم موقع ، وقد كان عضد والده في توسيع الملك ونشر الدعوة ، كما كان القائد الأكبر لجيوش أبيه ، وقد عهد الى ابنه عبد الله عقب توليه الإمارة بالقيادة ، فأدّب بعض قبائل الحجاز ، واستولى على تيماء وخيبر ، وشن الغارة على أطراف عمان .

وعند ما اتفق أمير مسقط سلطان بن حمد بن سعيد مع الأتراك على حرب ابن سعود مقابل تعهده بالاعتراف بسلطتها على بلاده في مسقط وعمان وشرق أفريقيا ، أرسلوا جيشاً من البصرة لمهاجمة ابن سعود ، ثم استعادوه الى العراق بعد ما وصلهم خبر قتل سلطان .

وأهم أعمال سعود فتح الحجاز ووضع الحرمين تحت حمايته ونشر سلطته على الفرات الأوسط ، حتى الهيت وعانه ، وحتى حلب في سوريا ، وقد كان احتلاله مكة سنة ١٢٢١ هـ - ١٨٠١ م ، ولكنه لم يعزل الشريف غالباً عن الإمارة .

وشرع سعود يمهد للاستيلاء على الديار الشامية ، فأدرك الأتراك الخطر ورموه بمحمد علي باشا ، فوصلت جيوشه إلى ينبع ، واحتلت المدينة ومكة سنة ١٢٢٧ هـ - ١٨١٢ م .

عبد الله بن سعود :

تولى الإمارة بعد وفاة أبيه ، وفي أيامه تقدمت الجيوش المصرية بقيادة الأمير طوسون بن محمد علي باشا ، ثم بقيادة إبراهيم باشا فاحتلت البلاد النجدية الواحدة تلو الأخرى حتى سقطت الدرعية عاصمة آل سعود سنة ١٢٣٣ هـ.

في جمادي ، أبريل سنة ١٨١٨م. ، وسلم عبد الله بن سعود و كبار عائلته فاستاقهم إبراهيم باشا إلى المدينـــة وأركبهم إلى مصر ثم إلى الآستانة حيث احتزت رؤوسهم فيها .

ودمر إبراهيم باشا الدرعية وهدم مساجدها وقصورها وقطع نخيلهـــا وشجرها ولم يترك فيها عامراً .

وفي هذه الآونة قام أحد أبناء آل معمر أمراء العيينة ، واستولى على بعض العارض والوشم والقصيم ، وحالف عسكر الحكومة العثمانية ، فقام مشاري ابن سعود الكبير لمقاومة ابن معمر . فطلب وسلم إلى المعسكر التركي وقتل .

تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود :

كان تركي فاراً في مقاطعة الخرج فعاد إلى العارض ونازع ابن معمر وقتاً غير طويل وقتله بابن عمه مشاري وتولى الحكم مكانه .

وقد تمكن من دفع الترك والمصريين وإجلائهم عن داخلية البلاد العربية سنة ١٣٥٦ هـ. - ١٨٤٠ م في خلال عشرين سنة قضاها في الحرب والنزال بمعونة ولده فيصل .

أعاد سلطته على العارض وفتح الحسا والقطيف، وعقد مع أمير حائل وزعيم شمر صلحاً اكتسب به نفوذاً تاماً على أكثر الجبل والقصيم، وبعد حكم عشر سنين اغتاله أحد أبناء عمه المدعو مشاري بن عبد الرحمن بن سعود فاقتص منه الأمير فيصل بن تركي ، واستولى على كرسي الحكم سنة ١٢٤٦ هـ. - ١٨٣٠ م .

فيصل بن تركي :

بعد تسع سنين ناضل فيها فيصل وقاتل ، استسلم للقائد خورشيد باشا الذي ارسل من المدينة لإخضاع نجد لحكم الدولة فانتزع الإمارة من فيصل واستاقه

معه إلى مصر أسيراً ، وولى الحكم بعده أحد أفراد عائلة آل سعود المدعو خالد ، وخلع بعد سنتين تقريباً من قبل أهل نجد ، وولى بعده عبد الله ابن ثنيان ، ولم يدم حكمه إلا بعض السنة .

في خلال هذه المدة عاد فيصل من أسر محمد علي واستعاد الحكم مرة ثانية وبقي فيه إلى عام ١٢٨٢هـ - ١٨٦٠م . وامتدت سلطته على الحسا والقصيم والعارض حتى أطراف الحجاز وعسير .

بعد وفاة فيصل وقع الاختلاف بين أبنائه الأربعة سعود ، وعبد الله ، ومحمد ، وعبد الرحمن ، فأدى ذلك إلى إضعافهم جميعاً واستيلاء ابن رشيد على بلادهم .

عبد الله بن فيصل :

حين وفاة فيصل كان ابنه محمد أميراً على المنطقة الشمالية وكان سعود أميراً على الخرج والأفلاج وكان عبد الله أميراً في الرياض وكان ولده الصغير الإمام عبد الرحمن في الرياض بجانب أخيه عبد الله .

تولى عبد الله الإمارة فعارضه أخوه سعود ونشبت بين الفريقين معارك خسر فيها الطرفان . إلا أن خسارة عبد الله كانت أعظم ففر من بلاده إلى عنيزه ثم لجأ إلى حائل فرفض ابن رشيد قبوله واتجه أخيراً الى بغداد فأرسل الوالي مدحت باشا معه جيشا الى الحسا فاحتلها وجعلها تابعة للبصرة سنة ١٢٨٨ هـ . ١٨٧١ م . وبعمله هذا كان سبباً في ضم الحسا الى املاك الدولة .

وقد حاول سعود أن يستعيد الحسا ففشل ثم أراد الاستيلاء على ديار عتيبة فقابل ابن ربيعان في معركة حامية جرح فيها جرحاً بليغاً نقل على أثره الى الرياض فمات هناك عام ١٣٩١ هـ . ١٨٧٤ م .

وبعد وفاة سعود رجع عبد الله الى الرياض وظل أبناء سعود في الخرج غير خاضعين له وقام بمحاولات لاسترجاع الحسا من الترك ففشل ولإظهار صولته

في القصيم فاستولى على عنيزه إلا أن بريدة قاومته مقاومة عنيفة واستنجد أهلها بمحمد بن رشيد من حائل فخلصها من نفوذ ابن سعود وحازها لنفسه ثم عمل للاستنصار بعتيبة وسبيع لغزو ابن رشيد فحبط مسعاه وأخيراً تمكن منه أولاد أخيه سعود فحاصروه في الرياض وأسروه .

واضطر عبد الله للاستنجاد بابن رشيد فجاء الى الرياض وفك عبدالله من الأسر وطرد أبناء سعود إلى الخرج وعرض على عبد الله أن يبقى في ملكه فأبى إلا الذهاب الى حائل مع ابن رشيد ١٣٠٦هـ. وبعد سنة طلب الرجوع الى الرياض فتوفي بها بعد وصوله بخمسة عشر يوماً سنة ١٣٠٧ هـ .

الامام عبد الرحمن بن فيصل :

كان حكيماً شجاعاً حسن الإدارة ويتلخص حكمه في محاولته التخلص من سلطان ابن رشيد الذي أراد أن يخضع كافة البلاد السعودية لسلطانه .

فقد تحالف سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١م. مع زامل آل سليم أمير عنيزه وحسن ابن مهنا أمير بريده على أن يقوم معه بحركة يقضون بها على ابن رشيد فاجتمعت الجموع غربي القصيم فدارت الدائرة عليهم ، وقدم بعدها الإمام عبد الرحمن إلى حائل فأقام فيها برهة قصيرة ثم عاد الى الرياض ليعد معداته للرحيل الى قطر ثم الى الكويت حيث أقام في ضيافة الحكومة العثمانية بضع سنوات بقرب آل صباح ولم يعد الى الرياض إلا بعد قيام ولده عبد العزيز لاسترجاع ملك آبائه .

محمد بن فيصل بن تركي :

ولي ابن رشيد محمد بن فيصل على الرياض بعد انسحاب أخيه عبد الرحمن ولم يكن له سوى مظهر الإمارة والحكم الاسمي فقط. فقد كان ابن رشيد هو السيد المطاع وصاحب الكلمة العليا ودامت الحال كذلك بضع سنين حتى توفي محمد

في الرياض فلم يعين الرشيد أميراً من آل سعود بل أرسل أحد أتباعه أميراً على العارض وقضى على حكم آل سعود نهائياً .

الملك عبد العزيز :

ولد في الرياض يوم ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ. ديسمبر ١٨٨٠ م. وكان في الحادية عشر عند ما غادر والده الرياض ونزل ضيفاً على مبارك الصباح شيخ الكويت ١٨٩٢ م .

وكانت امارة الرياض ابان نشأته في حروب مستمرة مع آل الرشيد من حائل الذين ظهرت شوكتهم في أوائل القرن الثالث عشر الهجري على يد علي ابن رشيد الذي ينتمي الى عشيرة الجعفر من قبيلة شمر .

ونشبت حروب ومعارك بين شيخ الكويت وبين عبدالعزيز الرشيد أمير حائل فانضم عبد الرحمن وأولاده الى مضيفهم لينتقم من عدوهم وقاد عبد العزيز جيشاً وهو لم يبلغ الخامسة عشر فانهزم كما انهزم الشيخ مبارك في معركة العريف سنة ١٩٠٠ م .

وعلى أثر معركة العريف اختار نخبة من رجال نجد الأشداء فقصد بهم جبرين على حدوة الربع الخالي وقرر اتخاذها قاعدة لأعماله الحربية ، وفي يوم خمس رمضان سنة ١٣١٩ هـ . سار من جبرين على رأس جيشه الصغير قاصداً الرياض مصمماً على الموت أو الظفر ، فبلغها يوم ٤ شوال ونزل بجيشه الصغير على بعد عشرة كيلو مترات منها في مكان لا ترمقه الأنظار .

وبعد ما استراح قليلا ترك عشرين فارساً أمرهم بأن يلزموا مكانهم كاحتياطي له يستعين بهم عند الحاجة وسار قاصداً الرياض . ولما بلغ سورها أمر ثلاثين تحت رئاسة شقيقه محمد بالتوقف انتظاراً لتعليماته ، ثم تقدم مخترقا السور الخارجي مع عشرة فقط وكان بابه مغلقاً فاحتال في فتح الباب ،

وكان عجلان أمير الرياض من قبل الرشيد حذرا ينام في الحصن ليلا ويأتي الى بيته الخاص بعد صلاة الفجر ، فكمن له العشرة في بيتـه الخـاص منتظرين خروجه من الحصن، فما كاد يخرج منه الى منزله المقابل له حتى رماه عبد العزيز برصاصة جرحته ولم تقتله ، وكان قد ارتد الى الداخل يريد الفرار ، فأدركه عبد العزيز ، وكان نصفه داخل الباب ، فجذبه الى الخارج فتماسكا وتصارعا ، وأفاق رجال الحصن على الجلبة ، فرموا برصاصهم عبد العزيز ومن معه فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة ، واستمر المهاجمون في هجومهم ، وكان عبدالله بن جلوي أول داخل فعـــدا وراء عجلان ، وكان قد أفلت من يد عبد العزيز ، فرماه برصاصة خرّ على أثرها صريعاً ، وبذلك دان لهم الحصن واستسلم رجاله ونودي في الأسواق بدخول المدينة في طاعة ابن سعود ، فأقبل الناس يهنئون أميرهم القديم ويعلنون اغتباطهم بفوزه ، ومنذ ذلك اليوم أصبح سيد نجد وحاكمها .

وقد حاول ابن الرشيد عدة محاولات لإخراج ابن السعود من الرياض ، فلم يفلح ، وأثار من أجل ذلك حروباً كثيرة باءت بالفشل ، ولما وثق عبد العزيز من قوته بدأ بمهاجمة مقاطعات نجد فاحتلها الواحدة بعد الأخرى تدريجـــاً ، وكانت مقاطعة الإحساء آخر ما احتله سنة ١٩١٣ م. في أبريل ، وقد اعترفت بعدها الحكومة العثمانية به والياً لنجد ومتصرفاً للحسا ، وأهدته وساماً رفيع الشأن مع رتبة الوزارة .

نشبت الحرب العظمى ، وكان موقف ابن السعود غداة إعلانها موقف القلق الذي لا يعلم أي طريق يسلك ، وقد انتهت بجلاء الترك عن بلاد العرب ، وتفرد الإنكليز بالنفوذ فيها ، وهم أصدقاء بيت سعود القدماء ، فاغتنم الفرصة وهاجم حائل مقر إمارة الرشيد ، فتغلب عليها لزوال قوة الترك التي كانت تسندها ، وبعد حصار طويل استسلمت اليه سنة ١٩٢١ م. فألحقها ببلاده وعيّن مديراً لها يديرها باسمه .

وسيّر الملك حسين بن علي حملة كبيرة على شرقي الحجاز سنة ١٩١٩ م. عقد لواءها لنجله الثاني الأمير عبدالله ، مهمتها الظاهرة إخضاع قبائل تربة والخرمة

التي شقّت عصا الطاعة بقيادة خالد بن لؤي أمير تربة، وانضمت الى الوهابيين، ومهمتها المضمرة الزحف على الرياض وضرب ابن السعود ضربة قاضية ، وكان بعض الإخوان من عتيبة بقيادة سلطان بن بجاد كبير الغطغط متهيئين لنصرة إخوانهم أهـل تربة والخرمة ، فتجسسوا على الأمير عبدالله ومواقع جيشه وهاجموه في الليل البهيم ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ.

أصبح الصباح فإذا بالقوات الهاشمية ممزقة ، وإذا بالأمير القائد قد فر سالماً برأسه من المعركة، وغنم الإخوان كل ما في المعسكر من أسلحة ومعدات وذخائر.

وفي سنة ١٩٢١ م. أرسل الحسين بن علي الرسل والدعاة الى عسير يدعون سكانها الى الانتقاض على أميرهم الإدريسي ، فلقيت دعوته آذاناً صاغية ، ورفع الأمراء آل عائض راية العصيان ، وآل عائض هؤلاء هم رؤساء قبيـلة عسير المنقسمة الى أربع بطون ، ومركزها بلدة ابها وسط جبال السراة في عسير وإمارتهم حديثة العهد ترجع الى أيام حكومة آل سعود وفتحهم عسير ، وكانت الإمارة قبلهم في رجال ألمـع ووليها أيام سعود الكبير عبد الوهاب بن عامر أبو نقطة .

خاف السيد بن إدريس العاقبة وأدرك أنه لا قبل له بقمع هذه الفتنة ، فلجأ الى ابن سعود عدوّ الحسين الألد ، فكاتبه وعقد معه معاهدة سيّر ابن سعود على أثرها القوات الى عسير ، فقمعت الفتنة واستولت على البلاد الثائرة : ابها وحائل وبني شهر وألحقتها بنجد ، وضربت العائضين وقبيلتهم ضربة شديدة .

فتح الحجاز :

يمكن تلخيص العوامل الأساسية لفتح الحجاز في الآتية :

١ محاولات الشريف حسين لجعل أمراء البلاد العربية ، ومنهم ابن سعود تحت سلطانه .

٢ – الخلاف بينه وبين نجد على الحدود الشرقية للحجاز عند تربة والخرمة ، ومسعى الحسين للأخذ بثارات واقعة تربة .

٣ قلق الحسين من توسع ابن سعود في عسير ، وفي بلاد ابن رشيد .

٤ – استيلاء ابن سعود على تيماء وخيبر والجوف ووادي السرحان .

٥ – تضييق الحسين على أهل نجد ومنعهم من القدوم الى الحجاز .

٦ – تكامل حلقات التطويق حول ممالك ابن سعود فقد كانت علاقاته مع الحكومتين الهاشميتين في العراق وشرق الأردن على غير ما يرام .

وطالبت نجد بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه في مؤتمر العقير المنعقد في ديسمبر سنة ١٩٢٢ م . من إعادة قبائل شمر اللاجئين إلى العراق لنجد ، فتلكأت حكومة العراق ونهب قبائل شرق الأردن أموال القبائل النجدية المارة من شرق الأردن الى سوريا وقتلوا رجالها ، فاقترحت بريطانيا عقد مؤتمر الكويت لتسوية المسائل المعلقة بين الحجاز والعراق وشرق الأردن ونجد ، فعقدت اجتماعات في ديسمبر ١٩٢٣ م . جمادي الأولى ١٣٤٢ هـ . وانتهى المؤتمر بالفشل إزاء المطالب الشاذة التي قدمها الشريف حسين في إعادة البلاد العربية إلى الأوضاع التي كانت عليها قبل الحرب وعدم اعترافه بالتطورات التي طرأت عليها.

فقد اشترط إعادة الجوف ووادي السرحان لشرق الأردن واعادة تيماء وخيبر وتربة والخرمة الى الحجاز واعادة آل رشيد الى حائل واعادة آل عائض الى عسير .

بعد فشل مؤتمر الكويت عقد اجتماع حافل في الرياض تقرر فيه الالتجاء الى السيف وجهزت عدة حملات لتسييرها الى الأطراف .

وسارت حملة الحجاز من تربة ومرت بمخضر كلاخ فوصلت الأخيضر ومنها الى الطائف فدخلتها بعد مقاومة يسيرة في ٦ صفر ١٣٤٣ هـ . وكانت قوات نجد بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد ، وقوات الحجاز بقيادة

الشريف على بن الحسين ، واشتبكت القوتان بعد الطائف في معركة الهدى واندحرت قوات الشريف في ٢٦ صفر ٢٦ سبتمبر ١٩٢٤ م .

وفي أوائل ربيع الأول تنازل الحسين عن العرش وانتخب ابنه علي ملكا دستوريا على الحجاز ، وسافر بعد أسبوع الى العقبة وانسحب الشريف علي من مكة الى جدة حينما علم أن قوات الأخوان قد بلغت بلدة الزيمه ، وفي ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ . ١٦ أكتوبر ١٩٢٤ م . دخلت القوات النجدية الى مكة المكرمة وفي اليوم السابع من جمادي الأولى ١٣٤٣ هـ . ٤ ديسمبر ١٩٢٤ م . وصل عبد العزيز ابن السعود الى مكة ودارت بينه وبين بعض الرسل مفاوضات لم تثمر الى اطالة الوقت على الشريف علي لكي يستعد في جدة للحرب والكفاح.

واحتل جنود ابن السعود القنفذه والليث وفتحوا الطريق منها الى مكة ثم احتل الأخوان رابغ وانفتحت طريق جديدة لتجارة مكة مع الخارج .

وفي أوائل يناير ١٩٢٥ م . تقدمت قوات ابن سعود الى جدة وأقامت الحصار عليها ، وتقدمت قوات أخرى لحصار المدينة ، ودام حصار جدة ما يقرب من سنة حصلت خلالها وقائع عديدة واشتد العسر على المحصورين واستحكمت حلقات الضيق .

وفي ١٩ جمادي الأولى ١٣٤٤ هـ . و ٥ ديسمبر ١٩٢٥ م . سلمت المدينة وبعدها ببضعة أيام طلب الشريف علي من المعتمد البريطاني أن يتوسط بينه وبين ابن السعود في وضع حد للحرب والحصار .

وعقدت بين الجانبين اتفاقية تنازل الشريف علي بموجبها عن الحجاز ، وسافر من جدة في اليوم السادس من جمادي الثانية ، وخضعت البلاد لحكم ابن السعود ونودي به ملكا على الحجاز في مكة المكرمة في ٢٢ جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ . ٨ يناير ١٩٢٦ م .

وفي ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٥ هـ. ٢١ أكتوبر ١٩٢٦ م . بسط حمايته على تهامة عسير المعروفة باسم المقاطعة الإدريسية ، وفي ٢١ جمادي الأولى ١٣٥١ هـ .

٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ م . صدر مرسوم ملكي وحدت به أجزاء المملكة الحجازية والمملكة النجدية وملحقاتها وجعلت مملكة واحدة باسم « المملكة العربية السعودية » .

ومنذ استقرت الحالة السياسية في المملكة العربية السعودية والحكومة جادة في تنفيذ بعض المشروعات تدريجياً لترقية شؤون البلاد العمرانية والاجتماعية وتعزيز استقلالها فأنشئت المطارات وبنيت المدارس والمستشفيات وبذلت عناية خاصة لتقوية الجيش واعداده وتجهيزه بأحدث الآلات وأكمل المعدات وهناك مشروعات أخرى نفذ بعضها والبقية في طريقها الى التنفيذ .

وفي إمكان الحكومة السعودية أن تقوم بإصلاحات كثيرة واسعة النطاق ، فإن مواردها من الزيت والذهب واللؤلؤ ورسوم الحج وغيرها أصبحت تتضخم يوماً بعد يوم ، وقد أضحت بلادها بفضل شركة الزيت خامس مورد ضخم في العالم للنفط .

ولقد بلغ انتاج الزيت في عام ١٩٤٤ حوالي عشرين ألف برميل في اليوم ، وما زالت ترتفع في السنوات الأخيرة ، حتى زادت على خمسين ألف برميل في اليوم ، وينتظر زيادتها في الأعوام المقبلة .



١٨ - امارات الخليج

الكويت - البحرين - قطر - دبي - رأس الخيمة - أبو ظبي - الشارقة - أم الكراين - عمان .

الحدود الشرقية لجزيرة العرب :

تنتهي الحدود الشرقية لجزيرة العرب عند الساحل المشرف على الخليج العربي من الغرب ، ويمتد هذا الساحل من الكويت في الشمال الى مسقط عاصمة عمان في أقصى الجنوب . وتبلغ مساحة هذا الخليج نحو ٩٧٠٠٠ ميل مربع وتكتنفه الجبال من الشرق والغرب .

بحيرة عربية :

وقد كان الخليج بحيرة عربية في العهدين الأموي والعباسي لا سلطان عليه إلا للعرب ، فلما دالت دولتهم تغلب الفرس والبرتغاليون والهولانديون على بعض أجزائه ، ثم جاء العثمانيون ، ثم الانكليز بعد استيلائهم على طريق الهند .

عرب الخليج :

يتألف الخليج من قسمين غربي وشرقي ، أو الضفة الشرقية والضفة الغربية ، وسكان الأولى فرس يتبعون حكومة طهران مباشرة ، أما سكان الضفة الغربية فهم من العرب ينتمون الى ربيعة أحد فرعي عدنان العظيمين : ربيعة ومضر .

وقد كانت منازل ربيعة في نجد بين اليمامة والبحرين والعراق ، وانقسمت ربيعة الى بني كلب وبني أسد ، وانقسم بنو أسد الى بطنين: جديلة وعنيزة، ومن

عنيزة يتحدّر بكر وائل الذي تنتسب اليه البيوت الثلاثة الحاكمة اليوم في نجد والبحرين والكويت الى آل سعود وآل خليفة وآل صباح .

أمارات الخليج :

تقوم على الضفة الغربية لهذا الخليج عدة إمارات ومشيخات عربية وقد كان هذا الانقسام سبباً في بسط النفوذ الاجنبي على هـذه البلاد وهي بحسب وضعها الجغرافي من الشمال الى الجنوب .

(١) الكويت . (٢) البحرين . (٣) قطر . (٤) أبو ظبي . (٥) دبي .
(٦) الشارقة . (٧) رأس الخيمة . (٨) مسقط .

وأعظم هذه الحكومات شأناً حكومة مسقط وتتلوها البحرين ثم الكويت.



١٩ ـ الكويت

موقعها – حدودها – مساحتها :

تكون إمارة الكويت نصف دائرة على الساحل الغربي من رأس الخليج وتقع جنوب العراق وشمال الحسا (نجد) وتمتد حدودها الشمالية من أم قصر إلى سفوان قرب جبل سنام إلى الباطن .

أما الحدود الغربية فتتبع الباطن الى قرب الحفر حيث تتصل بالحدود العراقية النجدية ومن هنالك تتجه الى الجنوب الغربي حيث تتصل أيضاً بالحدود النجدية .

ويبلغ طولها من الشمال الى الجنوب نحو ١٨٠ ميلاً ومن الشرق الى الغرب نحو ٢٥ ميلاً ومساحتها العامة أربعة آلاف ميل مربع .

سكانها :

نحو مائة وخمسين ألفاً منهم ثمانون ألفاً في مدينه الكويت والباقي من العشائر خارجها وهم عرب سنيون يتدينون على مذهب الإمام مالك وبينهم شيعة ووهابية وفرس وهندوس ومسيحيون ويهود .

اهم بلدانها :

ليس للكويت ملحقات من البلدان الكبيرة ولكن في برها أماكن بأسماء معروفة كالوبرة عند الحدود الشمالية والصبيحية في الجنوب وخبره وأم الروس وغيرها وكلها أماكن مياه يرتادها عرب العشائر .

أهميتها التجارية :

الكويت مدينة تجارية ومراكبها مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعها وهي على أنواع منها للعبور والتنزه ومنها للحمولة ومنها للغوص ولا يقل محمول أكبرها عن مائتي طن وتصل أسفارها حتى الى جزائر مدغشقر وزنجبار وأكثر السفن تستخدم لاستخراج اللؤلؤ في موسم الغوص ، وللتجارة بين الهند والعراق ولكنها تخرج من الكويت غالباً فارغة وتعود اليها ملأى .

ذلك لأن الكويت مدينة من مدن اللؤلؤ فقط على الخليج وهي تضطر أن تجلب حتى التمر من البصرة أو القطيف اذ ليس فيها أو في جوارها شيء يذكر من النخيل .

وتزيد قيمة اللؤلؤ على قيمة ما تحتاج البلاد من المأكول والملبوس فتشتري بالزيادة للاتجار وقلما يقرن اللؤلؤ بمصدر آخر من مصادر الثروة .

تاريخهـــا :

تاريخ الكويت القديم غامض مجهول وقد لا يكون لها ما يهم من التاريخ قبل أن هاجر اليها آل صباح قادمين من خيبر منذ أكثر من مائتين وسبعين سنة فقد كانت عنيزة التي تنتسب اليها آل صباح تقطن أولا في عين التمر في بر العراق على مسيرة ثلاثة أيام من الانبار ثم انتقلت منهـا الى نواحي خيبر فأقامت هناك ومعها أحياء من طي فصارت تنتجع وتشتي معهم في نجد .

والكويت تصغير كوت ، وهو في اصطلاحهم بيت محوط ببيوت صغيرة ، وقد كانت عبارة عن بيوت حقيرة لبني خالد ، فجاء آل صباح وسكنوا هذه الناحية بإذن من بني خالد .

ثم انتخب صباح حاكماً على العشائر فيها ، فحكم وتوفي في زمن يجهل تاريخه ، ولكنه لا يرجع الى ما دون القرن الثاني عشر للهجرة لأن ابنه الشيخ عبد الله الذي خلفه توفي عام ١٢٢٩ هـ .

وكانت الكويت بحكم وضعها الجغرافي ووقوعها بين العراق ونجد الخاضعتين للحكم العثماني عثمانية ، وكان شيوخها يتمتعون باستقلال داخـــلي كمعظم شيوخ العرب ، إذ أبقت لهم الدولة نظمهم وعاداتهم .

والشيخ عبد الله الصباح أول من حكم الكويت من هذا البيت سنة ١٧٥٦ م. حكمها ٤٦ سنة ، فاتسعت في عهده وشاع ذكرها في الخليج ، ثم خلفه ابنه جابر عام ١٢٧٦ هـ. ، وخلف جابراً ابنه صباح عام ١٢٨٣ هـ.

وبعد أن توفي صباح تولى الحكم بعده ابنه عبد الله الذي حكم ٤٦ سنة ، ثم بعد أن توفي عبد الله حكم أخوه محمد بن صباح ، وكان أخواه مبارك وجراح طامعين به ، ولكن جراحاً والى محمداً ، وكان فعلا لا رسمياً شريكه في الحكم فاشتدت المنافسة بين مبارك وأخويه .

وقرر عزم مبارك على أن يتخلص من أخويه وينفرد بحكم البلاد ، فاتفق مع ولده ونهضا ذات ليلة للأمر وكل منهما مستل سيفه ، فذبح مبارك أخاه محمداً وذبح ابن مبارك عمه جراحاً ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة عام ١٣١٣ هـ.

ضجت الكويت لهذه الفاجعة ، ثم أذعنت للشيخ مبارك صاحب الحكم فيها إلا أبناء القتيلين وأشياعهم ، فقد ذهبوا الى البصرة طالبين من الدولة العثمانية التدخل ومعاقبة عمهم وولده ، فأرسلت بارجة من البصرة الى الكويت تحمل قوة عسكرية لإبلاغ مبارك أمر الدولة بالسفر الى الاستانة فيدخل عضواً في مجلس شورى الدولة ، أو يختار الإقامة في مكان آخر ، فتجري عليه الدولة راتباً .

وقبل وصول البارجة كاتب الشيخ مبارك المعتمد الانكليزي في أبي شهر طالباً حمايته ، فأرسل بارجة حربية رست في الكويت ومنعت البارجة العثمانية من القيام بأدنى عمل ، وبذلك دخلت الكويت فعلا تحت الحماية البريطانية ، وتعهدت في قبيل الحماية بأن لا يكون للكويت علائق مع دولة أجنبية غيرها مهما كانت .

وفي ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣م. عقد الباب العالي اتفاقاً مع بريطانيا بواسطة السفير العثماني في لندن تنازلت فيه الدولة عن سيادتها على الكويت والبحرين وقطر ومسقط وعمان وبقية جزر الخليج .

وإذا كان الشيخ مبارك موفقاً في سياسته ونفوذه فإنه لم يهتم بالتعليم ولا ساعد في بناء مدرسة واحدة . وكان يرهق التجار والرعية بالضرائب وقد توفي في محرم سنة ١٣٣٤ هـ. عام ١٩١٥ م. فخلفه ابنه جابر الذي لم يحكم غير سنة وشهرين .

وانتقلت الإمارة بعد وفاة جابر الى أخيه سالم وكان يكره الوهابيين والإخوان مما أدى الى خلاف بينه وبين سلطان نجد فكان ذلك سبب هجوم لاف من الإخوان على الجهرة فذبحوا مئات من أهلها وقتل منهم مئات ٣وحاصروا الشيخ سالم في قصره فلم ينج إلا بحيلة احتال عليهم بها .

وتدخل الانكليز فردوا الإخوان عن الكويت ثم تدخل الشيخ خزعل فأرسل أحد أنجاله مع الشيخ أحمد الجابر الذي انتدب ليفاوض سلطان نجد بالصلح وبينما كانوا في الرياض في شتاء سنة ١٣٣٩ هـ. ـ ١٩٢١ م. توفي الشيخ سالم وانتخب الشيخ أحمد الجابر خلفاً له .

وقد ازدهرت في عهده حركة أدبية قوامها المكتبة الأهلية هناك والمدارس اليومية والليلية، وفي أبناء الكويت ذكاء وجرأة وحسن استعداد.

وبعد وفاة الشيخ أحمد تولى الحكم ابن عمه الشيخ عبدالله سالم آل صباح الذي حدث في عهده الانقلاب العظيم في الكويت بسبب تدفق آبار البترول في هذه الإمارة بكميات كبيرة لم يكن يتوقعها أحد فآبار بترول برجان التي تقع على بعد خمسة وستين ميلاً جنوبي مدينة الكويت تقدر محتوياتها بما يتراوح بين ١٢ و ١٥ الف ملون برميل أي ما يقرب من سدس مجموع كميات البترول التي

يقدر وجودها في الآبار المعروفة في مختلف أنحاء العالم ويساوي هذا البترول إذا قدر بالأسعار الحالية ما يتراوح بين سبعة وثمانية آلاف مليون جنيه .

لقد كانت الكويت منذ سنوات فقط بلداً منسياً لا يكاد يسمع عنه أحد وكان سكانها يقيمون في بيوت صغيرة تتخللها طرقات ضيقة ولم يكن بها من آبار الماء سوى عدد قليل لذلك كان أهل الكويت يحضرون الماء بالسفن من مكان يبعد عنها بأكثر من مائة ميل وكانوا جميعاً باستثناء قلة من تجار اللآلىء يعيشون في فقر مدقع .

وفي عام ١٩٣٤ م. حصلت شركتان اجنبيتان على ترخيص من أمير الكويت بالبحث عن البترول في بلاده وفي سنة ١٩٣٨ اكتشف البترول ولكن نشوب الحرب حال دون استغلال الآبار ، فلما استؤنف العمل في عـام ١٩٤٧ فاضت الآبار ، بمقادير هائلة من البترول .

وكان طبيعياً أن تحدث آبار البترول انقلاباً عظيماً في الكويت ، فقـــد استحال البلد الهادىء الساكن الى كتـلة من النشاط والصخب والضوضاء . وزخرت الصحراء القفراء بآلات الحفر وخزانات التعبئة وأنشئت على شاطىء الخليج أكبر ميناء في العالم لشحن البترول ، وبنيت مدن جديدة في الصحراء تتخللها شوارع طويلة تصطف على جانبيها منازل أنيقة ذات طابق واحد لتتخذ مكاتب أو دور ضيافة ومستشفيات ، وانفسح مجـال العمل أمام الأهلين حتى أصبحت الوظائف بالآلاف . وأنشئت المدارس لتدريبهم وسرعان ما أصبح الكثيرون من أبنـاء الكويت مساعدي مهندسين وميكانيكيين ونجارين وسائقي سيارات .

وكانت مدارس الكويت لا تتجاوز أربع مدارس ابتدائية . فبنى الأمير عشرين مدرسة جديدة تتسع لثمانية آلاف طالب وأنشأ مدرسة ثانوية وجامعة صغيرة بها معامل فسيحة ومكتبة وملعب كبير وجناح للنوم .

وقد بدأت مشكلة الماء تحل ، إذ أقامت شركة استغلال البترول آلات لتقطير ماء البحر تنتج نحو ستمائة ألف جالون في اليوم ، وبدأ الأمير في إنشاء مجموعة آلات أخرى سوف تنتج مليونا ومائتي الف جالون يوميا كما بنى مستشفى فسيحا زوده بأحدث الآلات والعقاقير وأنشأ مصحة كبيرة للدرن .

وقد استعان الأمير بعدد من الخبراء الانجليز والامريكيين في تحسين مرافق بلده وإنشاء بلدان جديدة صحية ، وتنظيم شؤونها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وقد قفز الدخل السنوي فجأة من عشرة ملايين من الجنيهات في عام ١٩٥١ إلى خمسين مليونا من الجنيهات في عام ١٩٥٢ .



٢٠ ـ البحرين

موقعها :

البحرين أو جزر أوال اسم لمجموعة جزر متجاورة تحاذي الشاطىء الغربي في الخليج العربي، وتقع على مقربة من قطر والحسا، وهي غير البحرين المعروفة في التاريخ الإسلامي فتلك هي مقاطعة الحسا الواقعة بقربها .

وجزر البحرين هي : المنامة والمحرق والرقاع والحد والبديع ، والأولى أعظمها شأناً ، وهذه الجزر قريبة من الخط الواحد والخمسين من العرض الشرقي ، ويشطرها الخط السادس والعشرون من الطول الشمالي .

مساحتها :

تقدر مساحتها بأربعمائة وخمسين ميلا مربعاً ، وعدد سكانها مائتا ألف نفس تقريباً .

تاريخها[1] ـ الخليج مهد الحضارة :

يقول بعض المؤرخين : إن الخليج العربي هو مهد الحضارة ، بل مهد الجنس البشري ، وان سكانه الأقدمين أي سكان الجزر فيه هم أول من رفعوا شراعاً في البحار ومارسوا الملاحة وأتقنوا عملها ، وكانوا الصلة العاملة بين الشرق والغرب .

---

١ ـ اعتمدت في هذا الفصل على كتاب ملوك العرب للريحاني .

أصل الفينيقيين :

وقال آخرون : إن الفينيقيين هم من هذه الديار العربية ، نشأوا في جوار الخليج أو فيه ، وكانت أسفارهم في البداية بين الهند والشام ومصر ، ثم ظعنوا إلى سواحل سورية وخاضوا البحر الأبيض ، فوصلوا إلى قادش وبلاد الغال ، وأصبحوا في تلك الأيام الصلة التجارية الوحيدة بين الشرق والمغرب الأقصى .

ولا عجب إذا كان الخليج وجواره منشأ الفينيقيين ومطلع أنوار المدنية الأولى ، فإن أبناء هذه الربوع هم الذين مصروا أرض الكلدانيين ، وشيدوا قصور بابل وأشور .

آثار فينيقية :

في جزيرة المنامة بجوار قرية علي : تلال وأطلال يظنها الرائي لأول وهلة آثار مدينة قديمة ، ولكنها آكام هرمية اصطناعية قائمة في سهل فسيح ، بل في قفر سَبْسَب بين المنامة والرقاع يدعى المراقيب .

هي مقبرة فسيحة الأرجاء تمتد أميالا في جهتي الشرق والجنوب ، وفيها من القبور ما يزيد على ستة آلاف قبر ، يتراوح علوها بين الخمسة والعشرة أقدام ، وهي من أكبر مدافن الشرق ولا يبعد أن تكون أقدمها عهداً .

وهناك بيت فيه غرفتان بنيتا بالحجارة الضخمة ، الواحدة فوق الأخرى ، وهي تختلف علواً ولكنها لا تنقص عن الثلاثين ولا تزيد على الخمسين قدماً ، ويظهر أن هذه القبور العالية لأمراء الجزيرة وأعيانها .

وقد عثر السواح في بعض هذه المدافن على آثار صناعية أثبت البحث أنها فينيقية الأصل ، كما ثبت ضمناً أن هذه القبور قديمة جداً لأن هجرة الفينيقيين من هذه الجزائر إلى البحر المتوسط هي منذ خمسة آلاف سنة . وقد كتب أحد القواد المقدونيين عند ما جاء الى خليج العرب من قبل الإسكندر قادماً

عن طريق الهند : أنه زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج ، ثم جزيرة تدعى تيرين ، وهي على ما يظهر دارين المعروفة عند العرب بهذا الاسم .

البحرين القديمة :

كانت البحرين في قديم الزمان تطلق على البلاد الواقعة في الساحل العربي الشرقي كله من البصرة الى عمان ، وقد أطلق العرب عليها هذا الاسم لأنها على ما يظهر واقعة على بحري عمان وفارس ، وجعلوا عاصمتها هجر ، ثم اختص هذا الاسم بمقاطعة الإحساء ، ثم انحصرت التسمية في الجزر المعروفة الآن بهذا الاسم .

الاسلام في البحرين :

كانت البحرين بالاصطلاح القديم من البصرة الى عمان مستعمرة فارسية قبل الإسلام ، ولكن عمالها كانوا غالباً من أمراء العرب ، وكان سكانها من عرب نجد ، وأكثرهم من عبد قيس ووائل وتميم ، وبين السكان عدد من المجوس واليهود والنصارى . وفي السنة الثانية من الهجرة أرسل النبي عليه السلام العلاء الحضرمي ليدعو أهل هذه البلاد الى الإسلام ، فأسرع حاكمها يومئذ من قبل الفرس المنذر بن ساوى التميمي هو ومن معه الى الاسلام حباً في الدين الجديد ، ورغبة في التخلص من ملوك الفرس .

وقد ارتد أهل البحرين بعد وفاة النبي عليه السلام ، فجاءهم العلاء مرة ثانية ومعه جيش من المسلمين ، فأدّب أهل الردة وقتل كثيرين منهم ، وكتب الى أبي بكر يستمده ، فكتب أبو بكر الى خالد بن الوليد ، وهو يومئذ في اليمامة ، ليتوجه الى البحرين. فجاء خالد وكان قد فر كثيرون من أهل الردة الى الجزيرة وتحصنوا فيها ، فأمر العلاء رجاله بالزحف عليها ، وتقول الروايات : بأن العلاء عند ما وصل بجيشه الى الساحل لم يجدوا سفناً فيه ، وكان المرتدون قد

أحرقوها ، فصلى العلاء ركعتين ثم دعا الله ، وأخذ بعنان فرسه وهو يقول : جوزوا باسم الله ، فمشى ، ومشى وراءه جيش عدده أربعة آلاف ، فلم يبتل لهم قدم ولا خف ولا حافر .

وتقول رواية أخرى : إنهم اجتــازوا الى دارين لا الى أوال . ودارين لا تبعد كثيراً عن بر القطيف ، حتى إنه بوسع الناس ساعة الجزر أن يمشوا من البر اليها .

وبعد أن أدّب العلاء أهل البحرين حمل على الزباره في قطر وقتل المكعبر عامل كسرى فيها ، ثم خاض عباب الخليج ، فوصل الى الشاطىء العجمي ، ودخل بلاد فارس فاتحاً . وبعد ذلك دعاه الخليفة عمر الى المدينة وولاه عــلى البصرة وولى على البحرين عثمان بن أبي العاص ، ثم الربيع بن زياد الحارثي .

ابو فديك الخارجي :

خضعت البحرين لحكم الخلفاء الراشدين ، ثم لحكم بني أمية الى خــلافة عبد الملك بن مروان حيث استولى في أيامه على الجزيرة أبو فديك الخارجي سنة كاملة ، وكانت جنود ابن مروان قادمة اليهــا ، فدخلتها وقتلت أبا فديك وستة آلاف من رجــاله الخوارج ، وعادت السيادة لبني أمية في الشاطئين العربي والعجمي .

مسعود العبدي :

في سنة ١٠٥ هـ خرج على عامل بني أمية في البحرين مسعود بن أبي زبيبة العبدي فتغلب عليه ونصب الأشعث بن عبــد الله الجارودي والياً مكانه ، فحكمها تسع عشرة سنة ، ثم أعاد الأمويين الكرة عليهم ، ولكنهم لم يستولوا على الجزيرة بعد ذلك زمناً طويلاً لأن دولتهم كانت قد تلاشت واضمحلت ، فقام العباسيون مقامهم واحتل عقبة بن سليم البحرين من قبل أبي جعفر المنصور .

صاحب الزنج :

ظل عمال بني العباس يحكمون الجزيرة والأحساء حتى سنة ٢٤٩ هـ. عندما استولى عليها علي بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد قيس المعروف بصاحب الزنج، وكان يرى رأي الخوارج ، وقد دعي بهذا الاسم لأنه في بادىء أمره كان يدعو الغلمان من الزنـــج الذين يسكنون في نواحي البصرة فيعدهم بالعتق في الدنيا وبالجنة في الآخرة .

وقد تبعه في البحرين خلق كثير ، وطفق يشن الغارات وله في أكثرها الغلبة والغنائم . وفي سنة ٢٥٥ هـ. ادعى النبوة وراح وزنوجه يسلبون وينهبون ، وقد امتد حكمه نحو أربع عشرة سنة يحكم في هجر اليوم وفي البصرة غداً وتارة في الأحساء وطوراً في البحرين ، ولم يتمكن بنو العباس من قتله حتى سنة ٢٧٠ هـ. حيث قتل وانتهى أمره عند ذلك .

القرامطة :

في سنة ٢٧٨ هـ . ظهر أبو سعيد القرمطي جاء الى العراق من خورستان فنزل في الكوفة ، ودعا وهو في العراق الى إمام من أهل البيت قيل انه محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وقيل إنه محمد بن الحنفية وكان القرامطة بعدئذ يدعون تارة لهذا وطوراً لذاك وفي تلك الدعوتين فتنة على العباسيين بـــل إن نهضة القرامطة أصلاً وفعلاً هي نهضة ايرانية دينية سياسية ضد الخلافة والعرب وقـد ساعد على نجاح القرامطة وغيرهم من الخارجين على الخلافة ما يرتكبه الخلفـــاء العباسيون من المظالم وما اعترى ملكهم من الخلل والضعف والفساد خصوصاً في عهد المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر .

وقد اجتمع على أبي سعيد خلق كثير وجلهم من البادية لأنه خفف عنهم أثقال العبادة فاختصر الصلاة فجعلها فرضين صباحاً ومساء وعفاهم من صوم رمضان واشتدت حروب القرامطة على الخلفـــاء وتعددت فظائعهم وانتزع

زعماؤهم الملك من عمال العباسيين في عمان والحساء والقطيف والبحرين . أما شمالاً فاجتازت جيوشهم البادية والحماد ووصلت الى بعلبك ومنهم من غزا الحجاز واليمن .

ويقول بعض المؤرخين إن القرامطة هم إحدى الأسباب الأولى في سقوط الدولة العباسية وقد استمرت فتنتهم ٦٠ سنة وتزيد وبلغ القتال بينهم وبين جيوش الخلفاء أشده في السنوات الوسطى منهـــا أي منذ سنة ٢٨٩ هـ . — ٩٠٢ م . إلى أن دخلوا مكة بقيادة زعيمهم أبي طاهر سنة ٣١٧ هـ — ٩٣٠ م. فكان في ذلك الفتح خاتمة الفظائع والهول .

دخل أبو طاهر سليمان بن حسن القرمطي الحجاز بجيوشه راكبين خيلهم وأعملوا السيف في الناس فقتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين الف رجل وألوفاً من النساء .

وقد دخلت البحرين في حوزة القرامطة في عهد المكتفى بن المعتضد العباسي وظلت في حوزتهم الى أن ضعف أمرهم. وبدأت سيادتهم تتلاشى فقام لقتالهم عندئذ ثلاثة من العرب وهم الأمير عبد الله بن عـــلي العيوني في الاحساء ، ويحيى بن العياش في القطيف ، وأبو البهلول محمد بن يوسف الزجاج في البحرين ، ثم اقتتل هؤلاء على ما غنموا .

الامارة العيونية :

الأمير عبد الله بن علي العيوني هو مؤسس الإمارة العيونية في الأحساء والقطيف والبحرين. فقد عرفنا أنه أحد الثلاثة الذين قاتلوا القرامطة وقد حاربهم سبع سنوات حتى انتزع الملك والسيادة منهم في الاحساء .

أما ابن العياش الذي انتزع القطيف من القرامطة فقد استولى ايضاً على البحرين بعد ان كسر البهلول في وقعة شديدة وكان البهلول قد استولى على البحرين وطرد عمال القرامطة منها واستقام له فيها الأمر بضع سنين .

وقد حاول ابن العياش بعد استيلائه على القطيف والبحرين أن يضم اليه ما بيد العيوني في الاحساء فخرج الى الأحساء طامعاً في تنفيذ خطته فلاقاه العيوني بجيش جرار في الطريق فكسره في الموقعة الأولى ، وقتله في الثانية . ثم استولى على القطيف والبحرين واستمر حكم آل العيوني في البحرين نحو مائتين وخمسين عاماً .

ابو بكر الزنجي :

ثم انتزع العجم الحكم ثانية من العرب. فقد استولى على المملكة بعد انقراض الدولة السلجوقية أبو بكر بن سعد الزنجي أحد ملوك فارس، فحمل على العرب في جزيرة قيس واحتلها ثم عبر البحر الى البحرين فأخذها واستولى بعدها على الأحساء والقطيف وغيرها من البلدان واستمر حكم الزنجيين حتى بعد أن ظهر جنكيزخان المولود سنة ١١٦٢ م. والمتوفي سنة ١٢٢٧م. فشابه القرامطة بمدة دولته (٦٠) سنة وبأهوالها .

وبعد مائة سنة من عهد المغول الأول جاء تيمورلنك المولود سنة ١٣٣٦ م. والمتوفي سنة ١٤٠٥ م. فكمل أعمال جده جنكيز خان الفظيعة واستولى على البحرين فيما استولى عليه من البلاد قبل دخوله بغداد . ثم خرجت الجزيرة بعد موته من حكم المغول .

البرتغـــال :

بينما كان المغول في الشرق يفتحون البلدان ويدمرونها ويذبحون العبـــاد ويزرعون الويل والأحزان في كل مكان كان الفكر البشري قد شرع في أوروبا يجول في سماء العلم والبحث والاكتشاف ، فقد أبحر الربان البرتغالي فسكودي غاما المولود سنة ١٤٥٠م. حول الرجاء الصالح ومخر عباب الإقيانوس الهندي فوصل الى سواحل تلك البـلاد العجيبة وكان أول من أسس لدولته ملكا في الشرق وجاء بعده زميله الفونسو البوكركة فرفع عـلم دولته في مسقط ودخل

مضيق هرمز فاستولى عليه وحصنه ، وتقدم في الخليج متفقداً الجزر والأساكل فيه وهو يبغي الوصول الى البصرة ليفتح طريقاً لمستعمرة بلاده في الهند .

والفونسو هذا كانت أولى سفراته الى الهند سنة ١٥١٣م. وهو الذي حاول أن يأخذ عدن سنة ١٥١٣ م. فلم ينجح فتقدم بأسطوله الى البحر الأحمر واحتل فيه جزيرة قمران .

ثم استولى البرتغاليون على جزيرة البحرين والقطيف وحصونهما ولكنهم لم يستولوا على الأحساء لأن العثمانيين كانوا قد سبقوهم إليها ، وبسطوا سيادتهم عليها فعدوها يومئذ جزءاً من اليمن الذي كانوا قد احتلوا بعض نواحيها .

وقد دام حكم البرتغاليين في البحرين نحو أربعين سنة حتى جاء السلطان سليمان القانوني العثماني فجهز أسطولا الى مسقط والبحرين وأخرج من كان فيهما من البرتغال .

عودة الحكم الفارسي :

لقد دخلت البحرين تحت سلطان فارس على أثر اختلاف شديد بين أمراء الجزيرة وكان أكثرهم من الشيعة فرفعوا شكواهم الى الشاه عباس الأول أحد ملوك فارس وطلبوا منه الحماية لقربهم منه موضعا ومذهبا فأجاب الشاه عباس طلبتهم وخلصهم من السيادة العربية ولكنه بسط عليهم حمايته فعادت البحرين مستعمرة فارسية كما كانت قبل الإسلام .

ولكن الحكم الفارسي في البحرين قد تسرب اليه ما كان قد اعترى الملك في بلاد فارس من الخلل والفساد ، وقد كان آخر عامل عربي من عمالهم هو الشيخ آل مذكور استنجد حكومة إيران في حملته على آل خليفة في الزبارة فلم تنجده والزبارة هذه بلدة في قطر على شاطىء البحر محاذية لجزيرة البحرين وقد دارت معركة بين الشيخ نصر وآل خليفة سنة ١١٩٧ هـ - ١٧٨٢ م. فرّ الشيخ نصر على أثرها منهزماً الى أبي شهر ودخل آل خليفة منتصرين الى البحرين .

آل خليفة :

آل خليفة هم من أكبر عشائر بني عتبة يسكنون بأرض الهدار من بلاد الإفلاج بنجد ، وبنو عتبة فصيلة من جميلة وهؤلاء فخذ من عنيزة وقد نزح الشيخ خليفة الجد الأول لهذا البيت هو وأهله الى الكويت في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة ، وأقاموا هناك عدة سنين وبعد وفاته رحل ابنه الشيخ محمد الى الزبارة فنزلوا على أبناء عمهم الجلاهمة وآل ابن علي .

وقد كان الشيخ محمد بن خليفة برا كريما ورعا أصيل الرأي فأحبه الناس ورغبوا اليه في أن يكون أميراً عليهم فقضى مدة حياته أميراً في الزبارة ثم خلفه ابنه خليفة المتوفي في مكة أثناء حجه إليها سنة ١١٩٧ هـ . وقد خلفه في الحكم أخوه الشيخ أحمد الفاتح وهو الذي احترب ، وآخر عامل من عمال الفرس في البحرين الشيخ نصر آل مذكور فغلبه واستولى على الجزيرة .

بعد أن استولى أحمد الفاتح على البحرين عاد إلى الزبارة في قطر وأقام عنه عاملا في البحرين وبعد بضع سنين توفي فخلفه ابنه الشيخ سلمان وكان ضعيف الرأي والإرادة ، وفي أيامه وصل الأمير عبد العزيز آل سعود إمام الوهابيين بجيوشه إلى الاحساء فخاف عرب الزبارة أن يستولي عليهم فظعنوا يتقدمهم الشيخ سلمان إلى البحرين .

وبعد استقرارهم في البحرين جاء السيد سلطان حاكم مسقط بأسطوله واحتل الجزيرة بناء على رغبة البحارنة ، كما يقول بعض المؤرخين ، فقد ذكروا أنهم كتبوا الى حاكم مسقط يرغبونه في الاستيلاء على بلادهم ، وقد أسرع الشيخ سلمان الى موالاة السيد سلطان وعقد معه صلحاً قدم اليه بموجبه أحد إخوانه رهينة اليه ، وعاد السيد سلطان بالرهينة والغنائم الى مسقط بعد أن ولى ابنه سعيد على البحرين .

ولكن آل خليفة نهضوا لاسترجاع البحرين بعد أن توفي أخو الشيخ سلمان الرهينة في مسقط وطلبوا المساعدة من أمير نجد ، فأجابهم الى ذلك ، وكان ابن سعود قد استولى يومئذ على الحرمين .

أقبل إبراهيم بن عفيصان أحد قواد ابن سعود البواسل بجيوشه ، واشترك مع جيش الزبارة في الهجوم على البحرين ، فهزموا السيد سعيد وأخرجوه من الجزيرة ، ولكن القائد الوهابي احتلها باسم أمير نجد، وأذن لآل خليفة بالرجوع الى الزبارة ، فعادوا ثانياً مدحورين .

وبينا كانوا ، وعلى رأسهم الشيخ سلمان ، يفكرون في رفع أمرهم الى الإمام الوهابي في الدرعية ، أقبلت عليهم سرية من نجد فاستولت على الزبارة وأمرت آل خليفة بالسفر الى نجد ، وكان الأمير مسعود قد خلّص وقتئذ أباه عبدالعزيز فقدم عليه ثلاثة من آل خليفة سنة ١٢٢٤ هـ. فأنزلهم في القصر ضيوفاً عليه وأسراء بين يديه .

ولكن آل خليفـة عادوا الى السيد سعيد بن سلطان الذي أخرجوه من البحرين يستنجدونه بواسطة ابن أختهم عبد الرحمن بن راشد آل فضل ليساعدهم في إخراج ابن عفيصان منها ، فأمدهم بالمال فقط ، وسافر عبد الرحمن ابن راشد ليبحث عن نجدة لأخواله ، فظفر في بلاد فارس ، وهي مستعمرة عربية من عرب النصور، فألف منهم جيشاً وجاء آل خليفة برجالهم من الزبارة فهجموا على الجزيرة وكسروا ابن عفيصان وأخرجوه من الجزيرة ، ففر هارباً الى قطر ونزل على رجل يدعى ارحمه بن جابر الجلاهمة .

وقد فكر الإمام الوهـابي في أن يستعيد سلطنته في البحرين فشغل بحرب إبراهيم باشا المصري الذي قدم لحرب أهـل نجد وأطلق سراح آل خليفة المعتقلين لديه فعادوا إلى الجزيرة يتولون فيها زمام الحـكم .

وقد رأى آل خليفة أنه لا يصفو لهم الجو حتى يتخلصوا من ابن عفيصان المقيم في قطر عند أرحمه الجلاهمة . وكان أرحمـه هذا يسعى في انتزاع الإمارة من آل خليفة فجهزوا أسطولا من السفن الشراعية وأبحروا الى قطر فخرج ابن عفيصان وأرحمـه في سفنهم إلى البحر حيث اشتبكت السفن في معركة ودوت البنادق بالرصاص ، وأبرقت خلال الدخان السيوف وسالت الدماء ،

وأسفرت المعركة عن هزيمة أرحمه وصاحبه وغرقت سفينتهما ، ولكنهما نجيا على لوحة من خشب ، وقد سافر أرحمه عقب هذه الهزيمة الى مسقط يخطب ود حاكمها سعيد بن سلطان ويستنجده على آل خليفة .

وجاء حاكم مسقط بأسطوله الى البحرين يصحبه أرحمه ، فاشتبكوا مع آل خليفة في معركة في البحر أسفرت عن هزيمة أهل مسقط وفرارهم عائدين الى بلادهم ، وعلى أثر هذه الهزيمة عاد السيد سعيد الى البحرين فعقد معاهدة مع حاكمها الشيخ سلمان ، من شروطها أن يدفع أهل البحرين قسماً من الخراج الى حاكم مسقط ، فيطلق سراح المعتقلين عنده من تجار البحارنة الذين ألقي القبض عليهم أثناء اجتيازهم بمسقط في طريقهم الى الهند .

توفي الشيخ سلمان ، فتولى الحكم أخوه عبد الله ، وهـو الحاكم الثالث من آل خليفة في البحرين ، وقد قضى في إمارته اثنتين وعشرين سنة جلّها في قمع الفتن والحروب ، فقد حارب أرحمه مرة أخرى وقضى عليه ، وفتح عدة بلدان وأدّب الثائرين عليه من أبنائه وغيرهم من آل خليفة .

وقد تولى الحكم بعده ابنه الشيخ محمد سنة ١٢٥٨ هـ . — ١٨٤٢ م . ، فحكم مطمئن البال ست سنوات لم يخرج عليه أثناءها أحد من أعدائه .

وفي عهد هذا دخلت البحرين في حمـاية الإنكليز على أثر حروب وقعت بينه وبـين خصومه من آل خليفة ، إذ قبل ما عرضه عليه المعتمد البريطاني في أبي شهر ، فعقد معاهدة تضمن له سلامة بلاده وترد عنها كل غارة مقابل تنازله عن حقه في تجهيز الجنود والسفن البحرية .

وثار أهل قطر سنة ١٨٦٧ م . على حكومة البحرين وكانوا يتبعونها ، فأرسل الشيخ محمد أخاه الى أبي شهر يطلب النجدة من معتمد انكلترا السياسي ، عملاً بالاتفاق المعقود بينهما ، كما أخذ يعد عدته للمقاومة ، فوقعت بينه وبين الثوار معركة دامية نقم عليه المعتمد بسببها ، وكان قد سافر الى قطر حينما وصل هذا على مركب حربي الى البحرين ، فعد سفره نكثاً للعهد ، وما نكثه العهد سوى

قيامه بالدفاع عن بلاده ، فأطلق المدافع على القلعة فدمرها وطلب من الشيخ علي شقيق الشيخ محمد أن يتولى الحكم مكان أخيه الذي سقطت حقوقه بسفره ، فتقبل الشيخ علي ما عرض عليه وتولى الحكم ، فساء ذلك أخاه فبدأت الحرب بينهما ، وانتهت بانهزام الشيخ علي وسقوطه قتيلا ، فعاد الشيخ محمد الى الحكم ولم يلبث طويلا حتى قبض عليه بعض آل خليفة وسجنوه ، فأدّى ذلك الى نشوب فتنة جديدة ، جاء على أثرهـا معتمد الانكليز السياسي ، وتولى أمر البحرين بعد ما أطلق بضعة مدافـع على المنامة ، ثم جمع مجلساً من الأهـالي واستشارهم في من يولـّي حاكماً ، فاختاروا الشيخ عيسى بن الشيخ علي ، فنودي به شيخاً على البحرين .

وفي شهر مايو سنة ١٩٢٣ م. تولى الحكم الشيخ حمد بن عيسى ، وهو التاسع من آل خليفة ، فقد كان أولهم الشيخ محمد بن خليفة فابنه خليفة فابنه أحمد فالشيخ سلمان فعبد الله فحمد فعلي فعيسى فحمد .

وقد تولى هذا الحكم بعد أبيه بأمر من المعتمد البريطاني ، وذلك أن خلافاً نشب بين نجديين وإيرانيين سكان المنامة بسبب ساعة اتهم الأول الآخر بسرقتها فتعصب لكل منهما أبناء قومه فتشاجروا وتضاربوا ، فلما اتصل ذلك بمعتمد انكلترا السياسي في أبو شهر جاء ببارجتين حربيتين وطلب من الشيخ عيسى اعتزال الحكم بحجة ضعفه وبلوغه درجة الشيخوخة فأبى ، فجمع المعتمد أعيان الجزيرة وأبلغهم أنه عيّن الشيخ حمد مكان أبيه ، وبعد وفاة الشيخ حمـد ابن عيسى تولى ابنه الحاكم الحالي سلمان بن حمد .

وقد اكتشف الزيت في جزيرة البحرين سنة ١٩٣٢ م. ومنذ ذلك الحين استمرت أعمال الحفر وبدأ تصدير الزيت الخام الى الخارج ، وأخـذت البلاد في إقامة المشاريع الكبيرة كتعبيد الطرق وإقامة خطوط التلغرافات وبنـاء المخازن وحظائر السيارات وورش التصليح والمكاتب والمستشفيات وما الى ذلك .

٢١ - المشيخات الصغيرة

بين البحرين وعمان

قطــــر :

هي شبه جزيرة بين العبيد والعقير (الحسا) منفصلة عن البلدان المجاورة لها سياسياً ، ومستقلة برئاسة آل ثاني ، ولا يزيد عدد سكانها عن خمسين ألفاً ، وتقدر مساحتها باثنين وعشرين كيلو مترا .

وقد كانت قطر تابعة لحكومة البحرين ، ثم سرى النفوذ البريطاني إليها فعقد الإنجليز مع شيخها أول معاهدة في سنة ١٨٢٠ م . ثم عقدوا معاهدة أخرى سنة ١٨٣٥ م . تعهد فيها بما تعهد به جيرانه شيوخ السواحل .

ووقعت اختلافات بين الشيخ وجيرانه سكان أبو ظبي ، فاتخذ الانكليز ذلك ذريعة لعقد معاهدة جديدة وقع عليها سنة ١٨٦٧ م أخذوا عليه العهد فيها بأن لا يبني سفينة حربية ، وأن يرجع الى المعتمد البريطاني في الخليج في كل خلاف يحدث بينه وبين جيرانه ، وأن يعترف بسيادة البحرين .

واغتنم الشيخ فرصة رجوع الدولة العثمانية الى التدخل في شؤون الخليج ووصول قواتها إلى الحسا في عهد مدحت باشا سنة ١٨٦٩ م ، فأعلن خضوعه لها وطاعته ، فعينه قائمقام على قطر ، وأنشئت في الدوحة (من ثغور قطر) محطة للفحم ومرسى للسفن .

وأبى الانكليز الاعتراف بما وقع وأنكروه ، ونادوا بأن قطر مشمولة بحمايتهم وظل الحال على هذا المنوال ، حتى عقدت معاهدة لندن في سنة ١٩١٣ م ،

بين إنكلترا وتركيا ، وقد تنازلت بموجبها الأخيرة عن جميع مالها من الحقوق في قطر إلى سكانها .

دبي ، رأس الخيمة ، ابو ظبي ، الشارقة ، أم الكراين :

مقاطعـــات صغيرة تمتد من رأس الكلبي شمالا في ساحل عمان الى العبيد على حدود قطر جنوباً .

ويتصل تاريخها بتاريخ الخليج الذي سبق الحديث عنه ، وفي سنة ١٨٠٦ م. عقد الانكليز اتفاقاً مع شيوخ هذه البلاد ، تعهدوا فيه باحترام راية شركة الهند الشرقية البريطانية وعدم التعرض لسفنهم ، أو الاعتداء على التابعين لها .

وفي سنة ١٨٢٠ م . حصل خلاف بين الانكليز وبين رجال هذه السواحل على أثر مهاجمتهم لجزر البحرين ، فأرسلت حملة بحرية قاتلتهم وأخرجتهم منها وعقدت معهم اتفاقاً جديداً دخلوا بموجبه تحت حمايتها . وعزز الإنكليز هذا الاتفاق باتفاق آخر عقدوه سنة ١٨٩٢ م . تعهد فيه ممثل هذه البـلاد بأن لا يعقدوا أي اتفاق مع دولة غير بريطانيـا ، والا يأذنوا لأحد بالاستيلاء على جزء من أراضيهم إلا بعد موافقتها .



٢٢ - عُمان

حدودها – مساحتها :

هي إمارة عربية ، تمتد حدودها من ظفار غرباً في حدود حضرموت الشرقية حتى رأس الخيمة والمشيخات الصغيرة الواقعة جنوب قطر شرقاً على الخليج العربي ، وتمتد جنوباً من البحر العربي حتى الربع الخالي في الشمال ، ومساحة مسقط وعمان تقدر بمائة وأربعين ألف كيلومتر مربع ، وطول ساحلها نحو أربعمائة كيلومتر مربع .

سكانها :

عرب مسلمون يقدر عددهم بمليون نسمة تقريباً ، وينقسمون الى قسمين : بدو ومتحضرون . أما البدو ، فهم سكان خيام وقوم رحل يتبعون المراعي . والمتحضرون يسكنون السواحل ، وأكثر العمانيين أباضيون ينتسبون الى عبد الله بن أبي محمد المرّي الذي استولى على أفريقيا الشمالية وادّعى فيها الخلافة سنة ١٥٣ هـ .

أقسامها :

تنقسم عمان الى قسمين : التهايم ولا تمتد أكثر من أربعين كيلومتراً . أكثرها مشغول بالنخيل المشهور بجودة بلحه ، ثم الى قسم الجبال ، وأعلاها الجبل الأخضر الذي يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة آلاف متر ، ويوجد بين هذه الجبال أودية خصبة كثيرة .

مدنهـــا :

أهم مدنها مسقط على الساحل وهي عاصمة آل بوسعيد ، ونظام الحكم فيها مدني ، وللإنكليز عليها حماية . أما عاصمة عمان في الداخل فهي نزوة ، وهي عاصمة إمام عمان ونظام الحكم فيها ديني ، وهي مستقلة استقلالاً تاماً لا شائبة فيه ، ومن مدنها المشهورة : مطرح وسيناس ولواء وبرقـــة وسميل وصور ونخيل و (ظفار) .

حاصلاتهـــا :

من حاصلات عمان : الحنطة والذرة والشعير والنباتات الخضراء ، وكثير من صنوف الفواكه ، لا سيا الجوز الهندي ، ومن حاصلاتهـا : الخشب والند والصندل والصمغ والصبر والتمباك ، وفيها كثير من المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلي ، وعلى سواحلها مغاصات اللؤلؤ ، أشهرها في مدينة صحار ودمار ومسقط ، ويشتغل أهل سواحلها بصيد السمك. يصدرون منه مقادير وافرة الى الخارج ويجففون منه مقادير أخرى ، وهي مشهورة بجودة بقرها وغنمها .

تاريخهـــا :

ذكر ابن خلدون أنها سميت باسم عمان بن قحطان أول من نزلها من العرب في عهد أخيه يعرب بن قحطان ، ونقل صاحب تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان أن قبيلة الأزد اليمنية التي هاجرت الى هذا القطر بعد حادثة سيل العرم وتهدم سدّ مأرب هي التي أطلقت عليه هذا الاسم باسم وادٍ كانوا ينزلون حوله بالقرب من مأرب يدعى عمان .

كما تحدث عن وقوع حوادث حربية بين العرب من رجال الأزد المهاجرين من اليمن وبين الفرس الذين كانوا يحتلون هـذا القطر العربي . تغلب العرب في

نهايتها على الفرس وأجلوهم عن البلاد ، ثم لحقت بعمان قبائل عربية أخرى من بني سعد وعبد القيس وتميم وغيرهم .

وقد خضع هذا الجزء من بلاد العرب قبل ذلك لحكومة التبابعة في اليمن الذين امتد سلطانهم على كثير من أقطار الجزيرة العربية ، كما سبق في موضعه .

فلما جـــاء الإسلام كان ملك عمان الى عبد وجيفر ابني الجلندي الأزدي ، فبعث اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص السهمي بكتاب يدعوهما فيه الى الإسلام ، فأسلما وأسلم معهما وجوه العشائر وبقية الناس .

ثم بعث جيفر الى مهرة ونواحيها فدعـــاهم الى الإسلام فأسلموا ، كما بعث إلى دبي وما يليها إلى آخر عمان ، فما ورد رسول جيفر على أحـــد إلا وأسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا في ذلك العهد بعمان .

واجتمعت الأزد إلى جيفر بن الجلندي فقالوا له : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراجهم ، فدعا جيفر مرازبة الفرس وقال لهم : إما أن تسلموا وإما أن تخرجوا عنا ، فأبوا وعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى اضطروهم إلى طلب الصلـــح ، فصالحوهم على أن يخرجوا بأنفسهم وذراريهم فقط ، فأجابوهم الى ذلك وخرجوا من عمان .

عمالها من قبل الخلافة :

أقام عمرو بن العاص عاملا على عمان من قبـــل النبي عليه السلام يجمع الصدقات ويوزعها ويحكم بين الناس حسب تعاليم النبي عليه السلام ، وكان عبد وجيفر ابنا الجلندي عوناً له على من خالفه .

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عمرو الى المدينة وولى أبو بكر على عمان عكرمة بن أبي جهل ، ثم سيره إلى اليمن واستعمل عليها حذيفة بن الحصين الغلفاني خلفاً له ، فلما آلت الخلافة الى عمر بن الخطاب استعمل على عمان

عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة خمس عشرة من الهجرة ، فكان فيها حتى كتب اليه عمر بعد وقعة جلولا أن يقطع البحر إلى بلاد فارس .

وفي تحفة الأعيان : أن أبا بكر رضي الله عنه أقر جيفر وأخاه عبداً على ملكهما ، فلما ماتا ، قام بالأمر بعدهما عباد بن عبد الجلندي ، في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ولما وقعت الفتنة وصار الملك الى معاوية لم يكن لمعاوية سلطان في عمان ولا لخلفائه، حتى آل الأمر الى عبد الملك بن مروان ، واستعمل الحجاج على أرض العراق ، وكان القائم بالأمر في عمان سليمان وسعيد ابني عباد ابن عبد الجلندي ، فغزاهما الحجاج بجيوش كثيفة فهزموه ، ثم أرسل عليهم جيشاً آخر فهزمهم ونكل بهم ، وفر الأخوان سليمان وسعيد الى بلاد الزنج – زنجبار – فكانت الى هذا اليوم منتدحاً لأهل عمان .

واستعمل الحجاج على عمان الخيار بن سبرة المجاشعي ، ثم وليها في أيام الوليد بن عبد الملك سيف بن الهاني الهمذاني ، فلما مات الوليد استعمل أخوه سليمان عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي ، ثم زياد بن المهلب ، ووليها في عهد عمر بن عبد العزيز عمر بن عبد الله الأنصاري فأحسن السيرة فيهم ، ولم يزل والياً على عمان مكرماً بين أهلها حتى توفي الخليفة عمر ، فقال عمر بن عبدالله الأنصاري لزياد بن المهلب : هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها ، فأقام زياد في عمان ، حتى ظهر أبو العباس السفاح وصار ملك بني امية إليه ، فاستعمل على عمان جناح بن عباد بن قيس بن عمرو الهنائي ، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح بصحار ، ثم عزله أبو جعفر المنصور ، وولى ابنه محمد ابن جناح ، فداهن أهل عمان كما يقول صاحب تحفة الأعيان : فثاروا وبايعوا بالإمامة الجلندي بن مسعود ، فأرسل السفاح جيشاً لقتالهم ، فانهزم العمانيون ، وهلك إمامهم .

ولكن لم تعد عساكر الخليفة إلى أوطانها حتى صارت امور عمان فوضى ، واضطر الأهالي إلى عقد اجتماع وانتخاب إمام على حسب أصول المذهب الخارجي ، فوقع الانتخاب على رجل يقال له محمد بن عفان فباشر الإمامة نحو سنتين فلم يحسن العمل ، فخلعوه وأقاموا مكانه الوارث بن كعب .

وفي زمان هذا أرسل هارون الرشيد تجريدة على عمان فلم تصنع شيئاً ، وخلف الوارث في الإمامة غسان بن عبد الله حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ. ، فقام بالأمر بعده عبد الملك بن حميد ، ثم المهنـــا بن جعفر والصلت بن مالك الذي توفي سنة ٢٧٣ هـ. ، فخلفه رشيد بن نضر ، وفي ايام هذا اختلت الأمور وانتثر النظام حتى اضطر الأهالي لمراجعة الخليفة المعتضد العباسي .

قدم عامل الخليفة على البحرين محمد بن نور بجموع وافرة من نزار وطي ففتح نزوة عاصمة عمان وقتل عزان الخروصي الذي حاول ان يحكم عمان بالقهر والعسف وفر كثير من الأهالي إلى البصرة وإلى شيراز ، ثم ثار بمحمد بن نور بعض القبائل فترك مقره ولحق بالساحل إلى أن أدركته نجدة عظيمة تمكن بها من قمع الثورة ، وأرهف الحد في الأهالي وقطع الأيدي وصلم الآذان وعطل قني المياه التي يشرب منها السكان وأحرق الكتب وفعل بالناس الأفاعيل ، وما كاد يرجع الى البحرين حتى ثار الأهالي ثانية وقتلوا العـــامل الذي استخلفه على عمان .

وعاد العمانيون إلى انتخاب أئمتهم فتوالت عدة أئـمة مثل محمد بن حسن الخروسي وعزان بن الحزر وعبدالله بن محمد الهداني والصلت بن قاسم وحسن ابن سعيد الحواري ، وعادت الفتن إلى البلاد بعد هؤلاء واستمرت إلى أن ظهر القرامطة ، فافتتحوا عمان مدة من الزمن،ثم أخرجوهم منها واختير للإمامة محمد ابن يزيد الكندي .

وفي عهد الكندي هذا جهزت الخلافة جيشاً لاسترداد عمان ، ففر الكندي وانتخب العمانيون سيعد بن عبد الله ، وبعد وفاته سنة ٣٢٨ هـ . انتدبوا رشيد ابن الوليد وأطاعه الجميع وحصل اضطراب في آخر أيامه ومال جماعة إلى حكم الخليفة فانهزم الإمام وفارق أصحابه وبقيت عمان تحت حكم الخـلافة إلى سنة أربعمائة هجرية حيث ضعفت الدولة في بغداد عن إدارة هاتيك البلاد .

بنو نبهان :

عاد العمانيون إلى انتخاب أئمتهم بعد تقلص ظل الخلافة فتولى الخليل ابن شاذان وراشد بن سعيد اللذين استعان بهما أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي إمام الأباضية في حضر موت على الصليحي وغيره من معارضيه وكان ذلك في أواسط القرن الخامس الهجري .

وبعد وفاة راشد بن سعيد تولى ابنه حفص ثم رشيد بن علي ثم أبو جابر موسى المتوفي سنة ٥٤٩هـ . ثم استولى على القطر بنو نبهان وتلقبوا بالملوك واستمر ملكهم مائتين وستين سنة (٢٦٠) .

وفي تحفة الأعيان : أن بني نبهان قوم من العتيك صار الملك إليهم بعد الأئمة السابقين . قال ولم نجد لدولتهم تاريخا ولا لملوكهم ذكراً إلا من ذكره أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي في ديوانه فقد ذكر منهم : أبا عبد الله محمد ابن عمر بن نبهان وأخاه أبا الحسين أحمد وأبا القاسم علي بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان وغيرهم .

ومن شعر الستالي هذا في ملوك بني نبهان قوله :

حلى الملوك وتيجانها وبيت المعالي وإيوانها

وباس الكماة وإقدامها وحلم الكفاة وإحسانها

توارثها الأزد حتى انتهت إلى أن حوى الإرث نبهانها

أمير العتيك تسامى به كهول العتيك وشبانها

أنبهان إنك من عصبة نماها إلى المجد قحطانها

هم العين في يعرب كلها وأنت من العين إنسانها

إذا طلبت مكرمات العلا بدا في جبينك عنوانها

وأنت إذا صعبت حاجة أتى من يمينك إمكانها

وفي أيامهم حاول الإيرانيون أن يستولوا على عمان ، وجاء فخر الدين أحمد ابن الداية بجيش من شيراز فاجتاز سواحل عمان ، ثم إن أمير هرمز محمود ابن أحمد الكوسي وهو من أصل عربي اجتاح بلاد عمان أيضاً بمساعدة المغول الذين كان قد انضم إليهم ووصل بجيشه إلى ظفار ، ولكن العرب هاجموه في رمال الصحراء وقضوا على جيشه .

وقد استمر ملك بني نبهان الى سنة ٨٣٩ هـ . وكان الأهالي قد ضاقوا بحكمهم فقد أخذوا يظلمون الناس ويحكمونهم بالعسف والجبروت ، فانتخب العمانيون إماماً من قبيلة الأزد . وينقل السالمي صاحب تحفة الأعيان أن بني نبهان عادوا الى حكم عمان مرة ثانية سنة ٩٦٤ ، تسعمائة وأربع وستين هجرية ، وكان أول ملوكهم في هذه الفترة سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان .

الامام ناصر والبرتغال :

الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان من أصل عربي صريح ، ومن أقدم الأرومات الأباضية تولى الإمامة سنة ١٠٣٤ هـ - (١٦٢٤ م) وكانت بعض المدن المحصنة في الداخل بأيدي زعماء يلقبون أنفسهم ملوكا وكانت مدن أخرى يحكم فيها مجالس شيوخ من أهلها ، ولم يكن بقي من الثغور البحرية بيد الأهالي سوى فرضة لاوة أما البقية فقد دخل في حكم أمير هرمز . وهرمز هذه جزيرة صغيرة عند مدخل الخليج العربي .

وفي ذلك الوقت كان البرتغال قد استأسدوا وظهروا على بلاد الشرق وصارت لأساطيلهم الكلمة العليا . واشتهر منهم قائد اسمه الفونس البوكرك كانت أول غزواته الى الهند بثلاث بوارج حربية سنه ١٥٠٣ م ، وما زال يغزو ويفتح حتى لقب بحاكم الهند . وهو الذي منع الترك العثمانيين من الدخول الى الهند ودمر عدن مرتين بالمدافع واستولى على جزيرة هرمز وبنى في جزيرة سنطري حصناً ليحافظ على أهلها الذين كانوا من النساطرة (نصارى) وعقد محالفة مع ملك الحبشة وحدثته نفسه بالاتفاق معه على تحويل مجرى النيل من

السودان الى البحر الأحمر ليتمكن من تدمير القطر المصري وبالجملة فقد كان في وقته الآفة العظمى على الإسلام[1] .

وكانت سواحل عمان من بين المناطق التي غزاها البوكرك في الشرق العربي، وكان البرتغاليون من قومه قد فتحوا قسما من مراسيها مثل مسقط وصحار وغيرها . وكانت لهم فيها حاميات كبيرة ، فهاجمهم الإمام ناصر بن مرشد وانتزع من أيديهم أكثر المواقع التي كانوا يحتلونها ، كما طردهم من رأس الخيمة ، وأجبرهم على أداء الجزية وعدم التعرض لحرية التجارة .

استمر حكم الإمام ناصر بن مرشد ستاً وعشرين سنة حرر البلاد أثناءها من السلطة الأجنبية ، إلا بقايا بقلعتي مسقط والمطرح وحصن صحار . كان البرتغاليون يؤدون الجزية مقابل احتفاظهم بهذه المواقع الحربية ، وكان فاضلا حازماً تقياً محبوباً من الأهالي ، أدركته الوفاة سنة ١٠٥٩ هـ – (١٦٤٩ م) . فخلفه بن عمه سلطان بن سيف .

وجه سلطان بن سيف معظم همته الى ترويج التجارة وعمارة أسواق الأخذ والعطاء واستجلاب الأسلحة والخيول لتقوية جيشه ، وأنفق في هذا السبيل أموالا طائلة وجدد قلعة نزوة وأجلى بقية البرتغاليين من أرض عمان ، وفتك بهم وأرسل بوارج حربية تغزو البرتغال في ساحل كوجرات في الهند ، فاجتاحت عساكره (ديو) ودامان وقفلت بغنائم وافرة وآنية كثيرة مما كان في الكنائس . وتوفي سلطان سنة ١٠٧٩ هـ – ١٦٦٨ م . وكان معروفا بحسن السيرة في الرعية وسداد الرأي وجلال القدر .

سيف بن سلطان :

بعد وفاة سلطان بن سيف خلفه في الحكم ابنه بلعرب ، وكان محبا للعلم والعلماء ، فثار عليه أخوه سيف وانقسم الناس الى فريقين فريق يشايع سيفاً

---

[1] شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي ج ٤ .

والآخر يتحزب لأخيه . وطالت الفتنة حتى توفى بلعرب وصفا الوقت لسيف فوجه همته كأسلافه إلى مكافحة البرتغاليين ، فأجلاهم عن مومباسه أحد ثغور أفريقيا الشرقية التي آلت بعد ذلك الى سلطان زنجبار ثم استولى عليها الانجليز سنة ١٨٩٠ م ، كما أجلاهم عن جزيرة بمبا وغيرها من الجزر والسواحل التي كان العمانيون قد أحرزوها في شرقي أفريقية . فجاء البرتغاليون وأخذوها من أيديهم في نحو سنة ١٥٠٣ م . فكان استردادها على يد سيف بن سلطان سنة ١٦٩٤م[١] .

واجتاح أسطول سيف جزيرة سلزيت بقرب بمباي الهند وكذلك مدينتي بارسالور ومانغالور ولم يقدر راجا كار نانيك أن يذب عنهما .

وكان سيف حكيما مدبراً محباً للعمران بصيراً بالإصلاح . فانتظم بإدارته جمهور المرافق والمصالح ، وهو الذي شرع في بلاده بحفر قني المياه تحت الأرض لأجل الري ، ففاضت الخيرات وتعززت الزراعة . كما اعتنى بغراسة النخيل واستجلب أصنافه حتى صار ذا ثروة واسعة . وكانت حاضرة سيف مدينة رستاق وتوفي بها في ٢ رمضان سنة ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م .

سلطان الثاني :

وقام بالأمر بعد وفاة سيف ابنه سلطان . وكان يعرف بسلطان الثاني، فنقل كرسي المملكة الى مدينة الحزم ، وانتزع البحرين من أيدي العجم الذين كانوا استولوا عليها سنة ١٦٢٢ م. منذ طرد الشاه عباس البرتغاليين من هرمز . وتوفي سلطان عن ولدين هما مهنا وسيف تنازعا الحكم، فاضطرب الأمر وتفاقمت الفتنة وظهر طامعون في السيطرة ادعوا الامامة ولم يعدموا أنصاراً من الأهالي ، فالتجأ سيف الى نادرشاه صاحب فاس فأمده بجيش تقدم إلى الزاهرة وتغلب على منافسيه وأفحش في القتل والنكاية ، وأخذ العجم يجتاحون البلاد ويوقعون بالأهالي وندم سيف على ما صنع من صداقة العجم .

---

١ - شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي ج ٤ ،

آلبو سعيد :

كان سيف بن سلطان محتاجاً الى مشير يعتمد على رأيه فأشار الناس عليه برجل من التجار كان معروفاً بالاستقامة اسمه أحمد بن سعيد بن عنزة يقال له البو سعيد ، فتولى هـذا مدينة صحار وأحسن إدارتها وحمد الناس طريقته فحسده سيف وأراد ان يقبض عليه إلا ان الناس أصلحوا بينهما . فلما اتفقت كلمة العمانيين أخيراً وتمت المبايعة لسيف بدون منازعة بعد احتلال الأعاجم لبلادهم ثقل الأمر على الأعاجم فجلوا عن البلاد إلا الجيش الذي كان أمام صحار فإنه بقي يحاصرها .

وفي هاتيك الأثناء قام رجل في مدينة النخل اسمه سلطان بن مرشد من بني يعروبة ، فادعى الإمامة سنة ١١٥٠ هـ. — ١٧٣٨ م. وانتزع أكثر البلاد من يد سيف بن سلطان ومن جملتهـا مسقط ، فاستغاث سيف بالعجم مرة ثانية ووعدهم بالتخلي لهم عن صحار إن ضمنوا له الاستقلال بالإمامة ، فسرّح العجم جيشاً إلى مسقط استولى على البلد والحصون ولكنهم لم يسلموها إلى سيف ، فذهب هذا الى بلدة الحزم ومات بعد ذلك بقليل .

أما سلطان بن مرشد ، فمات على أثر جراحة أصابته في قتال العجم على صحار ، فلم يبق من الزعماء إلا أحمد بن سعيد الذي كان له الفضل الاكبر في امتناع صحار وإجلاء الإيرانيين عنها .

ثم إن أحمد هذا استولى أيضاً على برقة وحاصر مسقط ، فأرسل الإيرانيون ماجد بن سلطان من ابناء عم سيف الى الشاه يلتمسون منه الأمر بتسليم حصون مسقط الى ماجد ، فأصدر الشاه الأمر اللازم الى الحاميـة الفارسية بتسليم الحصون اليه ، فوقع الأمر باتفاق غريب في يد أحمد بن سعيد ، فأبلغه الى الحامية ، وخرج هؤلاء على انهم سلموا الحصون الى أحمد بن سعيد باسم ماجد .

وبعد ذلك أعد أحمد بن سعيد وليمة عظيمة دعا اليها الإيرانيين في برقة كانت نهايتها أن هجم الأهالي عليهم وذبحوهم ونجـا بقيتهم الى السفن قاصدين

ساحل فارس . ولما كان ملاحة السفن هم من العرب فقد أحرقوا السفن لإهلاك الإيرانيين وقذفوا هم انفسهم في اليم ونجوا سباحة الى الشاطىء ، وهكذا انتهى أمر الفرس ببلاد عمان .

واجتمع الرؤساء والأعيان عند ذلك ببلدة رستاق ونصبوا أحمد بن سعيد إماماً سنة ١١٥٤ هـ . - ١٧٤١ م . ، فأحسن التدبير وسن للملكة قوانين ماليه وتجارية واستبقى لنفسه إمارة الجيش البري ، وعهد الى رجل من خواصه بنظر الأسطول ونظم جيشاً دائماً .

وفي سنة ١١٧٠ هـ . - ١٧٥٦ م. استولى العجم على البصرة ، فذهب أحمد بعشر سفائن حربية تجر عدداً كبيراً من القوارب حمل عليها عشرة آلاف مقاتل وهزم الإيرانيين ونصر الدولة العثمانية نصراً مؤزراً ، فسرت الدولة منه وأجرت عليه راتباً سنوياً كان لا يزال جارياً على أئمة مسقط الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وحدثت في أيام أحمد بن سعيد ثورات داخلية لم يكن لها كبير أهمية كان آخرها ثورة ولديه سيف وسلطان . فقد ثارا عليه واعتصما بقلعة برقا ثم تماديا في الجرأة حتى أخذا الحصون التي بظاهر مسقط؛ ولكن أحمد عالج هذه القضية بالحكمة وانتهت بينه وبين ابنيه بسلام .

وأدرك أحمد بن سعيد أجله فتوفي في ذي القعدة سنة ١١٨٨ هـ . - يناير سنة ١٧٧٥ م. بعد ان حكم اربعا وثلاثين سنة وخلص بلاده من سلطة الأعاجم .

آخر أئمة عمان :

أقرت أكثر البلاد بعد وفاة أحمد بن سعيد بإمامة ابنه سعيد ، ثم أرادوا خلعه لأسباب نقموها عليه فلم يتم لهم ذلك إلا أن حامد بن سعيد استولى عـلى مسقط ، وعجز ابوه عن إخضاعه ، فجعل حامد مسقط هي العاصمة بدلاً منه

رستاق ، وعظمت هذه المدينة في ايامه وتولى الأمر عشر سنوات ، الى ان مات في رجب سنة ١٢٠٦ هـ .

وعاد الأمر الى الإمام سعيد بعد وفاة ابنه حامد المتغلب عليه ، ولكن لم يطل الزمن ، حتى وقعت الفتنة بين إخوته واولاده ، وصار بعضهم يقـاتل بعضاً ، واخذ اخوه سلطان مدينة مسقط ، واستبد بالأمور ، وعقد معاهدة تجارية بينه وبين شركة الهند الإنكليزية في اغسطس سنة ١٧٩٨م. ، ثم معاهدة اخرى بينه وبين الإنكليز امضاها جون مالكولم سنة ١٨٠٠ م. يحق بموجبها لانكلترة إقامة معتمد بمسقط .

وطفق سلطان يوسّع مناطق سلطته ، فانتزع السويق والمضع من يد اخيه سعيد ، وافتتح جزائر قشم وهرمز والبحرين في الخليج العربي ، وجعل ابنه سالماً اميراً عليهـا ، إلا ان قبيلة العتوب التي كانت تلي امور تلك الجزر عادت فاسترجعتها وطردت ابنه منها .

وفي أثناء حكم سلطان غزا الوهابيون عمان وأخذوا الزكاة من الزاهرة ومن الجهات الشمالية ، وخاف أهل الجنوب من تقدمهم ، فعقد سلطان اجتماعاً قرر فيه النفير العـام لصد الوهابيين ، فلمـا بلغ ذلك قائد الحملة الوهابية عجّل بالانصراف .

وقتل سلطان في شعبان سنة ١٢١٩ هـ.—٣٠ نوفمبر سنة ١٨٠٤م. عندما كان عائداً من البصرة بواسطة البحر . وكان أخوه سعيد لا يزال في رستاق عـلى امامته الاسمية والبلاد في شبه فوضى بسبب تعدد الأمراء ، ولا يزال للوهابيين جنود في البريمي . وكان سالم وسعيد ولدا سلطان يجتهدان في لمّ الشعث وجمـع الكلمة ، فأجمعا أخيراً على الاستنجاد بصاحب فارس ، فأمدهما بثلاثة آلاف فارس ركبت البحر من بندر عباس الى برقة ، وهناك وقع القتال بينها وبـين الوهابيين ، فلم يفز أحد بالآخر ، ولم تتخلص عمان من حكم الوهابيين إلا بعد أن حاربهم إبراهيم باشا بن محمد علي خديوي مصر واحتل الدرعية سنة ١٨١٨م.

وتوفي الإمام سعيد بن أحمد بن سعيد بعد ذلك بمدة وجيزة ، وهـو آخر من لقب من رؤساء عمان بالإمام ، ثم اصطلح أهل عمان على تلقيب الحاكم منهم بالسيد بدلاً من الإمام . وكان أول من لقب بالسيد هو سعيد بن سلطان الذي آل اليه أمر عمان في اواخر ايام عمه سعيد بن احمد وبعد وفاته .

السيد سعيد :

لم يحدث موت الإمام سعيد بن أحمد فراغا كبيراً لأن أمر عمان كان قد آل إلى ابن أخيه السيد سعيد بن سلطان مدة طويلة واتجه بعـد ذلك الى توسيع مستعمرات عمان في شرقي أفريقية وبينما كان مقيماً في زنزيبار لهذا الغرض اغتنم بعض أعدائه فرصة غيابه الطويل فاستولوا على بعض المراسي والمدن ، وأخطر السيد سعيد الى استمداد حلفائه الانكليز فأرسلوا أسطولاً الى سواحل عمان لتمكين نفوذ حليفهم . وفي اكتوبر سنة ١٨٥٦ م. توفي السيد سعيد على ظهر بارجة كانت ذاهبة الى زنزيبار وترك خمسة عشر ولداً .

كان تويني بن سعيد ، بكر أولاده والي عمان في حياة أبيه . فوقع الخلاف بينه وبين أخيه ماجد الرابع من أولاد السيد سعيد وانتهى الخلاف بأن يبقى ماجد سلطاناً على زنجبار ويؤدي أتاوة سنوية إلى أخيه تويني في مسقط ، ثم قطع ماجد دفع الاتاوة فجهز تويني أسطولا عظيما لغزو زنجبار فتوسطت الحكومة البريطانية على أن يكون كل منهما سلطاناً في محله ويؤدي ماجد الاتاوة السنوية الى أخيه بدلا من حقوق عمان على زنجبار وأفريقية الشرقية ؛ وكان ذلك سنة ١٨٦٢ م .

وثار تركي بن سعيد على أخيه تويني وكان الأول والياً على صحار ، فاستصرخ تويني الوهابيين فأمدوه بجيش قمع به ثورة أخيه تركي وانفرد بالحكم حتى مات . فقد وجد ذات يوم مقتولا . قيل اغتاله بعضهم وهو نائم بمؤامرة ابنـه سالم . وجلس سالم مكان أبيه وتودد الى الانكليز واعترف هؤلاء به أميراً بحجة أنه لم تثبت عليه تهمة قتل أبيه وبأن أهالي البلاد قد بايعوه .

أما تركي أخو تويني فإنه أخذ بمناوأة ابن أخيه، واستولى على صحار والمطرح، وكاد يدخل مسقط لولا أن الإنكليز أرسلوا بارجة حربية أوقفته عند حده ثم أخذوه الى الهند حيث أجرى عليه ابن أخيه رزقا يقوم بأوده، ثم ثار على سالم قريب له يدعى عزان بن قيس ودخل مسقط ففر سالم منها وبلغ ذلك تركيا فجاء من بمباي الى مسقط وتسلم زمام الإمارة وطرد عزان بن قيس. وكان أخوه ماجد قد مات في زنجبار فعين أخاه برغشا سلطاناً عليها في أكتوبر سنة ١٨٧٠ م .

وفي سنة ١٨٨٨ م، خلفه ابنه السيد فيصل بن تركي وذلك بموافقة انجلترا التي أصبحت بلاد عمان تحت حمايتها بموجب المعاهدة التي عقدتها مع سلطان البلاد . اما زنجبار والسواحل الافريقية، التي أسس ملوك عمـان فيها مملكة عربية منفصلة عن مسقط سنة ١٨٥٦ م . بعد أن كانت مستعمرات لعمان منذ قرون، فقد تقاسمتها انكلترة مع ألمانيا وايطاليا ثم انتقلت الى بريطانيـا بعد الحرب العالمية الأولى، وظلت سلطنة زنجبار عربيـة تدار بواسطة وزارة المستعمرات البريطانية .

وهكذا أصبحت عمان إمارة صغيرة لا تملك لنفسها نفعاً أو ضراً بعـد أن كانت مملكة قوية قال عنها الأمير شكيب ارسلان[1] بأنها كانت أقوى دولة بحرية في آسية لا في بلاد العرب وحدها، وقال إنه قرأ في بعض المؤلفـات الأوربية انها منذ نحو مائة سنة كانت تملك مائة بارجة حربية .

بعد وفاة فيصل بن تركي تولى شؤون البلاد ابنه تيمونو الذي تنـازل عن الملك سنة ١٣٥٠ هـ . لابنه سعيد بن تيمور السلطان الحالي .

وفي عمان الآن حكومتان إحداهما مدنية عاصمتها مسقط وهي التي يتولى شورتهـا السلاطين من عائـلة البو سعيد . ودينية عاصمتها نزوه تكونت

---

١ - في حاضر العالم الإسلامي ج ٤ المطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ.

سنة ١٣٣١ هـ . عقب الثورة التي قام بها الأهالي احتجاجا على موافقة سلطان مسقط على وضع البـــلاد تحت حماية الانكليز وحكومة نزوة كهذه مستقلة استقلالا تاماً ويحيط بالإمام نخبـــة من العلماء والكبراء يشاورهم في الأمور ويشركهم في إدارة البلاد وعند وفاة الإمام يجتمع أهل الحل والعقد من رجال البلاد فيختارون من تتوفر فيه الكفاءة والشروط المطلوبة عندهم .

ولم تحدد الحدود نهائيا بين الحكومتين وإنما هناك حدود وهمية ، فحكومة مسقط تملك السواحـــل ويبلغ طولها نحو أربعمائة كيلو متر ، وحكومة عمان تسيطر على الداخل ولا يتجاوز عرض أراضي الأولى أربعين كيلو مترا في بعض الجهات .



٢٣ - اليمن في عهدها الإسلامي

حدودها السياسية - مساحتها سكانها - ألويتها مناطقها - أهم بلدانها أدوار التاريخ الإسلامي في اليمن - عمال النبي وخلفائه - جهاد اليمنيين وهجرتهم - الحكم الأموي - الحكم العباسي - دولة آل زياد - الدولة النجاحية - الدولة اليعفرية - الصليحيون - داعي القرامطة - آل زريع آل حاتم - آل مهدي - الأيوبيون - بنو رسول - آل طاهر - دولة المماليك - حكم العثمانيين - الأدارسة في عسير .

حدودها السياسية :

اليمن من الأقطار العربية التي انفصلت عن تركيا بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م. ونالت استقلالها بموجب التصريح الذي أصدرته الحكومة التركية سنة ١٩٢٣ م. بتنازلها عن سيادتها على البلاد العربية التابعة لها الى أهل البلاد أنفسهم .

ويحدها من الغرب البحر الأحمر ، ومن الشرق حضرموت والربع الخالي ، ومن الجنوب المقاطعات الجنوبية ، ومن الشمال بلاد عسير ونجد .

مساحتها - سكانها :

تقدر مساحة اليمن بنحو أربعين ألف ميل مربع[١] ، يسكنها حوالي أربعة ملايين نسمة تقريباً ، وأهم القبائل فيها : حاشد وبكيل وحمدان والحوارثة وذو محمد وذو حسين وبنو سلام وبنو مطر والمكارمة .

---

١ - يقدر آخرون مساحة اليمن بـ ٧٥ ألف ميل مربع .

ألويتها – مناطقها :

في اليمن أربعة ألوية : لواء صنعاء ، لواء الحديدة ، لواء تعز ، لواء صعدة . وتنقسم الى ثلاث مناطق :

١ – منطقة تهامة ، وهي أرض رملية شديدة الحرارة محاطة من الغرب بالبحر الأحمر ، ومن الجنوب : عدن والمقاطعات الجنوبية ، ومن الشرق : جبال السراة ، ومن الشمال: تهامة الحجاز ، وهي أرض صالحة لغراسة النخيل وزراعة الحبوب والقطن والتبغ ، ومناخها رطب .

وتشتمل هذه المنطقة على مدن تاريخية قديمة . ويذكر المؤرخون أن هناك آثار لمدن كانت لها شهرة كبيرة ، وهي الآن خربة ومعظمها في وادي سردد والكدرا ، ووادي سهام ونشال ، ووادي يرمع والمحالب في وادي مور .

ومن أشهر مدن تهامة : الحديدية وبيت الفقيه والمخا وزبيد وميدي واللحية والزيدية .

٢ – منطقة الجبال والسهول الشرقية والقسم الجبلي منها ، يشتمل على مدن عديدة منتشرة في غير انتظام ، وتزيد في الارتفاع على ٣٧٠٠ متر ، ويتلوه انحدار هائل ، كما تتخلله أودية عديدة. أما السهول الشرقية فقريبة الشبه بمنطقة تهامة ، ولكنها جرداء قليلة المياه ، وتشتمل على عدة واحات تروى بالآبار ، ويسكنها القبائل الذين يعيشون على تربية المواشي والزراعة .

٣ – منطقة الهضبة ، وفيها يكثر العمران والزراعة والسكان ، وفيها مدن عظيمة لها تاريخها ، مثل صنعاء وعمران وصعده وإب ، وهي محاطة بالجبال شرقاً وغرباً ، وتروى بمياه الأمطار الغزيرة .

أهم بلدانها

١ – صنعاء :

مدينة تاريخية منذ أقدم العصور ، وقد كانت مسرحاً لأهم الأدوار والتطورات في تاريخ اليمن الإسلامي ، يبلغ عدد سكانها نحواً من ٦٠ الف نسمة ،

وتقع هذه العاصمة في وادٍ بين جبلي نقم وعصر ، وتبعد عن عدن شمالاً بنحو ٥٥٠ كيلومتر ، يشقها طرق معدة للسيارت .

وتقع هذه المنطقة بالقرب من خط الاستواء ، وترتفع عن سطح البحر ٢٩٠٠ متر تقريباً ومناخها معتدل ، ويكاد الإنسان لا يحس بفارق تغير الأشهر في ما عدا شهري يناير وفبراير فان درجة الحرارة قد تهبط الى درجة الصفر .

وتنقسم صنعاء الى ثلاث مجموعات من المدن فالأولى هي صنعاء القديمة وهي محاطة بسور من الطوب النيء ويبلغ سمكه نحو أربعة أقدام وارتفاعه نحو عشرة أقدام وله أربعة أبواب .

والثانية بئر العزب وهي من المدن الحديثة ومعظم دورها تشرف على حدائق جميلة وفيها ساحات وشوارع وحدائق عامة وفيها المصالح الحكومية ودائرة البريد والتلغراف ويسكن في هذه الدائرة الموظفون والطبقة الحاكمة .

والثالثة قاع اليهود أو مدينة اليهود وهي مدينة مستديرة لها ثلاثة أبواب وعلى كل باب جماعة من الحرس لا يسمح لغير اليهود بالمبيت فيها ويدخل في هذه المجموعة سوق اليهود ومدارسهم وتجارتهم .

٢ - الحديدة :

هي أكبر مدن تهامة وأشهر موانئها على البحر الآحمر يقدر عدد سكانها بثلاثين ألفاً ٣٠٠٠٠ جميعهم عرب مسلمون بينهم قليل من البانيان والبهرة ومن اليونان المشتغلين بالتجارة وهي محاطة بسور بُنيَ سنة ١٢١٥ هجرية ، وله خمسة أبواب وعدة أبراج وفي داخل السور دود حجرية جميلة بيضاء وحركة التجارة فيها مزدهرة وفيها عدة مباني حكومية وحرها شديد .

٣ - بيت الفقيه :

في جنوب الحديدة على بعد ١٢ ساعة منها تقع بيت الفقيه وهي مبنية على تل مرتفع يسكنها حوالي خمسة عشر ألف نسمة وحولها نخل كثير واشتهرت

بمنسوجاتها الجميلة المتينة من الحرير والقطن وفيها دار للحكومة تتألف من أربعة بروج للجند والإدارة ومدرسة علمية ومكتبة تحوي نحواً من ألف مجلد في مختلف الفنون .

٤ – اللحية :

فرضة على البحر الأحمر تقع شمال الحديدة على بعد ٢٤ ساعة منها . محاطة بآكام مرتفعة عليها قلاع حربية، وفي الجهة الغربية منها على بعد ميلين من البحر الأحمر عدة جزر صغيرة فيها ثكنات للجيش المرابط لخفر السواحل .

٥ – ميدي :

مدينة واسعة مبنية بالأحجار وهي مركز مهم للتجارة وتبلغ المسافة بينها وبين الحديدة نحو (٢٠٠) ميل وهي محاطة كسائر المدن الساحلية بنقط عسكرية وتبعد عن البحر بميلين .

٦ – الصليف :

جزيرة في البحر تبعد عن ابن عباس بثمانية أميال يقابلها من الغرب جزيرة كمران وتبعد عنها بأربعة أميال وفي جزيرة صليف قرية تسمى باسمها وفي الجهة الغربية رصيف لنقـــل الملح . وعمارات فيها آلات ميكانيكية لاستخراجه وسكك حديدية تجري فيها العربات التي تحمل الملح الى البواخر .

٧ – زبيد :

تقع جنوب بيت الفقيه وعلى بعد ست ساعات ، بنيت في فم وادي زبيـد ووسط سهل خصب كثير النخيل واحيطت بسور من الآجر فيه ابراج كثيرة واربعة ابواب وهي مشهورة بالعلم والفضل والدين والصلاح وتخرج منها علماء كبار لا يحصى عددهم وطار ذكرهم في الآفاق وقد كانت قاعدة تهائم اليمن حافلة بالملوك والأمراء والتجار وبدور العلم والعلما واللغويين امثال ملوك بني رسول اصحاب التآليف العديدة في التاريخ والأدب والطب .

ويرجع عهد بنائها الى تاريخ بني رسول وما زامت ابنيتها تعظم وتتسع الى اليوم .

٨ - المخـــا :

هي مدينة واسعة كبيرة كانت في العصور المتوسطة تعد من اكبر موانيء اليمن ، بل كل جزيرة العرب تصل اليها سفن الهند والحبشة والزنج وقوافل مصر والحجاز وغيرها ، فتتبادل العطور والطيب والأصباغ والمنسوجات والمصنوعات والرقيق وكان فيها من ٧ الى ٨ آلاف دار وعشرات الخانات والمستودعات لا تزال اطلالها قائمة ، وكان البن اليماني الناتج من لواء تعز واقضيته يصدر منها ، ويعرفه الإفرنج باسم « بن مخا » .

وظلت هذه المدينة معمورة حتى طمر البحر مرفأها بالرمال ، فاضطرت السفن الى التحول الى حديدة وعدن ، وفي سنة ١٢٥٠ هـ. هاجمها العسيريون ونهبوها وخربوها ، وفي هذه الأيام بدأت تستعيد شيئاً من حياتها .

٩ - تعـــز :

هي مدينة كبيرة محاطة بسور في وادٍ منخفض عن سفح المنحدر الشمالي لجبل صبر الذي يبلغ ارتفاعه ٩٨٦٢ قدماً . وكانت مقر الملوك من بني رسول ولهم فيها آثار لا تزال موجودة الى الآن ، واكثر ابنيتهم بمدينة ثعبات وصينة والقاهرة ، وقد وصفها صاحب صبح الأعشى في ج ٥ فقال :

تعز بلد كثير الماء ، بارد الهواء ، كثير الفاكهة ، ولسلطانهم بستان يعرف بالينعات ، فيه قبة ملوكية ومقعد سلطاني فرشهما وأزرهما من الرخام الملون ، بهما وفيهما عمد قليلة المثل ، يجري فيهما الماء من نفثات تملأ العين حسناً والأذن طرباً بصفاء نميرها وطيب خريرها ، وترمي شبابيكهما على الأشجار قد نقلت من كل مكان تجمع بين فواكه الشام والهند لا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعاً ، ولا أجمع منه حسناً ، ولا أتم صورة ولا معنى ، وفي هذه المدينة كثير من المساجد ، أشهرها جامع المظفر ، ثم الأشرفية ، فالمعتبية ، وفي الجميع فن معماري قديم وأشكال هندسية لها روعتها وبهجتها ، كما أن فيها معاهد

علمية ومكاتب قديمة وأوقافاً عظيمة في سبيل التعلم والتعليم ، والسكان يتراوح عددهم بين ستة آلاف وسبعة آلاف نسمة .

١٠ - الحجرية :

فضاء واسع من أفضية لواء تعز ، وهو أهمها ، وفيه ناحيتان القبطة وجبل حبش ، يحده شمالاً الصبر ومقبنة ، وجنوباً الصبيحة ولحج ، وشرقاً الحواشب وماويه ، وغرباً موزع وباب المندب مركزه (تربة ذبحان) عذبة الماء ، عليلة النسيم ، طيبة الهواء ، وفيه جمرك المفاليس من أهم جمارك اليمن في الجنوب وجمرك معبق ، وكانت الحجرية تسمى المعافر ومعافر حر من همدان ، واليه تنسب الثياب المعافرية .

١١ - أبّ :

مدينة ذات سور مزدحمة بالسكان ، كانت تعرف بمدينة الثجة ، وتنحدر اليها المياه من جبل بعدان المطل عليها من جهة الشرق .

١٢ - الخوخة :

مدينة على الساحل طيبة الهواء ، جميلة المنظر ، كثيرة الأشجار ، وهي إحدى الموانىء اليمنية الواقعة على شاطىء البحر الأحمر ، وتكاد تكون تجارة زبيد وحيس مقصورة عليها ، وبينها وبين المخا نحو خمسة وعشرين ميلاً .

١٣ - جزيرة الشيخ سعيد :

جبل له مكانته العسكرية يسمى جبل طارق الجديد ، وتوجد فيه قرية بنفس الاسم ، وقد شيّدت الحكومة اليمنية فيه حصوناً وقلاعاً .

١٤ - باب المندب :

مضيق يوصل البحر الأحمر بالمحيط الهندي ، أنشئت حوله ثكنات ودار مؤلفة من ثلاث طبقات لكبار الموظفين ، وحول الدار مستشفى ومركز للبريد .

٢٤ - أدوار التاريخ الإسلامي في اليمن

في فصول سابقة تحدثنا في شيء من التفصيل عن تاريخ اليمن قبل الإسلام ، ونستعرض الآن في إيجاز أدوار التاريخ الإسلامي في اليمن استعراضاً سريعاً يعطي القارىء فكرة عن أهم الحكومات التي تعاقبت على البلاد في مختلف عهودها الإسلامية .

تركنا اليمن تحت احتــلال الفرس الذين استنجد بهم سيف بن ذي يزن الحميري على الأحباش وكذلك جاء الإسلام واليمن خاضعة لفارس في سياستها العليا مقسمة الى مناطق تدين بالطاعة لرؤسائها المحليين .

في العام السابع الهجري أرسل النبي عليه السلام المهاجر بن أبي أميــة المخزومي الى الحارث بن عبد كلال الحميري ليدعو قومه الى الإسلام وذلك أول دخول الإسلام في اليمن .

وأول بيت أسلم من أهل اليمن عمار بن ياسر العنسي وولده ووالدته وأول وفد يمني وفد نصارى نجران في السنة العاشرة من البعثة ولما سمعوا القرآن آمنوا به وفيهم نزل قوله تعالى « والذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به » .

ثم وفد بعدهم ضماد الأزدي والطفيل بن عمرو الدوسي أما أول وفد يمني بعد الهجرة فوفد أبي موسى الأشعري وأصحابه أهل وادي زبيد عام خيبر وقد أشركهم النبي في غنائمها ثم وفد دوس رهط أبي هريرة .

وتتابعت وفود اليمن ذلك كوفد تجيب من كنـــدة والأشعث بن قيس الكندي ومن معه ووفد نجران بني عبد المدان ووفد همدان وخولان ووفد قبائل مذحج النخع وصداء وزبيد ووفود جرير بن عبد الملك البجلي الاحمسي ووائل بن حجر الحضرمي وفروة المرادي والابيض بن جمال المازني وغيرهم من وفود اليمن .

عمال النبي وخلفائه :

بعد أن أعلنت اليمن إسلامها أرسل النبي عليه السلام عماله على اليمن فجعل على صنعاء وأعمالها المهاجر بن أبي أمية المخزومي وعلى أعمال الجند معاذ بن جبل ومعه أبو موسى الأشعري .

ولما توفي رسول الله (ص) كان عامله على صنعاء أبان بن سعيد بن العاص وقيل فيروز الديلمي وعلي الجند معاذ بن جبل أو يعلي بن أمية وعلي مأرب أبو موسى الأشعري وكان معاذ بن جبل ينتقل الى عمل كل واحد منهم يعلمهم القرآن ويفقههم الدين .

وكان يحكم اليمن في عهد الخلفاء الراشدين عمال من قبلهم كيعلي بن أمية عامل صنعاء أيام أبي بكر وعثمان وعمر وكعبيد الله بن عباس عامل عـــلي في صنعاء أيضاً وفي آخر خلافة الإمام علي أرسل معاوية جيشاً إلى اليمن بقيادة بسر ابن ارطاة لمحاربة شيعة علي فاستولى على صنعاء وكان عبيد الله بن عباس قد غادرها تاركاً فيها طفليه عبد الرحمن وقثم ومستخلفاً عليها عمر بن أراكة الثقفي فظفر بهم ابن ارطاة وقتلهم جميعاً مع خلق كثير .

ولما بلغ ذلك علياً جهز ألفي فارس من الكوفة ومثلها من البصرة وجعل على الجميع حارثة بن قدامة السعدي فوصل الجيش الى اليمن وهرب بسر وأتباعه وظفر حارثة ببعضهم فقتل منهم من يستحق القتل .

جهاد اليمنيين وهجرتهم :

كتب أبو بكر الصديق إلى قبائل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد وما كاد رسول الخليفة يتلو كتابه حتى خف ذو الكلاع الحميري إلى فرسه وسلاحه ونهض في قومه ومن عسكر معه من جموع اليمن وخف قيس بن هبيرة المرادي في مذحج وجندب بن عمرو الدوسي في الأزد وحابس بن سعد الطائي في طيء ويقال بأنه وصل الى الخليفة في يوم واحد عشرون ألفاً أنفذ نصفهم الى الشام وهم قبائل حمير وعك وأنفذ نصفهم الى العراق وهم قبائل همدان ومذحج ومن إليهم .

ولم يعد أحد من الفاتحين الى اليمن بل استوطنوا العراق والشام ومصر والأندلس والحجاز وقد نبغ من أعقابهم رجال بارزون في العلم والقضاء والسياسة والقيادة وغيرها .

منهم عامر الشعبي الهمداني ، ومسروق الهمداني ، وابراهيم النخعي المذحجي وعلقمة النخعي وعمر بن ميمون المذحجي وغيرهم من فقهاء العراق ، وفي الشام أبو عمر الأوزاعي الحميري وأبو محمد عبد الله بن يوسف الكلاعي الدمشقي وعبد الرحمن الغافقي العكي أمير الأندلس وغيرهم .

ومن عقبهم أيضاً القاضي عياض اليحصبي الحميري مؤلف الشفاء والملك المنصور بن أبي عامر المعافري الحميري وهو الذي غزا الإفرنج ستا وخمسين غزوة ما كسرت له فيها راية كما وصفه صاحب نفح الطيب قال : « وقبره في قرية سالم شرقي الأندلس » وكالإمام ملك ابن أنس الأصبحي الحميري صاحب الموطأ والمهلب بن أبي صفرة الأزدي والإمام ابي داود الأزدي صاحب السنن وأبي جعفر الطحاوي الأزدي وعبد الملك بن هشام المعافري مصنف السيرة وأبي العلاء المعري التنوخي القضاعي والمعتضد بن عباد اللخمي أحد ملوك الأندلس وأبي قاسم الطبراني اللخمي وأمثال هؤلاء الأعلام كثير وكثير .

الحكم الأموي :

خضعت اليمن للحكم الأموي عقب وفاة الخليفة الرابع فقد استعمل معاوية عليها عثمان بن عثمان الثقفي وبعد وفاة معاوية امتد سلطان بن الزبير الى اليمن

فأصبحت ولاية تابعة له يليها عمال من قبله، ولكن الأمر ما لبث أن عـــاد الى سلطان بني أمية بعد قتل ابن الزبير ويقول ابن خلدون بأن معــاوية ولى على صنعاء فيروز الديلمي سنة ٥٣ هـ . ثم جعل عبد الملك اليمن في ولاية الحجـاج لما بعثه لحرب ابن الزبير سنة ٧٢هـ. فاستعمل الحجاج أخاه محمد بن يوسف الثقفي على صناء ولم يزل عاملا عليها حتى توفي سنة ٨٦هـ .

وتوالى عمال بني أمية على اليمن طيلة الحـكم الأموي حتى آل الأمر الى آخر خليفة منهم وهو مروان بن محمد فقد كان عامله في صنعاء القاسم بن محمد وفي حضرموت إبراهيم بن جبلة الكندي وفي أيام مروان هــذا ثار عبد الله ابن يحيى الكندي الحضرمي مطالباً بسقوط مروان سنة ١٢٩ هـ. وأجلى عامل حضرموت بعد ما حبسه يوما واحتل اليمن بأجمعه بعد قتال شديد وأنفـذ جيشه الى الحجاز فاحتله .

الحكم العباسي :

قال ابن خلدون لما جاءت دولة بني العباس ولي السفاح على اليمن عمه داود ابن علي حتى إذا توفي سنة ١٣٢ هـ . ولي مكانه محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الدار ، ثم تعاقبت الولاة على اليمن ، وكانوا ينزلون صنعاء حتى انتهت الخلافة الى المأمون .

وفي أيام المأمون ظهرت باليمن دعاة الطالبين وانتشرت الفتن وقامت الحروب فوفد وجوه أهل اليمن الى المأمون وكان فيهم محمـد بن زياد من ولد عبد الله بن زياد بن أبي سفيان فاستعطف المأمون وضمن له حياطة اليمن من العلويين كما يقول ابن خلدون فوصله وولاه اليمن فقدمهــا سنة ثلاث ومائتين وفتح تهامة اليمن بعد حروب وهي البلد التي على ساحل البحر الغربي واختط بها مدينة زبيد ونزلها وأصارها كرسيا لمملكته . وولي على الجبال مولاه جعفرا واستولى على اليمن أجمع ودخلت في طاعته أعمال حضر موت والشحر وديار كندة وصار في مرتبة التبابعة .

وفي أيام المأمون أيضاً خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر ، فاستولى على اليمن سنة ٢٠٠ هـ . وكان اسحق بن موسى بن عيسى والياً على اليمن من قبل المأمون وفي سنة ٢٠٧هـ. خرج باليمن أيضاً عبد الرحمن بن أحمد من آل أبي طالب فوجه إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ، وكتب معه بأمانه ، فقبل ذلك وخرج به دينار إلى المأمون .

دولة آل زياد :

الدولة الزيادية أول الدول استقلالاً باليمن ، وهي نسبة إلى أول حاكم منهم وهو محمد بن إبراهيم الزيادي الذي ولاه المأمون على اليمن سنة ٢٠٣ هـ. حين اختل الأمن في البلاد اليمنية وخيف رسوخ التشيع فيها .

وقد دانت البلاد لمحمد بن إبراهيم وصار كملك مستقل ، إلا أنه كان يخطب لبني العباس ويحمل إليهم الخراج والهدايا ، وطال ملكه إلى سنة ٢٤٥ هـ. ، ثم انتقل إلى أبنائه على الترتيب الآتي :

من	إلى	
٢٠٤	٢٤٥	محمد بن إبراهيم بن زياد .
٢٤٥	٢٨٩	إبراهيم بن محمد .
٢٨٩	٢٩١	زياد بن إبراهيم بن محمد .
٢٩١		أبو الجيش إسحق بن إبراهيم .
	٤٠٩	عبد الله بن إسحق .

وفي إمارة أبي الجيش إسحق بن إبراهيم قتل المتوكل العباسي ، ويقول بعض المؤرخين بأن أبا الجيش الزيادي اتسعت جبايته وعظم ملكه حتى بلغت جبايته ألف ألف وثلاثمائة وستة وستين ألف دينار ما عدا ضرائبه على مراكب السند وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن وأبين ، وعلى مغائص اللؤلؤ وجزيرة دهلك .

الدولة النجاحية :

في عهد القادر العباسي ابتدأت الدولة النجاحية بزبيد على أطلال دولة آل زياد على يد المؤيد نجاح سنة ٤١٢ هـ.، ونجاح هذا من موالي الحسن بن سلامة مولى آل زياد ، وهو عبد حبشي سمت به همته إلى أن تولى ملك تهامة اليمن وما إليها وقد ضرب السكة باسمه وكاتب ديوان الخلافة ببغداد ، فعقد له على اليمن، ولم يزل مالكاً تهامة قاهراً لأهل الجبال، حتى انتزع الجبال كلها من مرلاه الحسن ابن سلامة، وفي سنة ٤٥٢ هـ قتله الصليحي القائم بدعوة العبيد بين ملوك مصر، فقام بالأمر بعده بزبيد مولاه كهلان .

وقد استمر الملك في عقبه بعد وفاته إلى سنة ٤٥٤ هـ. على الترتيب الآتي :

من	إلى	
٤١٢	٤٥٢	المؤيد نجاح
٤٥٢	٤٧٣	فترة علي الداعي الصليحي
٤٧٣	٤٨٢	سعيد الأحوال بن نجاح
٤٨٢	٤٩٨	جياش بن نجاح
٤٩٨	٥٠٣	فاتك بن جياش
٥٠٣	٥١٧	منصور بن فاتك
٥١٧	٥٣١	فاتك بن منصور
٥٣١	٥٥٤	فاتك بن محمد بن فاتك

الدولة اليعفرية[1] :

ابتدأت هذه الدولة في آخر عهد المتوكل العباسي ، وقد كان جد هذه الأسرة عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للمعتصم على نجد اليمن صنعاء وما إليها .

---

١ ــ هكذا تكتب وتقرأ بالياء نسبة الى مؤسسها يعفر بن عبد الرحيم .

فلما توفي عبد الرحيم قام في الولاية مقامه ابنه يعفر بن عبد الرحيم في صنعاء وهو رأس الدولة ومبدأ استقلالها، إلا أنه كان يهاب آل زياد ويدفع لهم خراجاً يحمل إلى زبيد كأنه عامل لهم ونائب عنهم .

وكانت بداية استقلال يعفر بن عبد الرحيم سنة ٢٤٧ هـ. ، وقد استمر ملك صنعاء في خلفائه إلى سنة ٣٨٧ هـ ، وهذه أسماء ملوكهم :

من	إلى	
٢٤٧	٢٥٩	يعفر بن عبد الرحيم .
٢٥٩	٢٧٩	محمد بن يعفر .
٢٧٩	٢٧٩	عبد القادر بن أحمد بن يعفر .
٢٧٩	٢٨٥	إبراهيم بن محمد .
٢٨٥	٢٨٨	أسعد بن إبراهيم .
٢٨٨	٣٠٣	فترة الأئمة صنعاء والقرامطة .
٣٠٣	٣٣٢	أسعد بن إبراهيم (مرة ثانية) .
٣٣٢	٣٥٢	محمد بن إبراهيم .
٣٥٢	٣٨٧	عبدالله بن قحطان .

وفي الوقت الذي كان اليعافرة يحكمون فيه صنعاء وشبام و كوكبان كان نفوذ آل زياد ثم مولاهم الحسين بن سلامة محصوراً آخر الأمر في تهامة وعدن وكانت جبال اليمن يتولاها الأئمة من أولاد الهادي يحيى بن حسين الرسي مع مزاحمة بعض الرؤساء كآل المناخي في مذيخرة وبــلاد الجند والعدين وآل الضحاك في بلاد حاشد وآل الكريدي في بلاد المعافر .

الصليحيون :

مؤسس هذه الدولة أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي الحاشدي الهمداني كان له أب معروف في اليمن سني المذهب وكان قاضياً مطاعاً في أهله

وعشيرته ، وكان الداعي عامر بن عبد الملك الدواحي يلاطفه ويركب إليه لرئاسته وعلمه واستقامته وقد أعجب بذكاء ابنه علي وهو دون البلوغ فقربه منه وأوصى له بكتبه بعد وفاته .

عكف أبو الحسن علي بن أحمد الصليحي على الدرس حتى تضلع من المعارف وأصبح فقيهاً في مذهب الإمامية وله نظر في علم التأويل وصار يحج بالناس دليلاً على طريق السراة بالطائف خمس عشرة سنة وكان الناس يقولون إنه سيملك اليمن بأسره ويكون له شأن فيكره ذلك وينكره .

وفي سنة ٤٢٩ هـ. ثار أبو الحسن هذا في رأس مشار وهو أعلى ذروة في جبال اليمن وكان معه ستون رجلا قد حالفهم على الموت بمكة في موسم سنة ٤٢٨هـ. وكان هؤلاء في عز ومنعة وعدد في قومهم وعشائرهم .

فلما أعلن الثورة في ذلك الجبل المنيع أحاط به فيما يقال عشرون ألف ضارب بالسيف وحصروه وسفهوا رأيه وقالوا له إما أن تنزل وإلا قتلناك جوعاً فأقنعهم بأنه لم يكن في ثورته إلا مدافعاً عن حقوقهم وخائفاً من ان يملكهم غيرهم فانصرفوا عنه .

ولم يمض عليه شهر حتى حصن هذا الجبل واستفحل أمره تدريجياً وكان يدعو للمستنصر الخليفة الفاطمي في مصر سراً ، ويعمل الحيلة في نفس الوقت لقتل المؤيد نجاح صاحب السلطة في تهامة ، وقد استكان له أول الأمر ، ثم دس إليه سماً مع جارية جميلة أهداها إليه ، فقتله سنة ٤٥٢ هـ .

وفي سنة ٤٥٣ هـ. كتب الصليحي إلى المستنصر يستأذنه في إظهار الدعوة فأذن له . فطاف أرجاء اليمن ، يفتح الحصون والتهائم ، ولم تخرج سنة ٤٥٥ هـ. حتى كان ملكه قد عم اليمن بأسرها وفي هـذا العام استقر أمره في صنعاء ، وأخذ إليه أمراء اليمن الذين أزال ملكهم وأسكنهم معه وولى غيرهم في مناطق نفوذهم ، واختط عدة قصور بمدينة صنعاء . وفي سنة ٤٥٦ هـ. دخـل عدن وخطب على منبر جامعها .

وفي سنة ٤٧٣ ه. عزم الصليحي على الحج واصطحب معه الأمراء الذين يخافهم ويقال بأن عددهم خمسون أميراً ، وذلك خوفاً من أن يحدثوا شيئاً في غيبته ومن بينهم صاحب عدن ولحج من بني معن واستخلف على اليمن ابنه أحمد ابن علي وولى على تهامة أسعد بن شهاب أخا زوجته أسماء .

وخرج في ألفي فارس ، وكان قد سمع بأن سعيد الأحول بن نجاح صاحب تهامة المقتول بالسم ، قد خرج هو وأخوه جياش في جماعة من أصحابها لقتاله ، فسير خمسة آلاف حربة من الحبشة للقائهم ، فاختلفوا في الطريق وظفر الأحول بالصليحي في ضيعة يقال لها الدهيم وبئر أم معبد فلم يبرح من مكانه حتى قتل الصليحي وقتـــل معه أخوه عبد الله في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٤٧٣ ه .

وظفر الأحول بعد ذلك بجيش الصليحي الذي سيره لقتاله فقتـل منهم وأسر ورجع الى زبيد ظافراً في ١٦ ذي القعدة سنة ٤٧٣ ه . وملك بلاد تهامة إلى أن قتل سنة ٤٨١ ه .

وفي هذه الحادثة أسرت أسماء بنت شهاب زوجة علي الصليحي وحبست في زبيد إلى أن استنقذها ابنهـا المكرم أحمد بن علي الصليحي زوج السيدة أروى بنت أحمد بن محمد الصليحي التي تولت اليمن بعد أن أصيب المكرم بالفـالج .

وكان صاحب عدن ولحج من بني معن فيمن نجا بعد قتل الصليحي أثناء الطريق ، فجاء الى لحج وعدن وأظهر الاستقلال وترك طاعة الصليحيين وامتنع عن أداء خراج لحج وعدن الذي جعله الصليحي مهراً للسيدة أروى بنت أحمد عندما زوجها من ابنه أحمد .

فلما امتنع عن أداء الخراج بنو معن قصدهم المكرم أحمد إلى لحج وعـدن وأخرجهم منها وولاها العباس ومسعوداً ابني المكرم الحبشمي اليامي وكانت لهما سابقة محمودة في قيام الدعوة مع والده ثم معه يوم أنقذ أمه أسماء من أسر

سعيد الأحول ، وجعلهما عمالا للحرة السيدة بنت أحمد التي يقال لها بلقيس الصغرى .

وكانت السيدة هذه كاملة عاقلة وانفردت بالأمر في اليمن حين وسد الأمر إليها زوجها في حياته عندما أصيب بمرض الفالج كما قامت بالأمر بعد وفاته خير قيام ولها مآثر في اليمن مشهورة وهي التي عملت الحيلة لقتل سعيد الأحول والفتك بجيشه .

فإنه لما أصيب زوجها المكرم بمرض الفالج وأنابها عنه في إدارة ملك اليمن أو عزت الى عمالها في جبلة واليمن الأسفل أن يستدعوا آل نجاح ويحسنوا لهم الاستيلاء على جبال اليمن ، فقدم سعيد الأحول بجيش نحو العشرين ألفاً ، ففرقهم العمال في البلاد وتمالوا على الفتك بهم في ليلة واحدة وقتل سعيد ابن نجاح وفر أخوه جياش الى الهند واستولى الصليحيون على تهامة .

ولما وصل جياش الى الهند أرسل وزيره الى اليمن ليتعرف الأحوال وأشار عليه بأن يعلن موت جياش في اليمن ثم تبعه متستراً يدأب في استعادة ملكه ، فتم له ما أراد وتملك زبيد وتهامة .

ولما توفي المكرم أحمد بن علي الصليحي قام بالدعوة ابن عمه سبأ بن أحمد الصليحي وجعل قاعدة مملكته حصن الشيخ من بلاد أنس إلا أن النفوذ لا يزال للسيدة بنت أحمد وكانت تهامة بعد موت جياش بين آل نجاح والصليحيين ففي زمن الشتاء ينزل الصليح إلى تهامة ويفر آل نجاح الى جزائر البحر الأحمر وفي الصيف يعود الصيلحي الى الجبال ويرجع آل نجاح الى تهامة .

وقد عاصر الصليحيين من الأئمة الإمام أبو الفتح الديلمي قتله الصيلحي في نجد الجاح سنة ٤٤٠ هـ . ثم الأمير حمزة بن أبي هاشم قتله الصيلحيون في الملوي من بلاد أرحب .

داعي القرامطة :

هو علي بن الفضل يمني الأصل من ولد خنفر من سبأ الأصغر كان خاملا في أول عمره لا شهرة له ، إلا أنه كان أديباً ذكياً شجاعاً فصيحاً رحل الى الكوفة وتعلم مذهب الإسماعيلية ، وكان قبل ذلك اثني عشريا ، ثم عاد الى اليمن ووصل إلى أبين ، ثم الى يافع فوجدهم رعاعا فجعل يتعبد في بطون الأودية ويأتونه بالطعام فلا يأكل شيئاً وان أكل لا يأكل إلا يسيراً ويريهم أنه يديم الصيام والقيام .

فتن به أهالي يافع وجعلوا أمرهم بيده وسألوه ان ينزل من الجبل الذي كان يختلي فيه للعبادة بزعمه فشرط عليهم إن أرادوا ذلك ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوبة من المعاصي والإقبال على الطاعة فأجابوه الى ذلك وأخذ عليهم العهد بالسمع والطاعة ثم أمرهم بعمارة حصن في ناحية الشرق ففعلوا وأنهبهم أطراف البلاد زاعما أنه جهاد في سبيل الله للعاصين ليدخلوا في دين الله طوعا وكرها .

وكان يومئذ بلحج بين رجل يعرف بابن أبي العلا فقصده ابن الفضل بمن معه من يافع وغيرهم فهزمهم ابن أبي العلا وقتل منهم خلقاً كثير . فقال ابن الفضل لأصحابه : الرأي أن نرجع إليهم فوراً ونهجم عليهم فإنهم قد آمنوا فوافقوه .

وعلى حين غفلة هجموا عليه فقتل ابن أبي العلا في طائفة من عسكره واستباح ابن الفضل ما كان لهم ويقال بأنه وجد في خزانة ابن أبي العلا سبعين بدرة والبدرة عشرة آلاف درهم وعاد إلى بلاد يافع فعظم شأنه وشاع ذكره وكان ذلك حوالي سنة ٢٩٠ هـ .

اتسع نفوذ علي بن الفضل بعد ذلك واستولى على بلاد اليمن ودخل زبيد واستولى على صنعاء وهناك أظهر مذهبه ، ويقول بعض المؤرخين بأنه ادعى النبوة وأباح المحرمات وأظهر التعطيل واستمر أمره ثلاث عشرة سنة ثم هلك بالسم سنة ٣٠٣ هـ .

دولة آل زريع :

لما استولى الصليحيون على اليمن ، وافتتحوا عدن ، كان فيها بنو معن قد تغلبوا عليها وعلى لحج وأبين والشحر وحضرموت فأبقاها الصليحي تحت أيديهم وجعلهم نواباً من قبله وكان بنوا معن يرفعون خراجها الى السيدة في أيام الصليحي فلما قتل الصليحي تغلبت بنو معن على ما تحت أيديهم فقبضهم المكرم وأخرجهم منها كما تقدم وولاها العباس ومسعود ابني مكرم الهمداني .

وكان يحمل الى السيدة كل سنة حوالي مائة ألف دينار من عدن إلى أن توفي العباس بن المكرم فخلفه ابنه زريع بن العباس على ما كان متوليا وأبقاه عمه مسعود على ما هو عليه فملك زريع الدملوه سنة ٤٨٠ هـ . وكان ذلك بداية حكم آل زريع فلما بعثت السيدة المفضل بن أبي البركات الى زبيد كتب المفضل الى زريع عمه مسعود ان يلقياه بزبيد فلقياه وقاتلا معه حتى قتلا على باب زبيد .

انتقل أمر عدن بعد قتلهما إلى ولديهما أبي السعود بن زريع وإلى الفارات ابن مسعود فاستقلا بالأمر وتغلبا على الحرة ، فبعثت إليهما المفضل في جيش عظيم وبعد قتال شديد حصل الاتفاق على دفع نصف الخراج إلى السيدة وقدره خمسون ألف دينار في كل عام .

بعد وفاة المفضل توقف آل زريع عن دفع الخراج فبعثت السيدة إليهم سعد بن أبي الفتوح ابن عم المفضل فقاتلهما ثم اتفقوا على ان يدفع آل زريع ربع الخراج ولكنهم عادوا مرة اخرى فتوقفوا عن دفعه .

توفي أبو السعود فخلفه في منطقة نفوذه ابنه سبأ ثم ابنه محمد ثم أخوه علي ابن أبي الفارات وهو صاحب حصن الخضراء والمستولي على باب البحر والمدينة .

أما الداعي سبأ فكان له حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه ومن البر الدملوه وسامع ومطران ويمين وذبحان وبعض المعافر وبعض الجند وكانت أعماله كبيرة واسعة وكان له من الأولاد علي الأغر ومحمد الداعي وزياد ورواح .

وقد توترت العلاقات بين الداعي سبأ بن أبي السعود وابن الفارات بسبب التصرفات السيئة التي حصلت من عمال علي بن أبي الفارات واعتداءاتهم على عمال الداعي سبأ وإفسادهم وقـد أدى الأمر بعد ذلك إلى قتال انتهى بتغلب الداعي سبأ .

وفي سنة ٥٦٩ هـ . خرج الأيوبيون إلى اليمن فقضوا على دولة آل زريع فيما قضوا عليه من إمارات .

دولة آل حاتم :

في سنة ٤٩٢ هـ. ابتدأت دولة آل حاتم في اليمن. فقد تولى صنعاء هذا العام السلطان حاتم بن أحمد اليامي الهمداني إلى سنة ٥٠٢ هـ. ثم خلفه في الحكم عبدالله بن حاتم إلى سنة ٥٠٤ هـ. ثم معن بن حاتم إلى سنة ٥١٠ هـ. ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماص .

وقد كان السلطان حاتم يحكم صنعاء ومهرة ، وهو الذي قصده من مصر القاضي الرشيد الغساني الاسواني وقال فيه من ابيات :

إذا أجدبت أرض الصعيد وأقحطت فلست أخاف القحط في أرض قحطان
وقد كفلت لي مأرب بمآربي فلست على أسوان يوماً بأسوان

وقد دامت هذه الدولة حوالي ثمـاني عشرة سنة اي من اربعمائة واثنين وتسعين ٤٩٢ هـ. إلى خمسمائة وعشرة ٥١٠ هـ. حيث قضي عليها بواسطة الأيوبيين .

آل مهدي :

في سنة ٥٥٤ هـ . تغلب علي ابن مهدي الرعيني الحميري على زبيد وتهـامة واستمر حكم آل مهدي الى سنة ٥٦٩ هـ . حيث خرج توران شاه بن أيوب وقضى على دولة آل مهدي وآل زريع وآل حاتم اليامي .

ويقال بأن علي بن مهدي هذا ويدعى عبد النبي أيضاً استولى على اليمن أجمع وبها يومئذ نحو ٢٥ إمارة أخضعها جميعها لحكمه وفرض الجزية على عدن .

الأيوبيون :

عند ما بلغ السلطان صلاح الدين الأيوبي أن ابن مهدي قد استولى على كثير من بلدان اليمن وخطب لنفسه ، جهز أخاه توران شاه بن أيوب الى اليمن في رجب سنة ٥٦٩ هـ .

قدم توران شاه من مصر والياً على اليمن من قبل أخيه ، وقائداً لجيشه وعبثاً حاول ابن مهدي المقاومة، فقد انهزم أثر معركة لم تدم طويلا ونصب المصريون السلالم على سور زبيد وصعدوا ودخلوا البلد عنوة وأسروا عبد النبي وزوجته التي تسمى حرة .

وبسقوط زبيد انتهى أمر عبد النبي في اليمن واستقر الأمر فيها لبني أيوب وعادت الدعوة للعباسيين في الخطب ، ثم استأنفت الحملة سيرها الى عدن لقتال ياسر صاحب السلطة فيها فدخلتها بعد قتال يسير ووقع ياسر أسيراً ، ثم عاد توران الى اليمن فاستولى على قلعة تعز وغيرها من المعاقل والحصون وأناب عنه في عدن عز الدين عثمان الزنجيلي واستخلف على زبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ وجعل في كل قلعة نائباً من عسكره .

وذكر المؤرخون أنه لما نزل زبيد استوخمها فسار في الجبال ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء يتخذ فيه سكناه فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة ونزلها وبقيت له كرسياً « عاصمة » ، ثم لبنيه ومن بعدهم من بني رسول ويقال بأنه لم تطب له الإقامة في اليمن فاستأذن أخاه في العودة فأذن له فتوجه الى دمشق وكان أخوه صلاح الدين إذ ذاك محاصراً حلب ولم يعد الى اليمن بعد ذلك .

وفي سنة ٥٧٦ هـ . نشب خلاف بين عمال الأيوبيين في اليمن أدى الى إثارة فتن وحروب بين الزنجيلي والي عدن وابن منقذ والي زبيد وغيرهما من الولاة

فأرسل صلاح الدين أخاه طغتكين لقمع دابر الفتنة فتلطف أولا بوالي زبيد حتى قبضه وأخذ أمواله وبلغ الأمر والي عدن ففر الى الشام وأخذ معه الاموال عن طريق البحر ودخل طغتكين عدن بدون قتال ، ثم استولى على جميع اليمن واختط المنصورة في جبال المعافر وهو أول من سور زبيد وصنعاء واليه ينسب بستان السلطان في صنعاء .

بعد وفاة طغتكين تولى ابنه إسماعيل فأعلن استقلاله عن حكومة بغداد وكان ضعيف الرأي فاستفحل في أيامه أمر الإمام عبد الله بن حمزة واستولى على صنعاء وذمار وأكثر جبال اليمن وقتل إسماعيل في زبيد بواسطة غلمانه سنة ٥٩٨ هـ . فخلفه أخوه أيوب المتوفي سنة ٥٩٩ هـ . ثم قامت بالأمر أمه مدة من الزمن ثم استدعت السلطان سليمان بن سعد الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فولته حكم اليمن وظل كذلك حتى عزل سنة ٦١٢ هـ .

وفي هذا العام خرج الملك المسعود بن الملك الكامل أبي بكر بن أيوب والياً على اليمن من قبل والده فاستولى عليها الى سنة ٦٢٠ هـ . حيث رجع الى مصر وأناب على اليمن عمر بن علي بن رسول الغساني وكان هذا يقظاً حازماً فضبط البلاد كما ينبغي وأعلن استقلاله وتغلب على ملك اليمن وبذلك انقضت دولة بني أيوب وانتقلت مخاليف لحج وعدن وحضر موت وغيرها من المخاليف التابعة لليمن الى الرسوليين .

وفيما يلي بيان سلاطين الأيوبيين الذين تولوا اليمن ومن بينها لحج وعدن وحضرموت .

تولى	عاد أو عزل	توفى	
٥٦٩	٥٧١	٥٧٦	توران شاه
٥٧٧		٥٩٣	طغتكين
٥٩٣		٥٩٨	إسماعيل بن طغتكين

تولى	عاد أو عزل	توفي	
٥٩٨		٥٩٩	أيوب بن طغتكين
	٦١٢	٦٤٧	سليمان بن سعد الدين
٦١٢	٦٢٠	٦٢٢	الملك المسعود

بنو رسول :

علمنا مما سبق إن بداية دولة بني رسول كانت سنة ٦٢٠ هـ . عندما تغلب على اليمن عمر بن علي بن رسول ، وأعلن نفسه حاكماً عليها ، وبنو رسول هـؤلاء ينتسبون إلى بني غسان ملوك الشام ، وقد خضعت جميع البلاد اليمنية لعمر بن علي الذي تسمى الملك المنصور وظل حاكماً على اليمن ، الى أن قتله غلمـانه في الجند سنة ٦٤٧ هـ . ، فخلفه ابنه المظفر يوسف بن منصور عمر ، واستولى على صنعاء ، وجعل قاعدة مملكته تعز ، وكذلك خلفاؤه من بني رسول ، وفي أيام المظفر هذا كان سقوط الدولة العباسية في بغداد .

كان الملك المظفر عالماً، أخذ من كل فن بنصيب ، قرأ الفقه والحديث والنحو واللغة ، وكان له في الطب يد طولى ، وكان يقرب العلمـاء وينشيء المدارس ، فنشأ ابنه الأشرف في بيئة فيها العلم والعلماء، فاتخذ له أبوه الفقيه سعيد بن أسعد الحراري سنة ٦٧٨ هـ. معلماً ، فأدبه وعلمه وكان كثيراً ما يصده عن أمور غير لائقة . وقد قرأ الأشرف الفقه والحديث والنحو ، إلا أنه برع في الأنساب وفي الطب ، وألف في علم الفلك ، وله في الأنساب كتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، وكتاب تحفة الآداب في التواريـخ والأنساب ، وكتاب جواهر التيجان ، وله في الطب كتاب الجامع ، وألف كتاباً في الاسطرلاب بعد أن زاول عمله وأتقنه .

وتظهر براعته في الطب من كتاب أرسله أبوه المظفر الى الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧ هـ. يطلب منه طبيباً يقول فيه :

« ولا يظن المقام العالي أننا نريد الطب لأنفسنا ، فإننا نعرف من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة ، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب ، وله كتاب جامع ليس لأحد مثله » .

وكان الملك المظفر معجباً بابنه الأشرف لشجاعته ، وقد ندبه وهو أمير الى مهمات شاقة لإخضاع بعض الثائرين أو القيام بالصلح مع بعض الأشراف ، فنجح فيما ندبه اليه ، فلما كانت سنة ٦٩٤ هـ. اختصه والده بالملك وملكه أزمة الأمور ، وصدر مرسوم بذلك بمشهد من الملوك والعظماء جاء فيه :

« أما بعد فقد ملكنا عليكم من لا نؤثر فيه – والله – داعي التقريب على باعث التجريب ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص ، ولا ملازمة الهوى والإيثار على مداومة البلوى والاختيار ، وهو سليلنا الخطير وشهابنا المنير وبصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ، فإنصاف الأمر والنهي والحل والعقد والبسط والقبض في البر والبحر والأقاليم والسواحل والأمصار والحصون والثغور ، وتدبير الحرب والسلم وتجهيز العساكر والجنود الى السلطان الملك الأشرف ... وكان ذلك في جمادي الأول سنة ٦٩٤ هـ . ولم يلبث أبوه أن توفى بعد ذلك .

وكان الأشرف محبوباً عند الناس على اختلاف حالاتهم وتباين طبقاتهم ، وامتلأ اليمن في أيامه هيبة منه ، وكان ملكاً صالحاً براً بالناس وبقرابته ، رؤوفاً بالرعية ، محباً لهم عطوفاً عليهم ، وقد أدركه أجله لسبع بقين من محرم سنة ٦٩٦ هـ. وترك ستة أولاد ، ولكن الملك انتقل بعده الى أخيه المؤيد .

والملك المظفر والد الأشرف هذا هو الذي أرسل جيشاً كبيراً سنة ٦٧٨ هـ. الى ظفار لقتال سالم بن ادريس الحبوظي ، وقد قتل الحبوظي في المعركة ، ودخلت ظفار وحضرموت تحت طاعة بني رسول بعد ذلك ، وقد تعرضنا لهذه الحادثة بشيء من التفصيل في كتابنا تاريخ حضرموت في شخصيات .

ونشط الأئمة الزيود في أيام المظفر وخلفائه ، فقاموا بعدة حركات للاستيلاء على مواضع نفوذ الرسوليين .

ففي سنة ٦٧٠ هـ. ثار الإمام إبراهيم بن تاج الدين فأسره جيش بني رسول في حرب بينه وبينهم في بلاد ذمار وسجن في تعز ، الى أن توفى سنة ٦٨٣ هـ. وقبل ذلك خرج الإمام يحيى بن محمد السراجي فأسره الأمير سنجر الشعبي عامل بني رسول على صنعاء سنة ٦٦٠ هـ. وثار المطهر بن يحيي سنة ٦٧٦ هـ. واستمر في حروب معهم ، الى ان توفى سنة ٦٩٧ هـ. ، فقام ابنه المهدي واستولى على صفاء وتوفي سنة ٧٢٨ هـ.

وفي سنة ٧٥٠ هـ. قام المهدي علي بن محمد واستولى على صنعاء ومتعلقاتها ، الى ان توفى سنة ٧٧٢ هـ. ، وفي اواخر القرن الثامن هذا استفحل شأن الأئمة وخصوصاً في جبال اليمن ، وانحصر نفوذ الرسوليين في تهامة وبلاد تعز الى نقيل صيد المعروف الآن بنقيل سماره ، الى ان ضعف امرهم ثم تلاشى في اواخر القرن التاسع الهجري ، وكان آخر ملوكهم ، فيما يروي بعض المؤرخين الحسن ابن الظاهر سنة ٨٥٨ هـ.

ويذكر القاضي محمد الحجري اليمني نقلا عن القلقشندي ان ملوك الدولة الرسولية كانت اوقاتهم مقصورة على لذاتهم والخلوة مع حظاياهم وخاصتهم من الندماء والمطربين ، فلا يكاد السلطان يصل اليه خبر من اهل اليمن وهو يذهب في اموره مذهب صاحب مصر يتسمع اخباره ويحاول اقتفاء اثره في احواله واوضاع دولته .

وفيما يلي بيان بملوك الرسوليين مرتبين حسب ولايتهم :

الولاية	الوفاة	
٦٢٠	٦٤٧	عمر بن علي بن رسول
٦٤٧	٦٩٤	الملك المظفر يوسف بن عمر
٦٩٤	٦٩٦	الأشرف عمر بن يوسف
٦٩٦	٧٢١	هزبز الدين داود المؤيد
٧٢١	٧٦٤	علي المجاهد

الولاية	الوفاة	
٧٦٤	٧٧٨	الأفضل العباس بن علي
٧٧٨	٨٠٤	الأشرف إسماعيل بن العباس
٨٠٤	٨٢٧	احمد الناصر بن إسماعيل
٨٢٧	٨٢٠	عبد الله المنصور
٨٣٠	٨٣١	الأشرف بن الناصر
٨٣١	٨٤٢	يحيى بن إسماعيل
٨٤٢	٨٤٥	الأشرف إسماعيل بن يحي الظاهر
٨٤٦	٠٠٠	الملك المسعود
٨٥٨	٠٠٠	الحسن بن الظاهر

ويذكر القاضي الحجري من ملوكهم بعد الأشرف اسماعيل بن يحي الملك المظفر ثم الأفضل ثم المسعود الذي يكنيه ابا القاسم بن الأشرف

آل طـــاهر :

لما ضعف نفوذ الرسوليين في تهامة وبلاد تعز وعدن في اواخر القرن التاسع وتلاشى امرهم قام بالأمر المشائخ آل طاهر بن معوضه بن تاج الدين من بلاد داع ، واستولوا على عدن وتهامة وبلاد تعز في سنة ٨٥٨ هـ .

وفي سنة ٩٠٦ هـ. قام الإمام محمـــد بن علي الوشلي من ذرية الإمام يحي السراجي ، وجرت حروب بينه وبـين آل طاهر الى سنة ٩١٠ هـ. فأسره السلطان عامر بن عبد الوهاب من آل طاهر في حروب بينهما بصنعاء ، ومات الإمام محبوساً في هذه السنة .

وفي سنة ٩١١ هـ. قام الإمام شرف الدين يحيي بن شمس الدين بن المهدي احمد بن يحيى بن المرتضى ، وكان عامر عبـــد الوهاب قد استولى على صنعاء وأكثر جبال اليمن .

وفي سنة ٩٢١ هـ. خرجت طائفة من الشراكسة المصريين لمطاردة سفن الإفرنج في البحر الأحمر ونزلوا جزيرة كمران ، ثم خرجوا الى تهامة ، وجرت بينهم وبين قوات عامر بن عبد الوهاب معارك انهزم فيها أصحاب السلطان عامر نظراً لاستعمال الشراكسة البنادق التي لم تكن تعرف في اليمن قبل ذلك .

استمر تقدم الشراكسة وتقهقر السلطان عامر ، الى أن كانت المعركة الفاصلة بصنعاء قتل فيهـــا السلطان سنة ٩٢٣ هـ . واستولى الشراكسة على صنعاء ويقول بعض المؤرخين بأنه ملك بعد عامر عبـــد الوهاب عامر بن داؤد الى سنة ٩٤٥ هـ . وهو آخر ملوكهم .

وهذا جدول ببيان ملوك آل طاهر :

تولى	توفى أو قتل	
٨٥٨	٨٧٠	الظافر عامر بن طاهر
٨٧٠	٨٨٣	المجاهد علي بن طاهر
٨٨٣	٨٩٤	المنصور عبد الوهاب بن داؤد بن طاهر
٨٩٤	٩٢٣	عامر عبد الوهاب
٩٢٣	٩٤٥	عامر بن داؤد

دولة الشراكسة أو المماليك :

في سنة ٩٢٣ هـ . استولى الشراكسة على صنعاء بعد قتل السلطان عامر عبد الوهاب ومن هذا التاريخ يبتدىء حكم الشراكسة أو المماليك في اليمن .

وكان ذلك في عهد الملك قانصوه الغوري ملك مصر وهو الخامس والعشرين من ملوك الشراكسة المماليك في مصر من ٩٠٦ إلى ٩٢٢ هـ . وهو الذي حاربه السلطان سليمان العثماني وقتله وأخذ أكثر بلاده .

وقد نشبت حروب بين الشراكسة وبين الإمام شرف الدين يحيي بن المهدي انتهت باستيلائه على صنعاء وهزيمتهم الى زبيد حيث عادوا إلى قتـــال الإمام وتقدموا من زبيد إلى جهة تعز .

وظلت اليمن خاضعة لسلطان المماليك حتى دخلت في حكم العثمانيين حوالي سنة ٩٤٥ هـ .

حكم العثمانيين :

في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ١٥١٧ م . - ٩٤٥ هـ . استولى السلطان سليمان القانوني العثماني على بعض الأقطار العربية ومن بينها عدن وقسم من اليمن .

وفي سنة ٩٥٥ هـ . تقدم الوزير ازدمر باشا بجند عظيم واستولى على صنعاء وقتل من أهلها نحو اثني عشر مائة ثم خرج لحرب الإمام شرف الدين في بلاد حاشد وما اليها فأسر الأمير عز الدين بن الإمام وأرسل إلى السلطان فمات في الطريق .

بعد وفاة الإمام شرف الدين قام ابنه المطهر بحرب الأتراك حتى توفى سنة ٩٨٠ هـ . وقام بعده الإمام الناصر الحسن بن علي سنة ٩٨٦هـ. إلى أن أسره الباشا سنان سنة ٩٩٣ هـ . وأرسله الى استانبول فتوفى هناك سنة ١٠٢٤ هـ. ثم أسر أيضاً أولاد المطهر بن شرف الدين وأرسلهم الى استانبول .

وجرت حروب بين القاسم بن محمد الذي تولى سنة ١٠٢٦ هـ . وبين الأتراك انتهت بالصلح وعاد ابنه المؤيد بن القاسم بعد وفاة أبيه الى حرب الأتراك وتغلب على صنعاء وانحاز الأتراك إلى تعز ثم زبيد ، واستمرت الحرب إلى أن اضطر الأتراك الى الجلاء عن اليمن على السفن البحرية من ميناء المخا سنة ١٠٤٨هـ. واستقل الإمام بجميع بلاد اليمن .

وكما ظهر الأئمة الزيود كمحاربين للاحتلال العثماني كانت طوائف أخرى في اليمن تعارض هذا الاحتلال وإن كانت على خلاف مع الزيود ، فقد اتفق مشائخ تهامة الشوافع السنيون وفيهم شريف أبو عريش على القيام ضد الوالي حسن باشا الذي تولى من ٩٨٨ - ١١٠٣ هـ. ومن هذا التاريخ تبدأ شرافة أبو عريش .

وفي عام ١٢٢٤ هـ. كان صاحب أبو عريش الشريف حمود بن محمد من اشراف صبيا ومن ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وقد جرت بينه وبين آل سعود حرب ، فر الشريف حمود على أثرها إلى تهامة ولجأ الى حصنه أبو عريش ، واحتلت العساكر بلاد صبيا وجيزان .

وبعد وفاة حمود تولى ابنه أحمد ، وفي ايامه جاءت القوات العثمانية والمصرية إلى أبو عريش يقودها خليل أغا فألقت القبض على أحمد بن حمود وأرسلته إلى مصر ولكن احتلالها لم يدم طويلاً ، فاضطرت القوات الى الانسحاب وتسليمها إلى إمام صنعاء .

وحينما انسحب المصريون من البلاد العربية سنة ١٢٥٥ هـ. بسط الشريف حسين شريف أبو عريش نفوذه على سائر تهامة وألحقها بأبو عريش ، فوصلت قواته الى مخـــا واستولت عليها الى أن جرد الأتراك قوة عسكرية سنة ١٢٦٥ هـ. – ١٨٤٩ م. أنزلت في الحديدة وتمكنت من فتح تهامة ودخول أبو عريش .

وقد ظل حكم اشراف أبو عريش في تهامة عسير واليمن ضعيفاً الى أن أزيل تماماً على يد السيد محمد علي الادريسي .

وفي سنة ١٢٨٥ هـ. وصل الوزير أحمد مختار باشا بجند من الأتراك واستولى على صنعاء فانحاز الإمام محسن بن أحمد إلى شهارة وبلاد حاشد وبكيل وصعده .

وفي سنة ١٣٠٧ هـ. قام المنصور محمد بن يحيي حميد الدين فحارب الأتراك وحصرهم بصنعاء سنة ١٣٠٨ هـ. واستولى على أكثر جبال اليمن فخرج الحـــاج أحمد فيضي باشا من قبل السلطان عبد الحميد واستعاد ما أخذه الإمام من بلاد صنعاء وتقهقر أصحاب الإمام الى قفلة عـــذر وشهارة وبلاد حاشد واستمرت الحال الى أن توفي المنصور سنة ١٣٢٢ هـ.

بعد وفاة المنصور ، تولى ابنه الإمام يحيى فعاد إلى حرب الأتراك واستولى على صنعاء وأكثر جبال اليمن سنة ١٣٢٣ هـ. فخرج أحمد فيضي مرة ثانية

واستنقذ ما أخذه الإمام وانسحب الأمام وأصحابه الى قفلة عذر وشهارة وبلاد حاشد فتبعهم فيضي وحاصر شهارة ثم أراد مهاجمتها فكانت الدائرة على جيشه وانهزم الباشا بعد خسارة عظيمة في الأرواح والمعدات .

وما زال الإمام يحيي يبعث السرايا الى كثير من البلاد التي يتولاها الأتراك حتى وصل أحمد عزت باشا سنة ۱۳۲۹ هـ. وعقد الصلح مع الإمام ، فاستقرت الأحوال في اليمن الى نهاية الحرب العظمى .

وقد أقام الإمام يحيي على الولاء للدولة محافظاً على عهوده ولم ينضم الى أعدائها الذين كاتبوه وأرادوا ان يستميلوه بل ظل على ولائه حتى انتهت الحرب سنة ۱۹۱۸ م. - ۱۳۳٦ هـ. وعقدت الهدنة بين الحلفاء والترك وقد تعهد فيها الأتراك بالجلاء عن جميع البلاد العربية واليمن من جملتها .

وقد كان الأتراك قبل ذلك يحتفظون بجيش في اليمن يرابط هنـــاك لحفظ الأمن والتأمين على مصالحم وقد أصدرت وزارة الحرب العثمانية الأوامر الى قائد جيشها في اليمن بالتسليم للحلفاء فسلم نفسه ونقله الانجليز الى مصر ثم اطلقوا سراحه فقصد الآستانة .

وغادر الإمام يحيى صعدا على الأثر فدخل صنعـــاء وشرع في الإصلاح واستنقاذ تهامة الشمالية من يد الادارسة وإخضاع القبائل العاتية كحاشد وبكيل والزرانيق وغيرهم ،وتنظيم الجيش وتدريبه وبذلك انتهى الحكم العثماني في اليمن.

الأدارسة في عسير :

عندما قررت الدولة العثمانية أن تسحب جنودها من تهامة وعسير سنة ۱۸٤۰ م. كان يطمع بالسيادة فيها ثلاثة من امراء العرب وهم الشريف محمد بن عون في مكة الذي كان مساعد إبراهيم باشا في حملاته على تلك البلاد،والشريف حسين بن علي بن حيدر من اشراف أبي عريش الذين كانوا يحكمونها والإمام

الزيدي في صنعاء الذي كانت تهامة سابقا في حوزته وجزءاً من بلاده فاتفق إبراهيم باشا يومئذ مع أقدر الثلاثة وأدهاهم وهو الشريف حسين فسلمه زمام الحكم في تهامة على أن يدفع سنويا الى الدولة مبلغاً من المال .

ثم عادت الدولة سنة ١٨٤٩ تحاول الاستيلاء على اليمن وعسير فنزلت جيوشها في الحديدة بقيادة توفيق باشا واسترجعت الحكم من الشريف حسين الذي عاد الى مقره في ابي عريش ثم تقدم توفيق بجيوشه الى صنعاء فعادت تهامة الى ما كانت فيه من الاضطراب لا يحكمها فعلا لا الأتراك ولا أشراف أبي عريش فجاء ابن إدريس يشيد بين ظلال السيادتين المتداعيتين حكمه الروحي والسياسي .

ففي أواسط سنة ١٩٠٨ م . غادر القاهرة السيد محمد بن علي الإدريسي الى السودان فأقام مدة في دنقلة ضيفا على آله وذويه وبعد ما تزوج هنالك سافر مع زوجته الى صبيا في تهامة ونزل ضيفا في جوار جده السيد أحمد بن إدريس المدفون في ثراها حيث للادارسة هناك نفوذ روحي بين القبائل ومنزلة خاصة في نفوسهم .

وقد استغل الإدريسي هذا النفوذ فشيد سيادته تدريجيا على أنقاض حكم الترك المتداعي والذي سئمه الناس ودارت بينه وبين قوات الترك معارك انتهت بانهزامهم واعتصامهم بمدينة ابها قاعدة عسير فطاردهم وحاصرهم ولكن الباب العالي استعان بشريف مكة الذي جهز حملة شتتت قوى الإدريسي وفكت الحصار عن المدينة .

وتوفى السيد محمد سنة ١٩٢٣ م . وخلفه ابنه علي ركان ، دونه كفاءة ومزايا فكثرت الاضطرابات الداخلية واغتنم الزيود الفرصة فحملوا على هذه الإمارة سنة ١٩٢٤ م . انتزعوا منها الحديدة والمناطق المحيطة بها وتقدموا حتى ميدي فذهب الادارسة الى ابن سعود وعقدوا معه سنة١٩٢٦م. معاهدة دخلوا بموجبها تحت حمايته ثم عاد ابن سعود في سنة ١٩٣٣ م. فضم هذه الإمارة كلها الى دولته وبذلك انتهى أمرهم .

٢٥ - دولة الأئمة الزيود

الزيدية - تعاليم الزيدية - الإمام الأول في اليمن - تتابع الأئمة - سيرة الأئمة - الفتن والحروب - ترتيب الأئمة حسب حكمهم .

الزيدية :

فرقة كبيرة من فرق الشيعة تتبع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، مثل هو وهشام بن عبد الملك ثانية دور الحسين ويزيد بن معاوية فقد كان زيد طموحاً الى الخلافة ناقما على الأمويين فألح عليه أهل الكوفة أن يخرج على الأمويين ووعدوه بالنصرة وكان هشام يخشى جانبه فأمر عامله على العراق يوسف بن عمر الثقفي الا يدعــه طويلا في العراق فأمره يوسف بالرحيل فخرج ثم عاد وبث دعاته لتحريض الناس على الخروج على بني أمية .

ونصحه كثيرون الا يفعل وذكروه بما فعل أهل العراق مع جــده قائلين له أتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدروا بجدك فلم تفده تلك النصائح شيئا ولما جد الجد تفرق عنه أكثر من بايعه ولم يبق معه إلا ثلاثمائة أو اقــل وكانت بينهم وبين يوسف بن عمر ملحمة ثبت فيها زيد ومن معه حتى إذا جنح الليل رمى زيد بسهم فقضى عليه وأخذ رأسه وبعث به الى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ثم ارسل الى المدينة ومكث البدن مصلوبا حتى مات هشام ثم امر به الوليد فأنزل واحرق وكان قتل زيد سنة ١٢٢ هـ . وعمره سبع واربعون سنة .

كان زيد واسع العلم بالدين قوي الحجة وصفه خصمه هشام بن عبد الملك فقال : رأيته رجلا جدلا لسنا خليقا بتمويه الكلام وصوغه واجترار الرجال بحلاوة لسانه .

بعد قتل زيد هرب ابنه يحي الى خراسان وأقام هناك متهيأ للثورة ثم خرج على الوليد بن زيد فأصيب بنشابة أصابت جبهته وصلب وحرق وذر رفاته في الفرات وكان ذلك سنة ١٢٥ هـ . وعمره ٢٨ سنة .

ثم خرج محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم بالمدينة والبصرة واجتمع عليهما الناس ، فقتل محمد بالمدينة وقتل إبراهيم بالبصرة ، أمر بقتلهما المنصور سنة ١٤٥ هـ. ، ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش سنة ٢٨٤ هـ. وله حروب ووقائع هناك ، الى أن توفى سنة ٣٠٤ هـ. . أما في اليمن فقد كان مبدأ ظهور الزيدية سنة ٢٨٠ هـ. على يد الإمام يحي بن الحسين الرسى .

تعاليم الزيدية :

هم في تعاليمهم أقرب الى أهل السنة ، فلا يقولون بالتقية ولا يتبرءون من أبي بكر وعمر ، ولا يقولون بعصمة الأئمة ولا يقولون باختفائهم ، ومن مذهبهم جواز خلافة المفضول مع قيام الأفضل ، فكان زيد بن علي يقول : علي بن أبي طالب أفضل الصحابة ، إلا أن الخلافة فوضت الى أبي بكر لمصلحة رأوها ، واقتبس زيد مذهب الاعتزال من أستاذه واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وصار أصحابه كلهم معتزلة .

والزيدية تحصر الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام ويجوزون خروج إمامين في قطرين يستجمعان الشروط ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة ، وهم يشترطون في الإمام أن يكون ذكراً مكلفاً حراً مجتهداً علوياً فاطمياً عدلاً سخياً ورعاً سليم العقل والحواس والأطراف ، صاحب رأي وتدبير فارساً مقداماً .

وهم ينقسمون الى عدة فرق تجتمع كلها في القول بإمامة زيد بن علي وتختلف في أمور جوهرية ليس هنا موضع الحديث عنها ، ومن فرقهم الجارودية التي تقول بالنص من النبي عليه السلام على إمامة علي وصفاً لا تسمية ، ومنها السليانية نسبة الى سليان بن جرير .

الامام الأول في اليمن :

في سنة ٢٨٠ هـ. جاء الى اليمن السيد يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويقول المؤرخ اليمني القاضي محمد أحمد الحجري بأن طائفة من رؤساء خولان أهل صعدة لما اضطربت الأحوال في اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري ذهبت الى جبل الرش شرقي مدينة الرسول عليه السلام ، وأخرجوا السيد يحيى بن الحسين فوصل إلى صعدة سنة ٢٨٠ هـ. وبايعوه بالإمامة واستولى على بلاد همدان وصنعاء وما إليها ووصل إلى منكث قرية في بلاد يريم وعمر فيها مسجده المشهور ثم عاد الى صعدة وبها توفي سنة ٢٩٨ هـ.

وقد جرت بينه وبين عمال بني العباس حروب ووقائع وهو الإمام الأول في اليمن ويسمى الإمام الهادي الى الحق وكانت وفاته فيما يروي بعض المؤرخين بالسم ليلة الأحد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ٢٩٨ هـ. ودفن بمشهده المعروف بصعدة .

تتابع الأئمة :

ثم تتابع الأئمة الزيود على حكم اليمن ولم يكونوا دائماً من سلالة واحدة ، بل كانت لمن تتوفر لديه القوة حسنياً كان أو حسينياً ، على أن الإمامة في اليمن كانت دائماً في جزر ومد ، فتارة يعم نفوذ الأئمة جميع البلاد اليمنية ، وتنحصر تارة سلطهم في الجبال وأخرى في صعدة ، ويضعف أحياناً نفوذهم ويتقلص ، وقد يؤول أمر بعضهم الى القتل أو الأسر ، وقد تتعارض سلطة إمامين في

وقت واحد ، فيحكم السيف بينهما وهم مع كل هذا واثقون من حقهم في الامامة دائبون في الحصول عليها ، جادون في محاربة كل من نازعهم فيهـــا من ملوك اليمن المتغلبين .

ولم تستقر الأحوال في اليمن نهائياً إلا بعد جلاء الأتراك عنها بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م. - ١٣٣٦هـ. حيث دانت جميع البلاد اليمنية للامام يحيى بن حميد الدين ما عدا المقاطعات الجنوبية ، وأصبحت اليمن ذات كيان سياسي معترف به لدى دول العالم .

سيرة الأئمة :

ذكر القاضي محمد الحجري نقلاً عن الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ، بعضا من سيرة الأئمة في اليمن كما وضعها ابن فضل الله فقال :

« وهذا الامام وكل من كان قبله على طريقة ما عدوها لا كبر في صدورها ولا شمم في عرانينها وهم على مسكة من التقوى وتردٍ بشعار الزهد يجلس في ندى قومه كواحد منهم ويتحدث اليهم ويحكم بينهم سواء عنده القوي والضعيف وربما اشترى سلعته بيده ومشى بها في أسواق المدينة لا يغلظ الحجاب ولا يكل الأمور الى الوزراء والحجاب. يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسع، ولا تكثر مع عدل شامل وفضل كامل يعود المرضى ويصلي بالناس ويشيع الجنائز وهو كواحد من شيعته في مأكله ومشربه وملبسه وركوبه وعامة أموره » .

الفتن والحروب :

كانت اليمن في تاريخها الاسلامي ميداناً للفتن والحروب الداخلية لا يسكن فيه غبار ولا تخمد له نار ، وقد تطرأ حالات نادرة يسود فيها السلم والسكينة ، ولكن الفتن والحروب تكاد تكون حالة مستمرة في البلاد الجميلة التي دعاهـــا الرومانيون « البلاد السعيدة » .

وكيف يثبت فيها ملك أو يدوم نظام، وكيف تضمن سبل الفلاح والعمران إذا كان يحق لكل من كان شجاعاً طموحاً ، وكانت له بعض السيادة في عشيرته أن يخرج شاهراً سيفه داعياً الى مذهبه طالباً الملك .

فكلما ضعف موقف أحد الأئمة أو بدا وهن في حكم أحد الملوك اتسع المجال لغيره من الملوك الطامحين ، فتشب نار الفتنة وتدق طبول الحرب ويخنق دخان الفوضى روح الأمن والعدل والنظام .

ومن المعلوم أن هذه الفوضى وعدم الاستقرار السياسي إذا منيت به أمة يكون حائلاً دون ازدهارها الاقتصادي والاجتماعي ، فلم يفكر أحد من ذوي السلطة في هذا التاريخ الطويل أن يحارب الجهل في البلاد ، أو يقر الأمن والعدل والنظام أو ينعش الحياة الاقتصادية أو يأخذ في أسباب العمران ، بل كان همهم جمع الأموال وتحصيل الزكوات وجباية الخراج وتجنيد الجنود والتفكير في أسباب التغلب والسيطرة .

على أن التاريخ تحدث عن عدد من علماء الدين واللغة والأدب في فترات متقطعة من عهود التاريخ اليمنية ، وكان لبعض الملوك آثار عمرانية كالتي تنسب لبني رسول من بناية المساجد والقلاع والحصون في تعز وغيرها ، ولكن هـذا لا يصح أن يؤخذ مقياساً للحالة الثقافية والعمرانية في تلك العصور ، فهناك أسباب أوحت بتلك الحالات التي تكاد تكون خاصة .

ترتيب الأئمة حسب حكمهم :

فيما يلي بيان عن الأئمة الزيود الذين حكموا اليمن مرتبين حسب الزمن الذي حكموا فيه الى عهد الامام الحاضر :

١ ـ الامام الأول يحيى بن الحسين الرسي سنة ٢٨٠ هـ .

٢ ـ ابنه الناصر أحمد .

٣ - أبناء الناصر ، وهم : يحيى المنصور والمختار للقاسم ، ثم الداعي يوسف ابن المنصور بن الناصر وهذا توفي سنة ٤٠٤ هـ.

٤ - القاسم بن علي العياني من ولد محمد بن القاسم الرسي الذي عارض الداعي يوسف ، وقام بالأمر بعده ابنه الحسين .

٥ - في أول القرن الخامس كانت جبال اليمن بيد أبناء القاسم العياني .

٦ - الامام أبو الفتح الديلمي قتله الصليحي سنة ٤٤٠ هـ.

٧ - الأمير حمزة بن أبي الهاشم من ولد عبد الله بن الحسين الرسي ، قتله الصليحيون في الملوى من بلاد أرحب .

٨ - الامام أحمد بن سليمان في صعدة أيام حكم آل زريع .

٩ - المنصور بالله عبد الله بن حمزة من سنة ٥٧٦ في أيام الأيوبيين توفي سنة ٦١٤ هـ.

١٠ - الداعي ابن المحسن من سنة ٦١٤ هـ. الى أن توفي سنة ٦٣٦ هـ .

١١ - المهدي أحمد بن الحسين الى أن قتله الأشراف أولاد الامام عبد الله ابن حمزة سنة ٦٥٦ هـ .

١٢ - يحيى بن محمد السراجي من ولد زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب من سنة ٦٥٧ هـ. الى سنة ٦٦٦ هـ .

١٣ - إبراهيم بن تاج الدين من سنة ٦٧٠ هـ. الى سنة ٦٧٣ هـ. أسره بنو رسول وبقي في حبسهم الى ان توفي سنة ٦٨٣ هـ .

١٤ - المطهر بن يحيى من سنة ٦٧٦ إلى أن توفي سنة ٦٩٧ هـ.

١٥ - ابنه الهدى محمد بن المطهر توفي سنة ٧٢٨ وتملك صنعاء .

١٦ - يحيى بن حمزة الحسيني عارضه المطهر بن محمد بن المطهر والإمام أحمد بن علي بن أبي الفتح الديلمي .

١٧ - المهدي علي بن محمد استولى على صنعاء وبلادها من ٧٥٠ الى أن توفي سنة ٧٧٢ هـ.

١٨ - ابنه صلاح الدين محمد الى أن توفي سنة ٧٩٣ .

١٩ - ابنه المنصور علي بن صلاح الدين في جبال اليمن عارضه المهدي أحمد بن يحيى والهادي علي بن المؤيد وبعد وفاة المنصور تولى ابنه محمد بن علي .

٢٠ - المطهر محمد بن سليمان من ولد عبد الله بن الحسين الرسي الى أن توفي سنة ٨٧٩ هـ .

٢١ - محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر في غالب جبال اليمن وقد عارضه في بلاد صعدة الإمام عز الدين بن الحسن ، أما صنعاء وأكثر الجبال فالنفوذ فيها لابن الناصر .

٢٢ - الإمام محمد بن علي الوشلي من ذرية الإمام يحيى السراجي جرت حروب بينه وبين آل طاهر الى سنة ٩١٠ أسره السلطان عامر بن عبد الوهاب من آل طاهر في حروب بينهما بصنعاء ومات محبوساً في هذه السنة .

٢٣ - الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن المهدي أحمد سنة ٩١١ إلى أن توفي سنة ٩٦٥ . وهو الذي حارب الجراكسة سنة ٩٢٣ في صنعاء ومدحه موسى بن بهران وتوفي وعمره ٨٨ سنة .

٢٤ - ابنه المطهر وما زال مع الأتراك في حرب وسكون حتى توفي سنة ٩٨٠ هـ .

٢٥ - الإمام الناصر الحسن بن علي بن داءود سنة ٩٨٦ وبقي إلى أن أسره الباشا سنان سنة ٩٩٣ وأرسله الى استامبول وبقي هنالك الى ان توفي سنة ١٠٢٤ .

٢٦ - المنصور بالله القاسم بن محمد من ولد يحيى الرسي حارب الأتراك الى ان توفي سنة ١٠٢٩ هـ .

٢٧ - المؤيد بن القـاسم المذكور وكان والده قد صالح الأتراك فاستمر الصلح الى سنة ١٠٣٦ . ثم أعيدت الحرب وتغلب الامام على صنعاء واستولى بعـد ذلك على جميـع بلاد اليمن بعد أن جلا الأتراك سنة ١٠٤٨ وتوفي المؤيد سنة ١٠٥٤ .

٢٨ - المتوكل اسماعيل بن القاسم وقد استولى على عدن وحضر موت وتوفي سنة ١٠٨٧

٢٩ – ابن أخيه المهدي أحمد بن الحسين بن القاسم توفي سنة ١٠٩٢ هـ .

٣٠ – المؤيد الأصغر محمد بن المتوكل اسماعيل توفي سنة ١٠٩٤ هـ .

٣١ – المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم عارضه المنصور حسين بن القاسم .

٣٢ – المتوكل قاسم بن الحسين توفي سنة ١١٣٩ هـ .

٣٣ - ابنه المنصور حسين الى أن توفي سنة ١١٦١ هـ .

٣٤ – المهدي عباس بن المنصور من سنة ١١٦١ الى ان توفي سنة ١١٨٩ .

٣٥ – ابنه المنصور علي بن العباسي الى ان توفي سنة ١٢٢٤ هـ . وقد زاحمه في تهامة الشريف حمود من أشراف صبيا ثم الشريف حسين بن علي بن حيدر من أشراف أبي عريش وصبيا .

٣٦ – ابنه المتوكل احمد بن المنصور الى ان توفي سنة ١٢٣١ هـ .

٣٧ - ابنه المهدي عبدا لله بن المتوكل توفي سنة ١٢٥١ وبعد وفاة المهدي عبد الله ضعف نفوذ الأئمـة وظهرت الفوضى وتسلط القوي على الضعيف وفي هذه الأيام نزل الانكليز عدن .

٣٨ – علي بن المهدي .

٣٩ – الهادي محمد بن المتوكل أحمد .

٤٠ – الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد بن المهدي عباس .

٤١ - المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي .

٤٢ - ابنه غالب بن محمد .

٤٣ - الامام عباس بن عبد الرحمن من ولد المتوكل اسماعيل .

٤٤ - الامام أحمد بن هاشم الويسي .

٤٥ - الإمام محمد بن عبد الله الوزير .

٤٦ - الإمام حسين الراوي .

٤٧ - المتوكل الحسن بن أحمد الشهاري وفي أيامه وصل أحمد المختار باشا بجند من الأتراك واستولى على صنعاء سنة ١٢٨٥ هـ. فانحاز الامام الى شهاره وبلاد حاشد وبكيل وصعده الى أن توفي سنة ١٢٩٥ هـ .

٤٨ - الهادي شرف الدين بن محمد الحسيني توفي سنة ١٣٠٦ هـ .

٤٩ - المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين من ولد القاسم بن محمد بن علي حارب الأتراك وحصرهم بصنعاء سنة ١٣٠٨ هـ. وتوفي سنة ١٣٢٢ هـ.

٥٠ - ابنه المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين ولد في صنعاء في ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ. حارب الأتراك واستولى على صنعاء وجبال اليمن سنة ١٣٢٣ هـ . ثم انسحب منها الى شهاره وبلاد حاشد ، وفي سنة ١٣٢٩ هـ. عقد الصلح مع عزة باشا واستقرت الأحوال في اليمن بعد ذلك الى نهاية الحرب العظمى سنة ١٣٣٦ هـ. حيث خرج الأتراك من اليمن ، وفي سنة ١٣٦٧ في ربيع الثاني قتل الامـام يحيى على أثر مؤامرة دبرت من بعض الوطنيين الناقمين على الحكم في اليمن .

٥١ - ابنه الامام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى بعد فترة وجيزة جـداً ادعى الامامة فيها عبد الله ابن الوزير في صنعاء فقبضت عليه جنود الامام الناصر ثم قتل بعد محاكمته بتهمة اشتراكه في مؤامرة قتل الامام يحيى .

ويرجع الفضل في استقلال البلاد اليمنية وتمتعها بالحرية من أي تدخل والمحافظة عليها من غدر المستعمرين الى الامام يحيى وخليفته الامام أحمد الناصر لدين الله فقد بذلا كل مجهود لحماية هذا الاستقلال والمحافظة عليه .

واليمن بعد ذلك غنية بأراضيها الزراعية وثروتها المعدنية الأمر الذي يكفل لها ما تصبو إليه نفوس المصلحين من ابنائها المخلصين اذا استخدموا الوسائل المشروعة وسلكوا الطرق الصحيحة .



٢٦ - عَدَن

والمقاطعات الجنوبية

موقع عدن ومساحتها – أقسامها – أهميتها – تاريخها – المقاطعات الجنوبية – لحج – الصبيحة – الضالع – الحواشب – المقارب – بلاد الفضلي – يافع – العواذل – العوالق – الواحدي – بيحان – بلاد المهرة .

موقع عدن ومساحتها :

عدن شبه جزيرة واقعة على البحر العربي يحدها من الجنوب بحر العرب ، ومن الشمال الغربي مقاطعة لحج ويصلها ببلاد العرب برزخ خور مكسر الضيق المنخفض الرملي وتبعد عنها نحو خمسة اميال وتبلغ مساحتها نحو ثمانين ميلا مربعاً .

أقسامها :

تشتمل عدن على شبه الجزيرة موقع عدن الاصلية ، وعلى المعلا والتواهي والبرزخ الموجود فيه خور مكسر وبقعة من الأرض شمال الميناء والبرزخ حيث تقع قرى الشيخ عثمان والحسوة وبئر جابر والعماد والغدير كما تشتمل على جزر ميون أوبريم وكمران في البحر الأحمر ، ويقدر سكان عدن بثمانين ألف نسمة تقريباً .

أهميتهـــا :

أهمية عدن في موقعها الجغرافي والحربي وفي كونها مركز تجاري عظيم في وسط الطريق بين أوروبا والهند بل هي حلقة اتصال بين الشرق والغرب وبعد ذلك فهي سلسلة تلال محرقة وتربتها قاحلة لا توجد بها مناظر طبيعية ولا الماء الذي هو اكسير الحياة .

وقد تحولت عدن بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٨٣٩ في خلال قرن واحد من قرية صغيرة مهجورة يسكنها بضعة آلاف من صيادي الأسماك إلى أكبر مدائن شبه الجزيرة وأرقاها اقتصادياً وصحياً فقد أصبحت عدن تبسط نفوذها الاقتصادي وتتحكم في حركة التصدير والتوريد على مساحة واسعة من العالم تمتد من مضيق موزمبيق جنوباً إلى السويس والبصرة شمالاً ومن الهنـــد شرقاً إلى قرب أواسط أفريقية غرباً .

وأخذت عدن تتقدم تدريجياً من ناحية العمران والتعليم وغير ذلك من شؤون الاجتماع الممكنة وتصدر بها الآن عدة صحف عربية كما يوجد بهـا بعض النوادي والجمعيات .

تاريخهـــا :

خضعت عدن للحكومات اليمنية الكبرى قبل الإسلام فحكمها المعينيون ثم السبئيون والحميريون ومن المحتمل أن الحميريين هم الذين بنوا الصهاريج بعدن - خزانات الماء - بعد انفجار سد مأرب فقد كان الحميريون في ذلك الوقت مهندسين عظماء ولهم مشروعات عمرانية عظيمة .

وقد زارت عدن الملكة بلقيس ومعها حاشيتها والهدايا الثمينة التي أعدتها كهدية لسليمان عليه السلام من الذهب والجواهر والبخور كما دخلها الملك بختنصر البابلي عندما غزا الحجاز سنة ٥٧٤ ق م.

وكانت عدن في زمن الحميريين ميناء هاماً وكان ملك عدن والبلدان المجاورة لها شرحبيل صديقاً للرومان وقد استرعت عـدن انتباه الرومان وانضمامهم فاحتلوها وجعلوها مركز تجارة لهم ولما عجزوا عن حمايتها وتعضدها خربوها ثم عادت لمركزها بعد مدة قصيرة في زمن قسطنطين العظيم ملك الرومان الذي أعاد صداقته مع ملك الحميريين وبنى في عدن كنيسة لأجل التجار الرومانيين بإذن من الملك الحميري .

واحتل الأحباش عدن عندما غزوا بـلاد اليمن في أوائل القرن السادس الميلادي بقيادة أرياط الذي جاء الى عدن في سفن الرومان وأخضعها وقد سبق تفصيل ذلك في الفصل الخاص باحتلال الأحباش والفرس لليمن قبل الإسلام فليرجع إليه من أراد .

ولما ضـاق الحميريون بسلطة الأحباش واستبدادهم استنجد سيف ابن ذي يزن أحد أمراء حمير بكسرى ملك فارس سنة ٥٧٣ م. فأمده بجيش حارب الأحباش واحتل به عدن واليمن وظل حكم الفارسيين لهذه البلاد الى أن جاء الإسلام فخضعت لسلطانه ثم ظلت خاضعة لحكم الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباس .

ولما استقلت اليمن تحت سلطة حكامها المحليين امتد نفوذ هؤلاء الحكام إلى عدن فحكمها عدا الأئمة الزيود آل زياد وآل نجاح والصليحيون والقرامطة وآل زريع وآل حاتم والأيوبيون وبنو رسول وآل طاهر ثم حكمها الأتراك والعبادلة سلاطين لحج حيث انتزعها منهم الانكليز سنة ١٨٣٩ ، وفي الفصل الخاص باليمن من هذا الكتاب بعض التفاصيل للسلطات التي حكمت عدن .

وذكروا أنه في أواخر أيام بني رسول أرسل أمبراطور الصين سنة ١٤١٢ م. رسولاً إلى عـدن يحمل خطاباً وهدايا إلى ملكها يسمح للصينيين بالمعاملة التجارية مع عرب عدن وأتى هؤلاء الصينيون ببضائع ثمينة مثل الياقوت والكهرمان وغيرها .

والسلطان عامر بن عبد الوهاب أحد ملوك آل طاهر هو الذي بنى الصهريج المستدير المعروف الآن بصهريج بليفر الواقع خارج دائرة الصهاريج الأخرى ومد قناة تحمل المياه من بئر ماحطا إلى عدن سنة ١٥٠٠ م. وكانت عدن أثناء هذه المدة مستودعاً للتجارة الثمينة مثل اللبان والرخام والطيب والبخور التي كانت تمر بين الهند والصين ومصر وأفريقيا وسوريا.

وفي سنة ١٥١٣ م. حاول البرتغاليون احتلال عدن بواسطة قائدهم الفونس البوكرك ففشل بعد أن أحرق وسلب كل السفن الراسية في الميناء، ودمر ما استطاع تدميره بالمدافع، وزار عدن اسطول حربي دانمركي تحت رئاسة فان دي بروك في اوائل القرن السابع عشر الميلادي لعقد اتفاق تجاري ولكن مفاوضته مع الحاكم التركي بعدن لم تفلح. وكانت الباخرة استشن أول باخرة بريطانية زارت عدن سنة ١٦٠٩ م. أما الأمريكان، فقد وصلت أول سفينة لهم الى عدن سنة ١٨٠٤ م. للبحث عن مكان مناسب لتجارتهم.

وقدمت الى عدن بعثة فرنسية تجارية يصحبها رجل اسمه لاروك سنة ١٧٠٩ م. كتب كتاباً صغيراً يصف فيه تلك الرحلة قال عنها أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب ما ملخصه :

« عرفنا هذا الأجنبي بعدن العربية في ذلك الزمان وبحاكمها الكريم الأخلاق الذي أرسل عندما أبصر مراكب الأجانب رجالاً من قبله يستقبلونهم ويرحبون بهم وخدماً يحملون إليهم الزاد والحلوى والمرطبات. أقام الفرنسيون في عدن بضعة أسابيع وشاهدوا فيها ما لا يشاهده السائح اليوم. لقد كانت عدن في تلك الأيام عدن العرب والتوحيد، بل عدن الشرق الصميم الرقيق الجانب الكريم الخلق العزيز الشأن، ولا أريد بالتوحيد الدين فقط، بل اللغة أيضاً والجنس، أما الوحدة الجنسية فكان قد تخللها شيء من خليط الهنود الذين هاجروا الى هذه الزاوية من البلاد العربية قبل أن احتلها الانجليز ».

« وعدن اليوم مدينة عمومية لا أوربية ولا شرقية ولا عربية مدينة التجارة والفحم والمضارب العسكرية، فهي من الوجهة الحربية جبل طارق الشرق، ومن الوجهة التجارية مركز توريد وتوزيع مهم في البحر العربي ، ومن الوجهة البحرية العمومية مستودع فحم لبواخر العالم التي تجري بين الشرق والغرب » .

والريحاني يقسم عدن الى قسمين : عدن الفحم والحصون والسياسة التي هي التواهي ، وعدن التجارة وهي وراء الجبل على مسافة خمسة أميال في فم البركان أو ما كان بركاناً في قديم الزمان ، وفيها - حين زارها - أربعون ألفاً من السكان من كل شعوب الأرض والأديان ، وأشهر ما فيها أثر تبقى من آثار مجدها الغابر ، وهي خزانات الماء المبنية في مضيق منحدر بين جبلين بناء متيناً محكماً .

وهذه الخزانات من أجمل الأعمال الهندسية في العالم، ولكنها لا تمتلىء إلا مرة أو مرتين في كل بضع سنين لقلة الأمطار ، وتاريخ هذه الأسداد مجهول ، فمن المؤرخين من يقول إنها بنيت في القرن الخامس للمسيح ، ومنهم من يعود بها الى ألف وخمسمائة سنة قبل المسيح ، ومما لا يختلف في أمرها أنها كانت مردومة عند الاحتلال الانجليزي، فحفرت ورممت سنة ١٨٥٦ م. وأنها تسع ثمانين مليون جالون من الماء .

وللاحتلال الانجليزي لعدن قصة ، هي أنه في سنة ١٨٣٧ م. غرقت بجانب عدن سفينة اسمها (درياد ولت) رافعة العلم البريطاني ، فسلبها رعايا سلطان عدن العبدلي ، ووجدت بضائعها كما يقال معروضة للبيع في سوق عدن، وادعى السلطان الجهل بمعرفة أي شيء يتصل بالحادث ، فبعثت إدارة الشركة القبطان هينس على مركب حربي في ثلثمائة من الجنود يطلب التعويض ، فجاء الى عدن وفاوض السلطان سلطان لحج الذي كان مقيماً فيها ، فأبى سموه .

واحتج القبطان هينس وهدد بإطلاق النار إذا لم يتنازل السلطان عن عدن ، فلم يحفل السلطان بذلك ، فضرب القبطان هينس عدن في ١٩ كانون الثاني سنة

١٨٣٩ م وأمر السلطان الحامية بالدفاع ، فحدث بينها وبين الانكليز قتال لم يدم طويلاً ، سلّم العرب البلاد في نهايته .

وأعلنت عدن ميناء مستقلة سنة ١٨٥٠ م . ووضعت الضرائب الجمركية على الملح والخمور والكحول ، ثم ابتدأ التحسين في عمارات المدينة وشوارعها وموارد المياه ومصلحة الصحة والطب وغير ذلك .

واستولت بريطانيا على الشيخ عثمان سنة ١٨٥٨ م . ثم استولى عليها الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى ، ولكنهم طردوا منها الى حدود لحج بعد مدة قصيرة وعادت الى الانكليز .



المقاطعات الجنوبية

هي عدة مقاطعات تقع جنوب وشرق اليمن بحدوده السياسية الحاضرة ، وتمتد على شاطىء البحر العربي من حصن مراد عند باب المندب غرباً حتى حدود مسقط شرقاً ، ويبلغ طول هذا الشاطىء نحو سبعمائة وخمسين ميلاً .

ومساحة هـــذه المقاطعات تقدر بمائة ألف واثني عشر ألف ميل مربع ويقدر البعض سكانها بستمائة ألف نسمة. بينما يرفعهم البعض الآخر الى ما يقرب من مليون نسمة .

وتشمل هذه المقاطعات سلطنة لحج وإمارة الضالع وبلاد الصبيحة والحواشب والعقارب (بير أحمد) ويافع وبلاد أهل الفضل والعوالق وبـــلاد العواذل والواحدي ومشيخة عرقه وحوره وسلطنة قشن وسقطري وبيجان . وأهم هذه المقاطعات وأكبرها حضرموت .

وهذا القسم الجنوبي من البلاد العربية يرتبط رؤساؤه بمعاهدات حماية مع بريطانيا ، ويخضع شؤونه الخارجية لحكومة عدن ، ومن أجل ذلك دعيت هذه المقاطعات بالمحميات ، وإذا استثنينا حضرموت أمكننا القول بأن تاريخ هذه المقاطعات جزء من تاريخ اليمن الأكبر ، حتى استقلت في الزمن القريب تحت سلطة رؤسائها وارتبطت أخيراً بمعاهدات الحماية مع بريطانيا .

وأول من عقد مع الانكليز معاهدة صداقة وولاء تطورت بعد ذلك الى حماية ، هم عشيرة العزيبى التي هي اليوم من عشائر لحج ، ثم عقد الانكليز في سنة ١٨٣٩ م. مثل هذه المعاهدة مع اليوافع من المنطقة السفلى من بلادهم ومع الحواشب وغيرهم ، ومما هو جدير بالذكر أن يافع لم تعقد معاهدة الحماية إلا بعد خمس وستين سنة من معاهدة الولاء والصداقة ، اما حضرموت فقد عقـدت معاهدة الحماية سنة ١٨٨٨ م. وأمضيت في الشحر من قبل السلطان عوض بن عمر

العقيطي وأخيه عبد الله بحضور المستر هنتر معاون والي عدن ، ثم أمضاها حاكم عدن جنرال هوج .

لحج :

تقع مقاطعة لحج في الشمال الغربي للشيخ عثمان ، والمسافة بينها وبين عدن لا تزيد عن ٢٤ ميلاً ، ويبلغ طول المقاطعة نحو خمسة وثلاثين ميلاً ، وعرضها نحو ثمانية أميال ، ويحدها غرباً مقاطعة الصبيحي وشرقاً مقاطعة الفضلي وعاصمتها تدعى الحوطة .

وتقع حول الحوطة الحقول والبساتين ولا سيا في الناحية الشمالية حيث بساتين الحسيني وبالقرب من الحسيني يمر وادي تبن بعد أن يتفرع الى فرعين : الوادي الكبير وهو يسير بمحاذاة البساتين متجهاً نحو الجنوب ، والوادي الصغير وهو يتجه نحو الشرق ماراً بقرية الثعلب .

ومياه وادي تبن تنحدر من جبال اليمن الشاهقة في أواخر فصل الأمطار والمياه التي تنحدر من هذه الجبال تجري سيولاً عظيمة في أودية كثيرة ، ولكنها لا تلبث أن تتلاشى وتشربها الأرض فلا يبقى إلا الماء الذي يسيل من العيون كماء الغيل الذي يجري في وادي تبن ، والماء الذي يجري في وادي بنا من بلاد الفضلي .

وقد ظهر في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي أول سلطان من سلاطين لحج وكان قائداً من قواد الزيود طامعاً بالسيادة والمجد ، أقامه إمام صنعاء عاملا على اليمن الأسفل فتوسع بالإجازة الإمامية وأقام نفسه حاكماً مطلقاً مستقلا بل أقام نفسه سلطاناً[1] .

---

١ – ملوك العرب : للريحاني .

ثم خلفه في الحكم أمراء من عرب العبادلة ، الذين اشتهروا بالشجاعة والعدالة وبحبهم للزراعة التي هي حتى اليوم مصدر ثروة لحج الصغيرة وموضوع اهتمام سلاطينها .

ومنذ ذلك الحين أي حوالى سنة ١٧٣٥ م كان العبادلة أيضاً حكام عدن وسلاطينها إلى أن احتلها الإنكليز كما سبق سنة ١٨٣٩ م. حيث انحصر حكمهم في مقاطعة لحج وعقدوا مع الانكليز معاهدة الحماية .

ومن أشهر سلاطين لحج محسن بن فضل الذي احتل الإنكليز عدن في عهده وكان غيوراً على استقلاله تواقاً إلى السيادة الواسعة النطاق محسناً إلى العشائر ، محباً للعلم والعلماء .

ومن أشهرهم أيضاً السلطان أحمد بن محسن عـــدو الترك والذي دعا أمراء العرب إلى مؤتمر عام يعقد في إحدى عواصم الجزيرة للنظر في مصير الأمـــة العربية وتوحيد كلمتها وسياستها. والسلطان محسن بن فضل الذي كان الساعد الأيمن للسلطان علي بن محسن فضل فقد كان أديباً ذكي الفؤاد عصرياً في آرائه وأعماله محباً للاصلاح والعمران عالي الهمة بعيد النظر شديد البأس ثابت العزم والإرادة فباشر في أيامه القصيرة إصلاحات كثيرة في المالية والجندية والمعارف وتوفي في عدن عقب الحرب العالمية الأولى عن اثنين وثلاثين سنة .

وفي السنة الثانية من الحرب العالمية الأولى أي في صيف سنة ١٩١٥ م. كان للدولة العثمانية نحو خمسة عشر الف جندي في اليمن تحت قيادة علي سعيد باشا الجركسي فأراد هذا ان يهاجم عدن لغرض مشاغبة الانكليز هناك ولما كانت لحج في طريقه بعث إلى سلطانها علي بن محسن فضل يستأذنه بالمرور ويعده بالمحافظة عليه وعلى ملكه فأبى السلطان علي لأنه حليف الدولة البريطانية وتحت حمايتها واصطدم بالجيش التركي الزاحف، فانهزم ودخل الأتراك لحج ، وبينما كان هارباً مع أفراد أسرته تحت جنح الظلام متجهين إلى الشيخ عثمان إذا بنجدة من الجنود البريطانية ظنتهم من كشافة العدو فأطلقوا عليهم النار فقتلوا عدداً

منهم وأصيب السلطان علي برصاصة في رجله فنقل إلى عدن وتوفي من أثر الجرح هناك .

وبقي الأتراك في لحج إلى ان اعلنت الهدنة سنة ١٩١٨ م. حيث عادت لحج إلى سلاطينها العبادلة وكان السلطان عبد الكريم فضـــل هو خلف السلطان علي بن محسن وبعد وفاته خلفه ابنه الأمير فضل الذي فر إلى اليمن أثر حادثة داخلية واختير أخوه علي بن عبد الكريم سلطاناً للبلاد بعده سنة ١٩٥٢ م .

الصبيحـــة :

بطن من حمير يعيشون في الصحراء وعلى سفوح الجبال والتلال الواقعة بين إمارة العبادلة ومقاطعة باب المندب غربي عدن وتمتد على الساحل من رأس عمران حتى باب المندب .

وهم عشائر متعددة يحمل بعضهم السلاح ويبلغ عدد السكان حوالي عشرين ألف نسمة وقد ضمت هذه المقاطعة أخيراً إلى لحج وأصبحت خاضعة لسلطانها .

وفي بلاد الصبيحة عدة قرى أهمها طور الباحة والرجاع ودار القديمي ويهتم الأهالي بالزراعة التي يعتمدون فيهـــا على مياه الأمطار والغيول ولديهم نخيل كثير كما يهتمون بتربية الجمال التي تساعدهم على السفر ونقل البضائع والأمتعة .

الضالـــع :

تقع على بعد ٩٦ ميلاً شمال عدن وهي قرية تقع على هضبة خصبة وبقربهـــا يقع جبل جحاف الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ثمانية آلاف قدم .

والضالع عاصمة الأميريين وكانت تمر ببلادهم طريق القوافل القديمة التي تسير من عدن إلى صنعاء وهم يشتغلون بزراعة الذرة والقات وقليل من الفواكه .

الحـــواشب :

تقع مقاطعتهم شمال مقاطعة لحـــج وعاصمتها المسيمير الواقعة على هضبة صغيرة تشرف على الجانب الأيسر لوادي تبن على بعد اثني عشر ميلاً من حدود اليمن ، وتجري في هذه البلدة مياه الوادي الكبير وتزرع الأراضي على جانبي هذا الوادي بأنواع الذرة .

ولا يزيد عدد الحواشب عن عشرة آلاف نسمة ويحكمهم أحد رؤسائهم ، وهم يخضعون له خضوعاً تاماً .

العقـــارب :

تمتد مقاطعة العقربي من بئر أحمد الى رأس عمران على بعد نحو خمسة أميال غرب الشيخ عثمان ، والعقارب فخذ من العبادلة أعلنوا استقلالهم في العقد السابع من القرن الثامن عشر الميلادي ، أي حين أعلنت الولايات المتحدة الامريكية استقلالها ...

ومقاطعة العقربي ذات القبيلة الواحدة والبلدة الواحدة (بئر أحمد) أقدم السلطنات المستقلة وأصغرها ، وهي الآن تحت حكم العبادلة في لحج .

بلاد الفضلي :

يمتد ساحلها من شرق مقاطعة العبادلة الى مسافة مائة ميل تنتهي الى جهة الحدود الغربية لمقاطعة العولقي ، وهي تنقسم الى مقاطعتين كبيرتين ، أراضي أبين المنخفضة الساحلية والأراضي المرتفعة التي تقع في الشمال .

وشقرة هي عاصمة المقاطعة ومقر سلاطين آل الفضلي وتقع على الساحل ، وأهم قرية في أراضي أبين هي زنجبار وتحيط بها مزارع واسعة يهتم أصحابهـــا بزراعة الذرة والسمسم والبطيخ والشمام والخضروات على اختلاف أنواعهـــا وجميع فواكههم وخضرواتهم تقريباً تباع في عدن .

وقد نجحت زراعة القطن في المزارع القريبة من زنجبار وفي منطقة يقال لها جعار ، تقع على الحدود بين بلاد الفضلي وبلاد يافع ، نجاحاً هائلاً وأصبح يصدر بمقادير كبيرة الى الخارج .

ويمر بأراضي أبين وادي بنا الذي يأتي من الجبال الواقعة في الشمال ، فإذا نزلت الأمطار سال الوادي ماءً غزيراً ويروي أراضي أبين الخصبة .

وإلى الشمال من شقرة توجد جبال سوداء كالفحم على سفوحها بعض المباني العتيقة والآثار التي يقال إنها حميرية ، ويقول الأهالي ان بعض هذه الجبال رآها أجدادهم تحترق في الزمان القديم .

ويقال بأن في بلاد الفضلي من عشرين الى ثلاثين ألف يحملون السلاح .

يافـــع :

تقع بلاد يافع في الشمال الشرقي لعدن بين الضالع الواقع في الغرب وبلاد العواذل في الشرق وبلاد الفضلي في الجنوب وتنقسم الى ولايتين يقال لإحداهما يافع العليا وللأخرى يافع السفلى .

وتشمل يافع العليا قبائل الموسطة والظبي والمفلحي وعشائرهم وهم أقرب الى الحضر منهم الى البداوة ويدينون بالطاعة لآل الشيخ علي .

ويمتاز سطح يافع العليا بسعة الأراضي الزراعية وقلة الجبال ، وأهم حاصلاتها الحبوب والورس وبعض الفواكه والتوابل والسمن والزيت ، ولهم خبرة بالزراعة وتربية المواشي والدواجن ، ويعتمدون في ري الأراضي على الأمطار .

أما يافع السفلى فبها قبائل آل سعد وآل كلد والناخبي واليزيدي وغيرهم وتحيط بيافع السفلى جبال شاهقة جرداء تخترقها أودية عميقـــة والتربة هناك خصبة ومعظمها خضراء بأشجار البن ، وهو ثروة الأهالي وتصدر منه كميات كبيرة الى عدن وحضرموت ولحج وظفار وشرق افريقيا ، وتزرع في هـــذه المقاطعة بعض الحبوب والفواكه .

ويقيم سلطان يافع السفلى في مدينة القارة وتقع في ساحة من الأرض منبسطة أما مقر سلطان يافع العليا ، فالمحجبة وتقع في منطقة الموسطة ، ويقال بأن في بلاد اليوافع ما لا يقل عن سبعين ألف مقاتل ، ويقدر عدد السكان بمائة وأربعين ألفاً .

والنساء في بلاد يافع سافرات الوجه مع حياء وعفاف ، وهن يشاركن الرجال في فلاحة الأرض وزراعتها وتربية المواشي وقد يشاركنهم في الحرب ، والجهل ضارب أطنابه في طول البلاد وعرضها فلا أثر هناك للثقافة .

العـــواذل :

أما بلاد العواذل فتقع بين الفضلي في الجنوب والعولقي في الشرق ويافع في الغرب ومن بلدانها مكيراس التي تقـــع على جبل شاهق يعرف بالظاهر وقرية لودر التي تبعد حوالي خمسة أميال عن سفح الجبل الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ثمانية آلاف قدم عن سطح البحر وقرية عريب التي يقيم فيها سلطان العواذل أثناء فصل الصيف أما الشتاء فإنه يقضيه في قصره بقرية ذادا التي تبعد حوالي ميل واحد من لودر .

ويشتغل الأهـــالي بزراعة الفواكه والقمح والبطاطس والطماطم والبصل ويعتمدون في زراعتهم على ماء الآبار والعيون وعلى الماء الذي يجري في وادي العجمة من بعض العيون .

والعواذل متمسكون بعوايد عرب الجنوب وتقاليدهم من ضيافة وشجاعة وهم كسائر عرب المقاطعات الجنوبية من البـــدو يلبسون الإذار القصير ويتمنطقون بالخناجر المعقوفة الإغماد ويعصبون رؤوسهم بعمائم مصبوغة بالنيل ، ويدهنون أجسامهم بالنيل اعتقاداً منهم بأن ذلك يقيهم البرد ، وتلبس النساء أثواباً فضفاضة يتمنطق فوقها بأحزمة من الجلد ويطلين أجسامهن ووجوهن بمساحيق صفراء وحمراء .

وبالقرب من مكيراس تقع قرية العادية التي يوجد فيها بعض آثار الحميريين ومن بينها أحجار عليها نقوش بالخط الحميري وتقـــع بلدة البيضاء بالقرب من جبل الظاهر وهي داخلة في حدود اليمن .

العوالـــق :

تقع بلاد العوالق شرق بلاد الفضلي والعواذل ويحدهـــا من الجنوب بحر العرب ومن الشمال منطقة بيجان ومن الشرق بلاد الواحدي وحضرموت ، وتنقسم إلى قسمين : العوالق العليـــا والعوالق السفلى وهذه الأخيرة أقرب إلى الساحل وهي مزدحمة بالسكان، وبها واديا أحور وأخضر ومدينة أحور التي تبعد عن البحر بضعة أميال هي مقر السلطان وهي واقعة في منطقة قاحلة ولكنها مركز تجاري حيث تمر بها القوافل الذاهبة الى عدن والواردة منها إلى المناطق الشمالية والشرقية ولأحور مرسى صغير تقصدها المراكب الشراعية .

ومن القرى الهامة (المحفد) وهي السوق الرئيسي لقبائل آل باكازم ، ومن أهم أودية العوالق السفلى وادي المحفد ووادي المنقعة ووادي ضيقة التي ينحدر سيله المتجمع من شعابه ويتجه إلى منطقة أحور ويصب في البحر ويعتبر وادي ضيقة أطول الأودية فان القوافل تقطعه في ثلاثة أيام .

أما العوالق العليا فكلها جبال وتلال وهضاب ويقيم السلطان في مدينة نصاب وتكثر في منطقتها الأراضي الزراعية وفيها بعض السهول الفسيحة ومن أهم القرى في العوالق العليا المصيفة ويشبم الصعيد .

وأهم الأودية في العوالق العليا وادي ضرا وعبدان ووادي يشبم ، ويمر وادي يشبم هذا بمدينة حبان التابعة لمنطقة الواحدي .

وفي جنوب بلاد العوالق على ساحل البحر تقـع مشيختا عرفة وحورة وهما مشيختان مستقلتان .

الواحـدي :

على بعد مائتي ميل شرق عدن تقـع بلاد الواحدي وغرب حضرموت مباشرة وعاصمتها حبان وهي مركز تجاري ويقيم السلطان الآن في بلدة عزان التي تبعد عن الساحل بنحو أربع مراحل .

وبئر علي أقرب مواني بلاد الواحدي الى حضرموت ، وتقع الجدحة شرق بئر علي ، أما بلحاف فغربيها .

ومن البلدان المهمة الحوطة وهي مركز تجاري مهم ، وبلدة لهية والروضة وجول الشيخ ورضوم ويبعث وجردان ، وأهم القبائل في بلاد الواحدي آل السود وآل باعوضه وآل العضم وآل باخرخور وآل سليمان وآل حبتور وآل عمر بن علي وآل باديان .

وأجود الأراضي تربة مينعة وحبان وتسقى بمياه الأمطار وتوجد عيون في أودية حبان وجردان ورضوم والجوري وعين بامعبد .

وأهم حاصلات البـلاد ، التمر والحبوب والعسل ، وتوجد صناعة النسيج بكثرة في الروضة والحوطة ولهية ، ويوجد في حبان نحو خمسمائة من اليهود .

بيحـان :

بيحان هي آخر المقاطعات الجنوبية التي ضمت الى المحميات ، وقد استطاع الانجليز ضم هذه المقاطعة بواسطة إسلام أحد ضباطهم السياسيين ومصاهرته لحاكم بيحان الذي ينتمي الى الأشراف الحسينيين .

وتقع مقاطعة بيحان شمال بلاد العوالق وغرب حضرموت وشرق اليمن بحدودها الحاضرة وعاصمتها بيحان .

وقد قامت في بيحان والمواضع القريبة منها حضارة قامت على عبادة القمر تعرف في التاريخ القديم بالقتبان ، وكانت عاصمتها تدعى (تمنا) ثم انقرضت

قبل ألفي سنة تقريباً بعد كارثة لا بد وأن تكون قد هزت العالم العربي من أساسه .

تلك الكارثة هي خراب تمنا عاصمة القتبان القديمة ، فمنذ ذلك الحين أسدل الصمت ستاراً كثيفاً من نسيان على تاريخ الوادي حتى ان سكانه المعاصرين ليست لديهم أية فكرة عن أسلافهم المدهشين الذي عملوا على إشادة طريق البهارات في أيام التوراة وعلى تحويل هـــذه الأراضي القاحلة الى أراضي غنية مزدهرة .

وقد عاشت ملكة سبأ على مقربة من هذا المكان يوماً ما ، فلا بد وأنها مرت بهذه الرمال الموجودة الآن ، مراراً عندما كانت حقولاً نضرة غنية بالماء .

وفي الشمال الشرقي من بيحان تمتد الرمال المتكاثفة التي تدعى رملة الصباطين وهي عبارة عن بحر مثلث مترامي الأطراف من الرمال الصريحة والتي ترعرعت على سواحلها الصخرية يوماً ما ثـــلاث من ممالك جنوب الجزيرة العربيـــة الأربع معين في الشمال وحضرموت في الشرق وسبأ وقتبان في الجنوب ، وقـــد قامت مدينة مأرب عاصمة سبأ في الزاوية الشمالية الغربية من هذه الآراض التي ليس لأحد سلطان عليها، كما قامت تمنا عاصمة القتبان في الزاوية الجنوبية الغربية منها ، وكلتا المدينتين الآن تحت الرمال .

وقد وصلت الى بيحان في فبراير ١٩٥١ م. بعثة أمريكية مؤلفة من خمسة عشر شخصاً تحت رئاسة المستر وندل فلبس ، مارة بحضرموت ، وكانت البعثة مزودة بالسيارات والمحركات الكهربائية والسلاح وكل ما يلزم لعمليـــة الحفر وإزالة الرمال عن آثار حضارة القتبان .

ويقول وندل فلبس إن الفضل في إرسال هـــذه البعثة يعود الى المؤسسة الأمريكية لدراسة الانسان .

بلاد المهرة :

وبلاد المهرة آخر مقاطعات الجنوب العربي على الساحل الشرقي ، ويحدها غرباً حضرموت وشرقاً سلطنة عمان وجنوباً بحر العرب ، وشمالها منطقة المناهيل التابعة لحضرموت .

وقد أصبحت بلاد المهرة تحت الحماية البريطانية حسب المعاهدة مع سلطانها ابن عفرار سنة ١٨٧٦ م. وعاصمتها قشن الواقعة على الساحل ، ومن أهم مدنها : سيحوت والغيضة وهما على الساحل أيضاً .

ويقيم السلطان في جزيرة سقطرة الواقعة في البحر العربي محاذية لبلاد المهرة وينوب عنه في قشن أحد أقاربه، وينتسب السلطان الى عشيرة بني زياد المهرية، وللمهرة لغة خاصة يتفاهمون بها غير اللغة العربية .

ويعيش نصفهم على تربية الماشية ونصفهم على صيد الأسماك واستخراج الدهن منها لطلاء السفن الشراعية، وهم محرومون حرماناً تاماً من أي مظهر من مظاهر التعليم أو التجارة أو الزراعة ، وفي شبه عزلة عن العالم ، إلا ما يتاح لهم من اتصال بسيط بالمكلا وعدن في سفنهم الصغيرة .

٢٧ـ حضرموت

موقعها – حدودها – مساحتها – أقسامها – سكانها – أراضيها الزراعية – تاريخها القديم – عاد – الحكم الوطني قبل الإسلام – امتداد الحكم اليمني إلى حضرموت – حكومة كندة – الإسلام في حضرموت – حكم الخلفاء الراشدين – بنو أمية والعباس – الاباضية – فوضى واضطراب – السلطنة الكثيرية – السلطنة القعيطية .

موقعها – حدودها :

تقع حضرموت على ساحل البحر العربي شرقي عدن واليمن والمقاطعات الجنوبية ، على بعد خمس عشرة درجة عرضا شمال خط الاستواء ، وخمسين درجة طولا شرقي جرينتش .

ويحدها من الشرق سيحوت وبلاد المهرة ، ومن الغرب خط يبتدىء شرق بئر علي ويمتد في انحراف نحو الغرب إلى غرب وادي عرمة فشبوة فالعبر ، ويحدها من الشمال الربع الخالي ومن الجنوب بحر العرب .

مساحتهـــا :

يقدر البعض مساحة حضرموت بمائة وعشرين الف ميل مربع[١] وتقدر مساحة الساحل بأربعة آلاف وخمسمائة كيلومتر غربا وعشرين كيلو متر عند الحدود الشرقية وأعلى نقطة فيه تقـــع في سطه ، ويبلغ ارتفاعها نحو ٢١٨٧ متراً .

---

١ – تقدم أن مساحة المقاطعات الجنوبية جميعها ١١٢ ألف ميل مربع .

اقسامهـا :

تحكم حضرموت الآن سلطنتان هما السلطنة القعيطية والكثيرية وينقسم الجزء الخاضع للقعيطي إلى خمس مقاطعات كبيرة أو خمسة ألوية إدارية تمثل الجزء الأكبر من البلاد .

١ - لواء المكلا ؛ العاصمة : ويمتد على الساحل من المعينة شرقاً إلى حدود حجر ويشمل مقاطعات غيل باوزير وشحير وروكب والحرشيات وقوة وبروم وتقع في هذا اللواء قبائل العوابثة والمكابرة والمحمديين وآل الحيق والشعاملة والعصارنة والحامديين وآل بهيش .

٢ - لواء الشحر : ويمتد على الساحل من نهاية حدود جبال دمخ حساي شرقاً إلى وادي المعينة غرباً وتنضم تحت هذا اللواء مقاطعات المعيان وتبالة والحامي والديس وقصيصر وريدة آل عبد الودود .

وتسكن في هذا اللواء قبائل ثعين والحموم والقرزي والشعاملة والمسيليين والعصارنة وآل باحباب والمعارة والجوهيين .

٣ - لواء حجر : ويحتوي على وادي حجر بمدنه وقراه من مينفع إلى رأس الكلب ومن المناطق التابعة له مينفع والصدارة وكنينة ومحمدة ويسكنه من القبائل نوح وحجر بن دغار وبلبحيت وباقطمي والسمحي .

وهذه الألوية الثلاثة في الساحل أما في الداخل فيقع :

٤ - لواء دوعن ويحتوي على وادي دوعن الأيمن والأيسر ومنطقة المشهد والهجرين ووادي عمد ووادي العين وجميع المدن والقرى الواقعة بها .

وفي هذا اللواء قبائل العمودي وسيبان ونوح دوعن والخنابشة والحالكة وآل محفوظ وآل لسود والدين والمشاجرة والأبارقة والقثم والحامدي ويافع والجعدة وآل ماضي وآل باتيس وآل باصليب والعوابثة .

٥ - لواء شبام : وتنضم تحته المدن والقرى الواقعة من وادي دوعن تحت المشهد ووادي حضرموت إلى شبام شرقاً وإلى حصن العبر غرباً كما يضاف إلى هذا اللواء أيضاً مناطق آل تميم والمناهيل في شرق الوادي بما فيها دمون وعينات وقسم والقرى القريبة منها .

وفي هذا اللواء قبائل العيعر ونهد والكرب وآل مخاشن في الغرب وقبائل وادي دهر ورخية وعرمة وآل حريز ويافع وقبائل آل تميم والمناهيل في الشرق .

وقد دخل تعديل أخيراً على تقسيم الولاية ، فأفرد وادي عرمة والمناطق المحيطة به والقريبة منه الى حدود حضرموت الداخلية الغربية بلواء خاص ، وبذلك كانت الألوية ستة .

أما السلطنة الكثيرية فتقع أراضيها في داخل حضرموت ما بين تريم شرقاً إلى الحزم شرقي شبام غرباً ، وتمتد حدود المنطقة الكثيرية من تريم شمالاً الى حصن الضبيعة ووادي زبون في الجنوب في شبه خط متعرج ، ثم يمتد الخط من وادي زبون الى جهة الغرب حتى يحاذي وادي الحرية المتاخم للحزم فتتجه الحدود في خط مستقيم إلى جهة الشمال حيث يمر بالحزم شرقي شبام ووادي جعيمة .

وتقع في هذه المنطقة سيئون عاصمة السلطنة الكثيرية وتريم وتاربة وبور ومريمة وتربس والغربة والحوطة وجفل والحزم ومدودة والفرق ، وهذه المدن والقرى في وادي حضرموت الرئيسي وفي الجنوب من هذا الوادي تقع بلدان غيل عمر وساه وغيل بن يمين .

وأهم القبائل في السلطنة الكثيرية هم آل كثير والشنافر أي القبائل التابعة لهم مثل آل جابر وآل باجري والعوامر وغيرهم .

سكانها :

لا يوجد إحصاء رسمي لعدد السكان في البلاد الحضرمية ، ولكن يقدرهم بعض المطلعين بثلاثمائة وخمسين ألفاً ويرفعهم البعض إلى نصف مليون ، وكلهم من الأصل العربي الصريح ، وفيهم عدد كبير من حمير وكندة ، كما توجد أسر كبيرة عدنانية وقحطانية هاجرت الى حضرموت من اليمن والعراق وغيرهما من البلدان العربية .

ويتمذهب الحضارم في الأصول بمذهب السنة على طريقة الإمام الأشعري وفي الفروع بمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ولا توجد بينهم طوائف أصلاً مخالفة لدين الإسلام وعقيدة السنة ومذهب الشافعية ما خلا أفراد من الهنود البراهمة ، البانيات يشتغلون في المكلا بالتجارة .

أراضيها الزراعية :

يتكون معظم القسم الداخلي لحضرموت من أودية فسيحة ، أهمها وادي حضرموت الرئيسي الذي تمتد على حافتيه ، أهم المدن والقرى في البلاد الداخلية مثل تريم وسيئون وعينات وقسم والغرفة وشبام والقطن وغيرها ، وتأخذ المزارع مساحات واسعة من هذا الوادي العظيم وكل أراضيه جيدة صالحة للزراعة ، غير أن أجودها القسم الواقع بين الفرط غرباً وشبام شرقاً حيث تجتمع سيول الأودية العليا وتنحدر إليه وتكسبه طمياً كثيراً .

وفي هذا الوادي الفسيح يزرع القمح في الشتاء والذرة في الصيف وتسقى بماء الآبار والآلات الرافعة للماء ، ويوجد النخيل بكثرة في هذا الوادي حتى أن سكانه الذين يعتمد بعضهم على التمر كغذاء رئيسي أحياناً يستغنون بتمر نخيلهم عن التمر الوارد من البصرة إلى الساحل الحضرمي ، وكذلك الحال في وادي دوعن وغيره من أودية الداخل .

ومن الأودية المهمة التي توجد فيها أراضي جيدة صالحة للزراعة أودية سر وهينن ، وعمد ، ورخية ، ودهر ، وعرمة ، ووادي بن علي ووادي العين

ووادي دوعن الأيمن والأيسر ، إلا أن هذه الأودية تعتمد في ري أراضيها على مياه الأمطار فقط لعمق مياه الآبار في مناطقها التي يبلغ في بعضها ثلاثمائة قدم وأكثر ، وكل هذه الأودية في الداخل .

أما في الساحل فتنتشر التربة الزراعية على طول الساحل من ريدة آل عبد الودود في الشرق إلى وادي حجر في الغرب ، وكل هذه الأراضي تسقى بمياه العيون التي توجد بكثرة في مناطق الساحل ، وبالأخص في منطقة غيل باوزير التي بلغت العيون فيها إلى أكثر من خمس وعشرين عيناً .

وفي وادي حجر بالقرب من حدود حضرموت الجنوبية الغربية يقع نهر حجر العظيم الذي يصب بالقرب من رأس الكلب ويمر بإقليم منيفع الخصيب ولو أحسن استعمال مياه هذا النهر لغيرت الوضع الاقتصادي في حضرموت ودفعت به إلى الأمام مراحل شاسعة .

وأهم ما يزرع في الساحل : الحبوب على اختـــلاف أنواعها والخضروات والفواكه ، وتحتل النخيل ساحات واسعة من هذه الأراضي ، كما يزرع التمباك في بعض المناطق ، وبالأخص في غيل باوزير حيث تنتج التمباك المشهور في العالم بجودته .



التاريخ الحضرمي القديم

عـــاد

يبتدىء المعروف من تاريخ حضرموت القـــديم بعاد ، « ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد » وكانت منازلهم بالاحقاف كما ينص القرآن الكريم .

ومن العسير جداً تحديد الزمن الذي قامت فيه حكومة عاد وتحقيق الاحداث التي حصلت في عهدهم . كما أنه لم تقم حتى الآن أدلة تاريخية قاطعة تبين المناطق التي كان يسكنهـا هؤلاء القوم من حضر موت بالضبط وربما حدثتنا عن ذلك الآثار التي سيتاح لنا الكشف عنها في يوم من الأيام .

وقد سبق عند ذكر الأمم البائدة ما أشار إليه القرآن الكريم من قوة عاد وشدة بطشهم وأن الله عز شأنه جعلهم خلفاء من بعد نوح وزادهم في الخلق بسطة فكفروا نعمة الله وعبدوا الأصنام وقالوا لنبيهم هود عليـــه السلام اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبـــد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

ويقول المؤرخون انه بينما كان وفد من عـاد يستقي عند البيت الحرام في مكة بسبب القحط الذي استمر في بلادهم ثلاث سنوات متوالية كان العذاب قد أهلك الكفرة العتاة من قومهم ، فقد أرسل الله تعالى عليهم ريحاً فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية .

وعاد الوفد من مكة بعد هلاك قومهم حيث لم ينج من العذاب سوى هود عليه السلام ومن آمن به واستمر الملك في أعقاب هؤلاء مدة طويلة ويسميهم المؤرخون عاد الثانية حتى نشبت حروب بينهم وبين قبيلة ثمود المجاورة لهم ولا يذكر التاريخ أكثر من أن ثمود ظفرت بعاد وقتلت عدداً كبيراً منهم وشتتت بقيتهم فتفرقوا في الأرض ولم يعرف لهم خبر ، ولذلك أدرجهم التاريخ بين الأمم البائدة ، وكانت ثمود تقيم في موضع يقع بين عسير واليمن وحضرموت ثم انتقلت لأسباب لا نعلمها بعد ظفرها بعاد إلى وادي القرى في شمال الحجاز .

الحكم الوطني قبل الاسلام

والمعلومات الموجودة حتى الآن عن الحكومات الحضرمية الوطنية التي قامت على أكتاف ملوك من الحضارم أنفسهم بعد تفرق عاد،قليلة جداً لا تشفي غليلا ولا تساعد على إزالة الغموض الذي حف بالتاريخ الجاهلي لهذا الجزء المهم من جنوب بلاد العرب .

وكل ما علم من هذا التاريخ أنه قد قامت في حضرموت قبل الميلاد المسيحي مملكة حضرمية ذات شأن بجانب الممالك الجنوبية التي قامت غرب حضرموت وشمالها الغربي وهي :

مين ، وقتبان ، وسبأ ، وحمير .

والذي لا يختلف فيه المؤرخون أن سكان حضرموت القدامى الذين كونوا هذه المملكة هم من العرب العاربة سلالة قحطان أحد الفرعين العربيين العظيمين ولكننا لا نعلم بالضبط متى قامت هذه المملكة وكيف كانت حضرموت عقب تفرق عاد وكم دامت الفترة الزمنية بين آخر ملوك عاد وبين قيام المملكة القحطانية الحضرمية .

ويذكر بعض المؤرخين ان عامر بن قحطان أول من نزل الاحقاف اي بعد عاد فكان إذا حضر حرباً أكثر من القتل فصاروا يقولون عند حضوره

حضرموت ، ثم صار ذلك لقباً عليه وصاروا يقولون للأرض التي بهـا قبيلة أرض حضرموت ، ثم أطلق على البلاد جميعها ، وهناك أقوال أخرى في سبب تسمية هذا الجزء من بلاد العرب بحضرموت وكلها مما لا يطمئن إليه طالب الحقيقة .

وقد كانت حضرموت في هذا العهد عبارة عن مجموعة محافـد أو إمارات صغيرة يتولى شؤونها أمير أو قيْل كما يسمونه . ومن أشهر هذه المحافد أو الإمارات دمون وشبام وهينن وعندل والشحر ويعرف أصحاب المحافـد بالاذواء جمع ذو أي صاحب ، وكان بين هؤلاء الأمراء من التنازع على السلطة ما هو طبيعي في تاريخ الأمم فيحدث أن يؤدي التنازع إلى الاصطدام والحرب فيتغلب القوي على الضعيف ويستولي على أملاكه ومواضع نفوذه فإذا امتدت سلطته واتسع نفوذه كون مملكة وسمى نفسه ملكاً .

ونقل بعض المؤرخين – والعهدة عليه – أن نظام الحكم في حضرموت في هذا العهد يخالف نظام الحكم في اليمن ، فبينما الحكومة في اليمن وراثية تنتقل إلى الأبناء والإخوة كانت في حضرموت تنتقل إلى أول مولود في العائلة الملكية أثناء حكم الملك فعند الاحتفال بتوليته الملك يرفع إليه خاصته قائمة بأسماء الحوامل من العائلة الملكية فيعين الملك لكل منهن امرأة تقوم بمراقبتها وخدمتها حتى تضع ، فأول نبيلة تـلـد غلاماً يأمر الملك بمن يعتني بتربيته ويقوم بتهذيبه وإعداده للملك .

والملك عندهم مطلق التصرف يسجن ويسرح ويقتل متى شاء وقد يفدي المسجون نفسه بالمال ، وليس للسجون والعقوبات قوانين وأنظمة معلومة . ومن عادات الملك أنه يحلق لحيته وشاربه ويضفر شعره جدايل يرسلها خلفه وعلى كتفيه وحين ينزل من قصره يركب فرساً أو مركبة تجرها الخيول .

وكان الملوك ينقشون على النقود صورهم وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند « الحروف الحميرية » وأحياناً ينقشون صورة الثور أو الصقر أو البومة .

والشعب في عهدهم ينقسم إلى ثلاث طوائف :

١ - الزارع : وهؤلاء عليهم ملاحظة الأرض وزراعتها وحفر الترع وإقامة السدود لحفظ السيول وتوزيعها على المزارع والحقول والحدائق والبساتين .

٢ - حملة السلاح : وهؤلاء يحمون البلاد ويحفظون الأمن ويحرسون القوافل ومنهم تتكون حاشية الملك وأعوانه وحرسه .

٣ - التجار وأهل الحرف ومن يلحق بهم كالعمال .

وما قيل عن العلوم والمعارف عند العرب في فصل سابق يقال عن الحضارم وكانوا يكتبون بالحرف المسند « الحروف الحميرية » ولقلة الورق عندهم كانوا يكتبون في الجلود وفي ألواح الخشب وإذا كان ما يراد كتابته أمراً هاماً فإنهم يكتبونه على الصخور .

وللحضارم في هذا العهد مهارة مشهورة في النسيج وفي صناعة الحلي الدقيقة وزخرفة الآنية وصناعة الأثاث وتركيب الروائح الطيبة وتحضير البخور .

وإلى جانب اهتمامهم بالزراعة وإقامة السدود وغراسة الأراضي بأنواع الفاكهة وزراعتها بمختلف الحبوب كانوا تجاراً ذوي مهارة فائقة .

وكانت مدينة الشحر أهم ميناء وأكبر مركز تجاري في جنوب بلاد العرب تأتيها السفن من الهند وخليج العرب وسواحل أفريقيا الشرقية ومن مصر مشحونة بأصناف السلع وأنواع المتاجر وكان كثير من هذه السفن للحضارم يتولون قيادتها بأنفسهم ، وكانوا يأتون من الهند بالأحجار الكريمة والعاج والأطياب والتوابل وخشب الأبنوس والقطن والقصدير . ومن سواحل أفريقيا بالذهب والعاج والعطور وخشب الأبنوس أيضا وريش النعام ومن البحرين

باللؤلؤ وكانت مدينة شبام تبعث إلى الشحر بحاصلات الداخل من البخور واللبان والمر وغيرها .

وتصدر هذه التجارة العظيمة من حاصلات البلاد وغيرها من البضائع الواردة اليها من الخارج بواسطة القوافل التي تخترق حضرموت الى سواحل البحر الأحمر حيث تسير محاذية لهذا الساحل الى مدائن صالح فإلى بترا ومن بترا تسير إلى مصر أو إلى فلسطين وصور وغزة وغيرها من شواطىء البحر الأبيض المتوسط .

كما تصدر ايضاً بواسطة البحر أحياناً حين يأمن الحضارم على سفنهم وتجارتهم من الأنواء والقراصنة وحيث تكون تكاليف حمل البضائع بالبحر أخف مؤنة من نقلها بطريق البر نظراً لبعد المسافة ولأن الخفراء كانوا يأخذون أجوراً باهظة فضلاً عما تتعرض له القوافل من تعدي بعض القبائل العربية وحملها على دفع ضرائب وإتاوات .

وقد قال المستر وندل فلبس رئيس البعثة الأميريكية الأثرية التي مرت بحضرموت في فبراير سنة ١٩٥٠ م . في طريقها إلى بيحان للبحث عن تمنا عاصمة القتبان قال :

قامت اقتصاديات أربع من الممالك الهامة على ما كانت تدره قوافل البخور في جنوب الجزيرة العربية من الثراء زهاء ألفين من السنين فقد كانت القوافل تنساب في مهل من غابة البخور في حضرموت متجهة نحو الشمال على طول الجزيرة وهي تقدم في طريقها الأتاوة والحماية لعدد لا يحصى من القبائل ، ثم تعود محملة بالذهب والفضة من مصر واليونان وروما ، كما ذهبت محملة بالبخور والبهارات .

حتى لقد أقلق تدفق الأموال من الإمبراطورية الرومانية رجال الاقتصاد فيها فجأروا بالشكوى من أن العربية السعيدة هي السبب في ارتفاع أسعار الذهب وفي تدهور قيمة العملة المتداولة .

إن أغلب أشجار الطيب تنمو في الجنوب الشرقي من حضرموت والعصارات التي تساقط من جذوع المر واللبان على هيئة دموع متجمدة تجمع وتحمل على ظهور الإبل الى سواحل البحر الأبيض المتوسط على بعد عشرين ألف ميل تقريبا، وكانت طريق القوافل يتجه في العادة غربا عبر الأراضي الحضرمية ، ثم ينحرف نحو الشمال متاخما للساحل الشرقي من البحر الأحمر .

وقد دلت البحوث الأثرية الأخيرة في بيحان ومأرب أن ملوك حضرموت عاصروا ملوك سبأ وملوك قتبان كما دل الكشف على ذلك في الباب الجنوبي عند مدينة تمنا في هجر كحلان حيث قصر الشريف عوض بن أحمد محسن كما تدل هذه البحوث أن ملوك حضرموت حكموا قتبان نفسها .

ومن ملوك حضرموت في هذا العهد : صدقي عيل : الذي كان ملكا على حضرموت ومعين في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد وياد عيل بين الذي عمر مدينة شبوة التاريخية ويا دياب غيلان الذي ينوي الأستاذ جمه الإفرنسي نشر تاريخه مستنداً الى كشفه الأثري في تمنا وقد تثبت البحوث أن ياادياب غيلان هو الذي تحالف مع الهان نهنان ملك سبأ عام خمسين قبل الميلاد واحترقت مدينة تمنا بالمؤامرة بين ملوك سبأ وحضرموت وقد ذكر ابن خلدون أنه كان في حضرموت ملوك يقاربون ملوك التبابعة في علو الصيت ونهاية الذكر ، ثم ذكر عددا منهم ونماذج من أعمالهم .

امتداد الحكم اليمني الى حضرموت

وإذا رجعنا الى ما أسلفنا من قول في تاريخ الممالك اليمنية التي عاشت قبل الإسلام وهي معين ، وسبأ ، وحمير . نجد أن ملوكا ذوي مطامع ومطامح وقوة من هذه الدول الثلاث لج بهم طمعهم في السيطرة، الى أن يوسعوا منطقة نفوذهم ويمدوا سلطانهم على أكبر رقعة ممكنة من جزيرة العرب .

وهكذا نرى أن بعض الملوك المعينين والسبئيين والحميريين قد ضموا حضرموت الى مملكتهم فيما ضموه إليها من بلاد العرب وذلك في فترات متقطعة

من التاريخ لم يقو فيهـا أولو الشأن بحضرموت على صد مطامح الاقوياء من جيرانهم الأقربين، والمصادر التي قدر لنا الاطلاع عليها لا توضح كيف كان الصراع في هذا الاستيلاء وكيف كانت تتخلص حضرموت من قبضة هذا الاحتلال الذي كانت هدفا له مرات متعددة .

وطبيعي أن يكون ضعف السلطة المركزية في عواصم الدول الثلاث الكبرى الحاكمة في اليمن من أقوى الأسباب لتطلع حضرموت الى استقلالها وخلع طاعة الملوك اليمنيين ، أضف الى ذلك نزوع السلطات الحاكمة في حضرموت إلى الحرية وتفكيرها المستمر في استرداد نفوذها كلما وجدت الى ذلك سبيلا .

وقد مر بك آنفا أن معين وقتبان قد حكمها ملوك من الحضارم فلتستنتج من هذا أن الصراع كان على أشده بين ممالك الجنوب وكيف كانت تتوسع كل مملكة على حساب الأخرى .

ورغم الاضطراب والتناقض في المعلومات التاريخية التي وصلت إلينا عن هذا العهد فإنه يمكن القول بأن الحكم اليمني لحضرموت في هذا العهد دام زمناً طويلاً حتى إنه يصعب على المؤرخ بما لديه من هذه المعلومات المضطربة أن يفرق بين آثار الحكم الحضرمي والاحتلال اليمني والأحداث التي تمت في العهدين .

وقد نقل بعض المؤرخين أن مدينة تريم كان تأسيسها في عهد الحكم السبئي لحضرموت وأنها سميت باسم تريم أحد أولاد سبأ الأصغر أو باسم القبيلة التي تفرعت من تريم هذا .

حكومة كندة

هم من ولد عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان القحطاني ، وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب أنهم قدموا إلى حضرموت من

البحرين والمشقر على الخليج العربي أثر حادثة وقعت هناك فأقاموا بحضرموت أثناء الحكم الحميري في منطقة تعرف باسمهم وقصبته دمون .

وكان الكنديون على وفاق مع الحميريين حكام البلاد . وكان الحميريون يستخدمون خاصتهم وكبارهم في بعض مصالحهم ويدخلونهم في بطانتهم وحاشيتهم ، كما كان ملوك حمير يصاهرونهم ويولون أصحاب الكفاءات منهم بعض الأعمال الحكومية .

ويرى بعض المؤرخين أنه كانت بحضرموت قبائل من كندة قبل جلاء إخوانهم هؤلاء من البحرين إلى حضرموت على أنه لا يعرف بالضبط الزمن الذي استأثرت فيه كندة بالسلطة في البلاد الحضرمية ، وكل ما علم حتى الآن أن كندة كانت تطمع في فرض سيادتها على حضرموت ، وهذا ما حصل فعلاً عند ما سنحت لها الفرصة بضعف الدولة الحميرية وانحلالها . فقد أقامت حكمها على أنقاض هذه الدولة . حتى جاء الإسلام وأكبر الدولة في أيديهم . وقد تحدث التاريخ عن إمارات كندية بعد الإسلام كان لها وجود سياسي معروف ، مثل : إمارة آل بادجانة في الشحر ودولة آل محفوظ في الهجرين وآل بانجار في بور وغيرهم .

وقد كان بين كندة وحضرموت حروب في الجاهلية أفنت كثيراً منهم ، وكانت كندة قد اجتمعت على سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب ، وكان على بني الحارث بن معاوية وعلى شرحبيل بن الحارث ، وكان على السكون . واجتمعت حضرموت على عدة رؤساء منهم شرحبيل بن مرة وسلامة بن حجر وطالت الحرب حتى هلك أولئك الرؤساء وفني الرجال وكثر القتال في كندة وملكت حضرموت علقمة بن ثعلب ، وهو يومئذ غلام ، فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضرموت ، وانتقلت الى أرض معد فجاورتهم .

وقد سرى الاضطراب والاختلاف الذي مني به التاريخ الحضرمي في عهد الجاهلية الى تاريخ كندة ، فلا يستطيع الباحث عن الحقيقة أن يطمئن اليها من

بين تلك الروايات المضطربة المختلفة . والأمر الذي لا خلاف فيه هو : أن كندة قد مكنت لسلطانها في أهم المناطق بحضرموت على أنقاض الحكم الحميري. وكان لهم من قوة شخصياتهم ووفرة ذكائهم وبلاغة خطبائهم وشعرائهم وشجاعتهم وفروسيتهم ما مهد لهم السبيل إلى بلوغ مآربهم وتنفيذ مطامحهم .

وكان لملوك كندة ثروة واسعة ومزارع كبيرة تدر لهم غلات وافرة . وكانوا يراسلون ملوك الروم واليمن ويغمرونهم بالهدايا النفيسة التي كان أحسنها الخيل العربية التي توجد بكثرة في حضرموت الشرقية حيث الحشائش والأعشاب .

ولما جاء الإسلام كان في بني عمرو بن معاوية وحدهم أربعة رؤساء أو أمراء كلهم أخوة أبناء أب واحد وهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة . وكانت لهم أخت تدعى العمرة . وكان لكل واحد منهم واد يملكه ومحجر خاص يقيم فيه. وكان الأشعث بن قيس أمير بني الحارث بن معاوية . وكان لغير هؤلاء أمراء آخرون يقيمون في شبام ودوعن وعمد وجردان والشحر وغيرها من مناطق الساحل والداخل .

ومن قبائل كندة المشهورة تجيب والصدف والسكاسك والسكون والعباد وبنو بدا وبنو معاوية ومن منازلهم المشهورة قبل الإسلام وبعده دمون وهي إحدى مدينتي الهجرين وليست هي دمون التي تقع بجانب تريم فان هذه بناها محمد بن أحمد الصبرات سنة ٨٩٣م .

ومن منازلهم النجير وهو حصن بموضع يبعد عن تريم شرقاً بنحو أربعة أميال وهينن التي ذكر الهمداني أن في أعلاها حصناً للحصين بن محمد التجيبي ويسكنها بنو بدا وبنو سهل بن تجيب وصوران وقشاقش وعندل وكانت مدينة عظيمة للصدف وكان امرؤ القيس قد زار الصدف إليها وفيها يقول : —

كأني لم أسمر بدمون ليلة ولم أشهد الغارات يوماً بعندلِ

ومن المدن الصدفية أيضاً هدون وفي رخيه درب يقال له سور بني نعيم من تجيب ولهم فيه قرى كثيرة .

ومن منازلهم أيضاً سدبة قرية محمد بن يوسف التجيبي وحورة وكانت مدينة عظيمة لبني حارثة الكنديين وفي ريدة الصيعر فرقة من بلحارث بن كعب وإليها تنسب الإبل الصيعرية والصيعر قبيلة من الصدف .

الاسلام في حضرموت

هكذا جـاء الإسلام وكندة هي صاحبة الحول والطول في حضرموت وكانت الوثنية هي دين الأغلبية من الحضارم كغيرهم من العرب وهناك أقليات تعتنق اليهودية والنصرانية .

وسمع الحضارم عن دعوة النبي عليه السلام بمكة فلم يحفلوا بها بادىء الأمر وعرض النبي عليه السلام نفسه على وفود الحضارم في أحـد مواسم الحج طالباً إليهم نصرته وحماية دعوته فترددوا وقالوا قوم الرجـل أدرى به لأنهم لم يقدروا ما سيكون لصاحب هذا الأمر من شأن وما ستحرز دعوته من نجاح .

ولما جـاء نصرالله والفتح ووصلت دعوة الإسلام إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه من نجاح وانتشار أسرعت البلاد الحضرمية إلى إرسال ممثليها ومندوبيها إلى المدينة عاصمة الإسلام الأولى تقدم الطاعة وتعلن عن إسلام الحضارم واعتناقهم للدين الجديد .

قدمت وفودهم على النبي عليه السلام في السنة العاشرة من الهجرة فقـدم وائل بن حجر أمير بلاد الشاطىء الغربي وملوك بني عمرو بن معاوية والأشعث ابن قيس في ثمانين راكباً من قومه وقيس بن سلمة رئيس الجعفيين في رهط من عشيرته وأمير جردان وغيرهم وكان النبي عليه السلام يقبل إسلامهم ويقر كل أمير على إمارته .

وانتشر الإسلام في حضرموت بعد عودة الوفود وأقبل زياد بن لبيد عاملا على حضرموت من قبل النبي عليه السلام فأقام بتريم وتارة في شبام وأمده النبي بمعاذ بن جبل يطوف بأرجاء البلاد يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين وأقام زياد عنه نواباً في أنحاء القطر يجمعون الصدقات وكان يوزع الصدقات على الفقراء ويرسل ما فضل عن الحاجة إلى المدينة .

حكم الخلفاء الراشدين

ولم يمض على إسلام الحضارم أكثر من سنة واحدة حتى قدم البريد بكتاب من الخليفة الأول إلى زياد بن لبيد يخبره بوفاة النبي عليه السلام ويأمره بأخذ البيعة على من قبله من أهل حضرموت فجمع زياد الناس وقام فيهم خطيباً وعرفهم موت النبي ودعاهم إلى بيعة أبي بكر الصديق فأسرع الكثير منهم إلى البيعة وتردد البعض وتأخر عن المبايعة البعض الآخر ، وكان في مقدمة هؤلاء الأشعث ابن قيس فقد اعتزل في جماعة من كندة .

والواقع أن الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام ففاجأهم موت النبي قبل أن يعرفوا نظام الحكم في الإسلام ولم تتهيأ أذهانهم لمعرفة الوضع السياسي الذي ينبغي أن يخضع له المسلمون فحصل اضطراب في كافة أنحاء الجزيرة كما تقدم الكلام عنه في ارتداد العرب .

وكان رأي بعض زعماء كندة المتخلفين عن البيعة أنه إذا خضعت حضرموت لحكم النبي عليه السلام حال حياته فلا مانع أن تستقل عن سلطة من يتولى الحكم بعده وعلى هذا الأساس كان تأخر المبايعين .

وبنفس الشدة والحزم اللذين عالج بهما أبو بكر فتنة الردة والمانعين للزكاة كان زياد بن لبيد يعالج فتنة المتأخرين عن البيعة في حضرموت وعن دفع الزكاة .

فحارب بني عمرو بن معاوية وقتل ملوكهم مخوسا وشرحا وجمداً وأبضعة

وأختهم العمرة وأكثر فيهم القتل ، ثم اتجه الى بني الحارث بن معاوية وكانت قد انضمت إليهم جماعات كثيرة من كندة تحت قيادة الأشعث بن قيس معلنة العصيان متفقة على الخروج على سلطة الخليفة وعدم أداء الصدقة .

وأرسل الخليفة أبو بكر المهاجر بن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل في جيش كبير لنجدة زياد ، وشبت معركة طاحنة في محجر الزرقان انهزمت كندة على أثرها والتجأت الى حصن لهم يدعى النجير الذي سبقت الإشارة اليه وبعد حصار شديد وقعت المعركة الفاصلة التي انتصرت فيها جيوش الخليفة وعادت حضرموت بعدها الى حظيرة الخلافة الإسلامية تابعة لمركز الخلافة في المدينة[1] .

وقد أسر في هذه المعركة نحو ستة آلاف وقتل عدد كبير وجرح من الصحابة رجال عادوا الى تريم ليتداووا بها ويضمدوا جراحهم فمات منهم جماعة ودفنوا في مقبرة زنبل شرقي قبر الأستاذ الفقيه المقدم الآن .

وكذلك عاد الى حضرموت هدوؤها واطمئنانها طيلة حكم الخلفاء الراشدين الذين كانوا يعينون عمالهم في اليمن وحضرموت . وقد كانت السياسة الرشيدة التي انتهجها أبو بكر وعمر من أقوى الأسباب في التفاف أقطار الجزيرة العربية ومن بينها حضرموت حول السلطة المركزية في المدينة فقد كان الخليفة يعد نفسه المسؤول الأول عن كل عربي يعيش داخل الجزيرة وساعدت الفتوحات والانتصارات التي كان يحرزها المسلمون في أيام الخلفاء الثلاثة الأول على استتباب الأمور في جزيرة العرب وخلق جو من الرضا والسعادة بسبب الأموال التي كانت تتدفق على الجزيرة بكثرة لم يعهد لها مثيل .

وقدم الحضارم أنفسهم كجنود يجاهدون في سبيل الله وتحت راية الإسلام فاشتركوا في حروب الروم والفرس وحضروا اليرموك والقادسية وكان منهم عدد كبير في الجيش الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب وكان لهم مشاركة

---

١ - في كتابنا (شخصيات حضرمية) تفصيل واف لهذه الحوادث .

مشهورة في الفتوحات الإسلامية أثناء حكم الخليفة الثالث وحدث النزاع بين علي ومعاوية فأدلوا بدلوهم بين الدلاء وحضروا صفين مع علي بن أبي طالب .

وهكذا مهد الإسلام للحضارم كما مهد لغيرهم من العرب الهجرة عن وطنهم إلى الأقطار الجديدة التي غزاها الاسلام حيث أقاموا هناك واتخذوها وطناً لهم .

وقد ذكر العلامة الكبير يونس بن عطية الحضرمي أول من تولى القضاء بمصر من الحضارم أنه هاجر مع أبيه وأعمامه في مائة راكب من حضرموت في آخر خلافة عثمان ، قال وأنا غلام جهر أعقل ما أسمع فأتينا المدينة وأقمنا بها شهراً وكان أبي وأعمامي يجالسون أصحاب رسول الله قال فدخلوا يوماً على عثمان وأنا معهم فاستأذنوه في المسير الى مصر فأذن لهم .

وفي أواخر خلافة الإمام علي كانت اليمن ميداناً للصراع بينه وبين معاوية فقد أرسل معاوية جيشاً بقيادة بسر بنت أرطاة لمحاربة شيعة علي كما تقدم فاستولى على صنعاء ، وكان عبيد الله بن عباس عاملا من قبل علي قد غادرها ولما بلغ ذلك علياً أرسل جيشاً من العراق مؤلفاً من أربعة آلاف ، ظفر بأتباع معاوية بعد معارك دامية وهرب بسر في جماعة من أصحابه .

ولم أقف حتى الآن من المصادر التي بين يدي على ما يوضح كيف كانت الحالة في حضرموت أثناء هذا الصراع في اليمن، وهل امتد إلى حضرموت أم لا .

بنو أمية والعباس

لما آلت الخلافة الى معاوية الخليفة الأموي الأول وخضعت له جميع الأقطار الاسلامية بعد قتل الإمام علي وصلح الحسن بن علي خضعت حضرموت لسلطان بني أمية، فلما توفى معاوية امتد سلطان ابن الزبير إلى اليمن وحضرموت فيما امتد إليه من بلاد الإسلام ، ولكن الأمر لم يلبث أن عاد إلى بني أمية بعد قتل ابن الزبير في مكة سنة ٧٣ هـ .

وتتابع عمال بني أمية على اليمن وحضرموت طيلة الحكم الأموي حتى آل الأمر إلى آخر خليفة منهم وهو مروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ. فقد كان عامله في صنعاء القاسم بن محمد ، وفي حضرموت إبراهيم بن جبلة الكندي .

وفي أيام مروان هذا ثار عبد الله بن يحيى الكندي زعيم الأباضية في حضرموت سنة ١٢٩ هـ.[1] وأجلى عامل مروان بحضرموت بعد ما حبسه يوماً ، ثم احتل اليمن بعد قتال شديد ودخل صنعاء دخول الفاتحين ، ثم سيّر أبا حمزة المختار بجيشه إلى مكة ثم المدينة فاستولى عليهما ، فأرسل مروان جيشاً عقد لواءه لعبد الملك بن عطية فقاتل أبا حمزة وهزمه في وادي القرى ، فالتجأ إلى مكة ، فجد في أثره وما زال يقاتله حتى قبض عليه وقتله .

ثم سار ابن عطية لقتال عبد الله بن يحيى ، فظفر به بعد معارك شديدة وقتله واستولى على صنعاء ثم حضرموت في حوادث يطول تفصيلها .

وطويت صفحة الدولة الأموية بقتل مروان حيث خلفتها دولة بني العباس ، وكان أول من جلس على عرش الدولة العباسية أبو العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ.— ٧٥٠ م. ، وكان هذا بداية الحكم العباسي في حضرموت ، ثم خلفه أخوه المنصور سنة ١٣٦ هـ. — ٧٥٤ م.

وقد ذكر الطبري أن المنصور ولى رجلاً من العرب حضرموت ، فكتب إليه والي البريد : انه يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها ، فعزله وكتب إليه ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية في الوحش إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين ولم نستكفك أمور الوحش سلم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

وهذا نص صريح على أن عمال حضرموت يعينون رأساً من قبل مركز الخلافة ، وكذلك يعزلون دون تدخل أو وساطة العامل في اليمن على أنه توجد

---

١ — أي في كتابنا (شخصيات حضرمية) تفصيل واف لهذه الثورة .

نصوص أخرى تدل على أن العامل في اليمن كان هو الذي يعين عمال حضرموت والجمع بين النصوص ممكن بأن الخليفة قد يكل تعيين العمال في حضرموت إلى القائم بالأمر عنه في اليمن وقد يعينهم هو بنفسه .

فقد تحدث التاريخ أن المنصور أيضاً عين معن بن زائدة والياً على اليمن ، فأرسل أخاه عاملاً من قبله على حضرموت فأقام بتريم وكان فاسقاً ظالماً سفاكاً فقتله أهل تريم وخلعت حضرموت كلها طاعة معن ، فغزاهم وأثخن في القتل حتى بلغ عدد القتلى خمسة عشر ألفاً وسد العيون بالرصاص وأجبر الناس على لبس السواد شعار العباسيين ، ثم عاد إلى صنعاء وأبقى ابنه زائدة والياً على البلاد ، ولما استدعى المنصور معنا لقتال الخوارج في خراسان تبعه رجلان من حضرموت فقتلاه في الطريق أخذاً بثأر أبيهما .

ولو صحت رواية سد العيون بالرصاص لكانت دليلا على حمق أمثال معن من حكام هذا العهد وفساد عقلياتهم وعدم تقديرهم لواجباتهم .

وتعاقب ولاة بني العباس على اليمن وحضرموت حتى انتهت الخلافة إلى المأمون وظهرت باليمن دعـاة العلويين من الشيعة ، وانتشرت الفتن وقامت الحروب ، فولى المأمون محمـد بن زياد على اليمن سنة ٢٠٣ هـ. فأخضع اليمن جميعها لحكمه ، ودخلت في طاعته حضرموت والشحر وديار كندة وصار في مرتبة التبابعة .

ومحمد بن زياد هذا هو أول ملوك الدولة الزيادية باليمن التي استقلت بالأمر فيها وإن احتفظت لبني العباس بالسلطة الاسمية .

الأباضيـــة

الأباضية فرقة من فرق الخوارج الكثيرة المتعددة وسموا الخوارج لأنهم خرجوا عن طاعة علي ومعاوية معاً وانفردوا برأي غير رأي الجماعة فسماهم الناس من أجل ذلك خوارج ، ثم ذهبوا إلى النهروان وعسكروا هناك ، وكانوا

على ما يروى أربعة آلاف مقاتل فصمد إليهم علي كرم الله وجهه وما زال يقاتلهم إلى أن أفناهم عن بكرة أبيهم ولم يفلت منهم سوى تسعة أنفار قيل ذهب منهم اثنان إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى اليمن فذلك أصل الخوارج .

والأباضية أكثر فرق الخوارج انتشاراً وكانت لهم بلدان ودول وحكومات كسائر فرق الإسلام الكبرى ويتلخص مذهبهم في أنهم :

« يرون أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة ، لا كافر بالله ويرون أن دار مخالفيهم من الإسلام دار توحيد ، ولكن دار السلطان منهم دار بغي . وهم يحتجون على كل من يتهمهم بمخالفة السنة ، ويقولون إنهم هم وحدهم الذين لم يحيدوا عن السنة ويقال إنهم يزعمون كونهم هم وحدهم الفرقة الناجية من أصل الثلاث والسبعين فرقة » .

وهم لا يذكرون بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وأما عثمان وعلي فلا يعجبانهم إذ قد خالفا نهج الرسول والصاحبين بزعمهم . ويقولون بوجوب نصب الإمام بين المسلمين إذا توفرت القوة والعلم لنصبه ، وإن القرشية ليست بشرط في الخلافة ؛ بل ان يكفي أن يكون الخليفة متصفاً بالفضيلة والتقوى ، سائراً بموجب الكتاب والسنة لتصح خلافته . فإن انحرف عنهما وجب خلعه » .

ويقولون إن القرآن هو كلام الله خلقه الله تعالى وهو كقول المأمون العباسي . وأنه تعالى لا يرى بالأبصار في الجنة ، وأن الثواب والعقاب أبديان ولا فناء للنعيم ولا للجحيم . وأن الله يغفر الصغائر ولكنه لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة . وهم يرجعون إلى الكتاب والسنة فقط . ولا يعملون بالإجماع والقياس ، بل عندهم محلهما الرأي . وهم يقولون : إن كل مسلم مكلف أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، وأن على كل مسلم واجبات مفروضة نحو أخيه المسلم ، فمن لم يقم بما فرض عليه من هذا التضامن الديني خسر حقه في حنو إخوانه المسلمين عليه ، ووجبت معاملته نظير عدو إلى أن يتوب وينيب » .

هذا ما ذكره الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي ومثله في الملل والنحل للشهرستاني .

وهم ينتسبون إلى عبدالله بن إباض بكسر الهمزة وقد تلفظ بفتحها فلذلك سموا أباضية وهو المذهب الغالب في بلاد عمان . ومنها امتد إلى زنجبار وقد ظهر هذا المذهب في شمال أفريقية في أواسط القرن الثاني للهجرة وانتشر كثيراً بين البربر .

وكان نظر الخوارج إلى خلفاء بني العباس كنظرهم إلى خلفاء بني أمية كلهم لا يصلح للخلافة ولم يختر اختياراً حراً صريحاً ولم يستوف الشروط التي يجب توافرها في الإمـام وكلهم يجب الخروج عليه ومقاتلته وعزله إن أمكن وقتله إن أمكن .

وقد عقد الاستاذ أحمد أمين في الجزء الثالث من كتابه ضحى الإسلام فصلاً خاصاً عن أدب الخوارج يعطي صورة صحيحة عن عقيـدة القوم ومبادئهم في تحقيقها قال :

لقد كان في الخوارج كل العناصر التي تكون الأدب : عقيـدة راسخة لا تزعزعها الأحداث ، وتحمس شديد لها تصون بجانبه الأرواح والأموال ، وصراحة في القول والعمل لا تخشى بأساً ، ولا ترهب أحداً ، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير إلا كأحدهم ، ولا العظيم إلا خادمهم ، ورسم الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه رسماً مستقيماً واضحاً لا عوج فيه ولا غموض ، يجب أن يعدل الخليفة والأمراء ، وألا يقاتلوا حتى يعزلوا أو يقتلوا ، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة ، وألا يقاتلوا ليحل محلهم مسلمون مخلصون طاهرون ، ويجب أن يسلك السبيل إلى ذلك من غير تقية ، ومن غير مجاملة ولا مواربة ، ويجب أن يقابل الواقع كما هو ، ويشخص كما هو ، ويعالج كما هو ، على طريقة عمر بن الخطاب ، لا على طريقة عمرو بن العاص ؛ ووراء ذلك كله نفوس بدوية — غالباً — فيها

كل الاستعداد للقول ، وفصاحة اللسان، وفيها كل ما نعهده في البدوي من قدرة على البيان ، وسرعة في البديهة ، وأداء للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ .

من هذا كله نرى الخارجي قد اجتمعت له العاطفة القوية ، والأداة الصالحة للتعبير عنها .

وهذا الذي ذكرناه قد جعل لأدبهم لوناً خاصاً غير لون الأدب المعتزلي ، وغير لون الأدب الشيعي . أدب المعتزلة أدب فلسفي ، فيه عنصر المعاني أغلب وأقوى ؛ وأدب الشيعة أدب باك أو أدب حزين على فقدان الحق ، أو أدب غضبان على أن لم توضع الخلافة موضعها ؛ أما أدب الخوارج فأدب القوة ، أدب الاستماتة في طلب الحق ونشره ، وأدب التضحية ، فلا تستحق الحياة البقـاء بجانب العقيدة ، وأدب التعبير البدوي الذي لا يتفلسف ولا يشتق المعـــاني ويولدها كما يفعل المعتزلة ؛ هو في بعض الأحيان أدب غضبان ، ولكنه ليس غضباً من جنس أدب الشيعة ، فالشيعة يغضبون لشخص أو أشخاص ولكن الخوارج يغضبون للعقيدة وللإسلام عامة بقطع النظر عن الأشخاص ، وإن نظروا للأشخاص ففي ضوء العقيدة ، لا كما يفعل غيرهم من النظر الى العقيـدة في ضوء الأشخاص .

وقد يرثون ويبكون ، ولكنهم حتى في رثائهم وبكائهم أقوياء يذرفون الدمع ليسفكوا الدم ، ويبكون الميت ليتشجع الحي ، ويؤبنون المفقود ، ليرسموا المثل الأعلى للموجود ؛ لا يعرفون هزلا في الحياه فلا يعرفون هزلا في الأدب ، ولا يعرفون خمراً ولا مجوناً ، فلا نجد في أدبهم خمراً ولا مجونا ، إنمـا يعرفون الجهاد والقتال والتربية المتزمتة القاسية التي تخرج رجالا أقوياء لا يحرصون على الحياة ، فكذلك أدبهم ، انتهى ما قاله الأستاذ أحمد أمين .

ولعل في هذا القدر كفاية في التعريفَ بالأباضية تمهيداً للحديث عن أباضية حضرموت فإن هؤلاء فرع من أولئك وبهذه المناسبة أورد أبياتا من قصيدة قيلت في رثاء عبـد الله بن يحيي الكندي الحضرمي زعيم إباضية حضرموت وأبي حمزة المختار :

أوفي بذمتهم إذا عقـدوا وأعف عند العسر واليسر
متأهلون لكل صالحـة ناهون من لاقوا عن النكر
متأوهون كأن جمر غضى للخوف بين ضلوعهم يسرى
كم من أخ لك قد فجعت به قوام ليلتـه الى الفجر
والمصطلي بالحرب يسعرها بغبـارها وبفتية سعر
يجتاحها بأفل ذي شطب عضب المضارب قاطع البتر
لا شيء يلقـاه أسر له من طعنة في ثغرة النحر

والقصيدة كاملة في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني فليرجع إليها من أراد .

وكل ما نعرفه حتى الآن أن ظهور الأباضية في حضرموت كقوة سياسية ذات شأن بدأ سنة ١٢٩ هـ . عندما أعلن عبد الله بن يحي الكندي المعروف بطالب الحق،ثورته على آخر خليفة أموي كما سبق واستقل بالأمر في حضرموت واحتل اليمن والحجاز ، وتتلخص دعوته في هذا الجزء من خطبته التي ألقاها في جامع صنعاء عقب احتلالها فقد قال :

« إننا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما ، الاسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلال لا نبتغي به بديلا ولا نشتري به ثمنا قليلا ، وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ندعوكم الى فرائض بينات وآيات محكمات وآثار نقتدي بهـا ونشهد أن الله صادق فيما وعد،عدل فيما حكم وندعو الى توحيد الرب واليقين بالوعيد والوعد،وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والعداوة لأعداء الله » .

كما أن الخطاب الذي ألقاه أبو حمزة المختار في مسجد المدينة من بين النصوص التاريخية التي تلقي ضوءاً على عقيدتهم وطريقة دعوتهم إليها فقد قال :

إنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا غدراً ، ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط،ضاقت

علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض .

أقبلنا من قبائل شتى كل جماعة منا على بعير واحد عليه زادهم ، يتعاورون لحافاً واحداً قليلون مستضعفون في الأرض.فآوانا وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان فشتان لعمر الله ما بين الرشد والغي . وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين .

وكان أبو حمزة المختار هذا من زعماء أباضية البصرة ويقول صاحب تحفة الأعيان : إنه من أباضية عمان كتب إليه عبدالله بن يحيى فقدم إليه في جماعة من الأباضية وكانوا عوناً له في حروبه مع جيوش مروان وقد رأينا كيف اهتم مروان بالأمر وأرسل عبد الملك بن عطية من الشام فأجلى الأباضية من المدينة ومكة واليمن ثم غزاهم في حضرموت في عقر دارهم فأثخن في القتل .

وورد إلى ابن عطية وهو بحضرموت كتـــاب من مروان يأمره بالتعجل إلى مكة ليحج بالناس فجمع ابن عطية أعيان شبام وصالحهم على ان يرد إليهم ما عرفوا من أموالهم ويولي عليهم من يختارونه فأجابوه إلى ذلك ثم سار متعجلا في جماعة من قومه ولما كان بأرض مراد لقيـــه جماعة من الأباضية فقتلوه ومن معه .

ويقول المدائني إنه لما شخص ابن عطية إلى مكة خرج إليه جمانة وسعيد أبناء الاخنس في جماعة من قومهما ورجل من نهد يقال له دمانة وثلاثة من مراد وخمسة من كندة ، فقصدوا حيث توجه ابن عطية ، فأدركوا أصحابه وكانوا أربعين رجلا ، فقتلوهم جميعاً وأدرك سعيد وجمانة بن عطية ، فضرباه وطعناه وصرعاه من فرسه وقعد سعيد على صدره فقال له ابن عطية : هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب اسيراً ؟ فقال يا عدو الله أترى الله كان يملك

أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجا وأبرهة ثم قتله وبعث برأسه إلى شبام .

وبلغ الخبر أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية وهو بصنعاء ، فأرسل شعيباً البارقي في جيش كثيف أغلبه أجلاف قساة همج من سكان جبال اليمن وجاءوا حضرموت من طريق الكسر ، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان ونهبوا الأموال وخربوا دور هينن وقعوضة والحيليق وحورة وكثيراً من دور شبام ولم يبق أحد من قتلة ابن عطية ولا ممن قدروا عليه من الأباضية إلا وقتلوه ثم عادوا إلى اليمن حاملين معهم الأموال الطائلة والحلى الثمينة .

وجاء العهد العباسي فلم يكن الحال فيه بحضرموت بأحسن من الحال في العهد الأموي فسرعان ما قتلت الأباضية عاملهم على تريم فى عهد المنصور وكان هذا العامل فاسقاً ظالماً وانتقضت البلاد كلها على معن بن زائدة والي المنصور على اليمن كما مر آنفاً، فأقبل معن بجيش مثّل من الفظائع ما تشيب من هوله الأبدان وأبقى ابنه والياً على البلاد بعد أن عاد إلى صنعاء .

ولم يفلت معن من نقمة الأباضية فقد تبعه رجلان منهم وهو في طريقه إلى خراسان ، فقتلاه في الطريق أخذاً بثأر أبيهما كما سبق ، على ان بعض المؤرخين يذهب إلى ان معناً عاش إلى خلافة المهدي حيث ولاه سجستان .

ولما قامت دولة آل زياد في اليمن خضعت حضرموت لسلطانهم في عهد مؤسسها الأول محمد بن زياد الذي ولاه المأمون العباسي حكم اليمن عندما خاف رسوخ التشيع فيها سنة ٢٠٣ هـ. ورضخت الأباضية لحكم القوة متحينة كل فرصة لإعلان الثورة والاستقلال بالأمر في حضرموت .

ومع غموض هذه الفترة على الأخص من التاريخ الحضرمي نظراً لفقد المصادر التاريخية أو ندرتها فإننا نجد في التاريخ أن الأباضية هم المسيطرون على شؤون حضرموت عندما قدم المهاجر أحمد بن عيسى العلوي من البصرة

في مطلع القرن الرابع الهجري ، أي سنة ٣١٨ هـ. بالضبط وكانت دولة آل زياد لا تزال قائمة في اليمن .

فقد ذكر أحد المؤرخين[1] من الحضارم بأن الأباضيين تألبوا على المهاجر لزحزحته عن الإقامة بحضرموت وأن أهل السنة والشيعة بحضرموت واليمن اجتمعت كلمتهم على نصرته ، وأن وقائع حربية نشبت بين الفريقين كان الأباضيون يتلقون الامدادات فيها من أباضية عمان وغيرها وأن المهاجر كان يتلقى العتاد والنقود وتأتيه الامدادات تحملها القوافل براً والسفن بحراً من البصرة يرسلها إليه ابنه محمد الذي تركة هناك وكيلا على أملاكه ونخيله وتجارته الواسعة ، كما يقال بأن معركة فاصلة وقعت ببحران عندما كان المهاجر مقيما في الهجرين انكسرت فيها شوكة الأباضية وانتقل المهاجر على أثرها من الهجرين الى قادة بني جشير .

وقد كان هذا الخلاف في المذهب والعقيدة بين المهاجر والأباضية سبباً في عدم استطاعة المهاجر سكن المدن الكبرى في حضرموت كشبام وتريم مثلا فقد كانت تزخر بعلماء الأباضية وذوي الرأي والقوة منهم فكان يختار القرى التي يمكن أن يجد له فيها أنصاراً من السنيين والشيعة كقرية الجبيل في دوعن والهجرين .

ووجد الأباضيون الفرصة سانحة للانتقاض والثورة في عهد محمد بن يعفر الحوالي الذي كان كملك مستقل في صنعاء سنة ٢٦٣ هـ . وإن كان يدين بالطاعة للمعتمد بن المتوكل العباسي وفي هذا التاريخ كان نفوذ آل زياد قد تقلص من صنعاء وما حواليها وانحصر في تهامة ، فعمل اليعافرة لإخضاع ثورة الحضارم وأقاموا الهزيلي الحضرمي حاكم شبام نائباً عنهم .

ونسأل المصادر التي بين أيدينا عمن كان يتزعم الحركة الأباضية ويتولى شؤونها بعد قتل عبد الله بن يحيي الكندي إلى أواخر القرن الرابع الهجري

---

١ ـ عبد الله بن محمد السقاف في التعليق على رحلة باكثير .

فتعتصم بالصمت ولا تجيب كما أنها لم تشر من قريب ولا من بعيـــد الى مراكز الثورة على الخلفاء والملوك اليمنيين من اليعافرة وآل زياد وكيف كانت الحـالة الثقافية والاجتماعية في هذه الفترة ؟

لقد ضاعت إذن أو فقدت مصادر تاريخ هذه الفترة ولكن لماذا ؟ لا أرى غير أني وجدت السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه جني الشماريخ يقول : إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمـة وانطماسها أن الأخلاف رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها ..!

ثم لا يذكر السيد علوي شيئاً عن هؤلاء الأخـلاف المدهشين وماذا كانوا ينكرونه على الأسلاف ؟ وبصرف ذ ن صحة هذه الرواية أو عدم صحتها فإنه قد مرت بحضرموت محن عصيبة ونشبت فيهـا حروب وفتن كثيرة وتعرضت لنكبات من الداخل والخارج ، فلا يبعد أن تفقــد كثير من المصادر التاريخية أثناء هــذا العراك الدموي الذي أناخ بكلكله على حضرموت قروناً طويلة .

وقد ذكر السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب في مقـال له نشره الأمير شكيب أرسلان في الجزء الثالث من حاضر العالم الإسلامي بأن الوهابيين دخلوا تريم سنة ١٢٢٢ هـ . وطموا الآبار في تريم بما وجدوا من الكتب في خزائنهـا جفاء وغلظة وبداوة وغباوة وكانت هذه الخزائن مشحونة بكتب السنة والتفسير والفقه والتاريخ ، ولقد أتلفوا من بيت واحد اثنتي عشرة خزانة ومن آخر ست خزائن .

ومن يدري فقد يعثر الباحثون على ما يخفف لوعتنا ويرضي من حرصنا على التعرف الى مواطن الغموض في التاريخ الحضرمي فنتدارك ما في هذه الكتابات من نقص ونصلح ما يحتاج منها إلى إصلاح .

وفي نفس المقال الذي أورده الأمير شكيب لابن شهاب ما يشير الى أن الأباضية كانت المذهب الغالب في حضرموت في القرن الرابـع الهجري فقــد قال ما نصه :

وقد كان أكثر الحضارمة في أول ما قدم سيدنا المهاجر الى الله أحمد بن عيسى منعزلين عن العالم الإسلامي لمكان مذهبهم الشاذ إلا قليلا منهم

وقال في موضع آخر من هذا المقال :

ومن عجائب ما يراه الناظر فى تاريخ حضرموت أن الأباضية قد جلبوا على حضرموت من المصائب والبلايا والحروب والقتل ما يطول شرحه . ولكن لم يؤثر ذلك في خراب حضرموت خراباً يماثل ما وقع في الزمن الأخير . فإنهم باحتلالهم حضرموت واستغوائهم أهلهـا ورميهم بهم في تلك النحلة قد جعلوا العالم الإسلامي إلباً عليهم ، فصارت حضرموت ميداناً لهجمات جنود الإسلام إذ ذاك حتى قال أحد الشعراء يصف معن بن زائدة أحد الأمراء في اليمن الذين قتلوا بأباضية حضرموت :

يا معن من شيبان أنت أنت	علمت أهل حضرموت الموت

وقال شاعره مروان بن أبي حفصة يمدح معنا ويصف ما فعله بالأباضية :

وطئت خدود الحضرميين وطأة	لها هـد ركن منهم فتضعضعا
فأقعوا على الأذناب إقعاء معشر	يرون لزوم السلم أبقى وأودعـا
فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها	لكفوا وما مدوا إلى الحرب إصبعا

وواضح أن الأستاذ ابن شهاب يعني بهجمات جنود الإسلام على حضرموت الحملات التي أرسلها مروان بن محمد ، ثم والي المنصور العباسي على اليمن وغيرهما من ملوك آل زياد واليعافرة لإخضاع ثورات الأباضية المتعددة .

ونحن لا نعرف حتى الآن من زعمـاء الأباضية ورؤسائها السياسيين بعد عبد الله بن يحيي الكندي الذي سار سنة ١٢٩هـ. سوى الإمام أبي إسحق إبراهيم ابن قيس الهمداني الذي ظهر أمره بحضرموت في أوائل القرن الخامس الهجري وحارب القرامطة والصليحيين، وثلثمائة سنة تقريباً مضت بين الزعيمين الأباضيين كان نصيبها الصمت الغريب من مصادر التاريخ الحضرمي .

غير أنني وجدت في تحفة الأعيان عند ذكره للإمام محمد بن أبي عفان الذي عزل سنة ١٧٩ هـ. أن سبيله سبيل إمام حضرموت عبد الله بن سعيد الذي عزله أهل حضرموت وقدموا عليه خنبشا ، فهذا صريح في أن هناك أئمة يعزلون ويولون بعد قتل عبد الله بن يحيى الكندي وقبل إمامة الهمداني .

ويبدو لي أنه لولا تعرض كتاب التاريـــخ الإسلامي من غير الحضارم لعبد الله بن يحيى وإبراهيم بن قيس لم يصل إلينا الكثير من أخبارهما .

وفي رسالة للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله[1] ما نصه : إن المهاجر ورد حضرموت ، وهي تغلي غليان المرجل بالأباضيين والخوارج ، والأمويين نسبا العباسيين دولة ، فما زال وأولاده يقارعونهم الحجج حتى أضرعوا خـــدود الأباضية وأخفتوا أصواتهم ، وقد ذكرت في البضائع أن مجاهرة الإمام بنسبه بين أولئك الطوائف أقوى دليل على شهامته وصحة نسبه وما مجاهرته بالمذهب إلا دون مجاهرته بالنسب ، وجاء في أوائل العقد لشيخنا الأستاذ الأبر عن مواضع من المشرع : أن المهاجر أضعف شوكة الأباضية بما أورده عليهم من صحيح الاستدلال ، ثم تلاه الإمام العالم الشيخ سالم (يعني ابن بصري) فأنزل البدعة إلى أسفل مرتبتها ، ثم عزهما الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ، انتهى .

ويذكر ابن عبيد الله في هـــذه الرسالة أن الأباضية بقيت على جانب من القوة إلى عهد الفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣ هـ. وأن تأخر استيطان العلويين بمدائن حضرموت ، إنما كان بسبب اختلاف المذاهب وأنه ما زالت المجاذبة بين العلويين وعلماء المدن الحضرمية الكبرى حتى كانت الغاية ، الاتفاق على منتصف الطريق فإن الذين تديروا تريمـــا من العلويين وافقوا المشايخ في الأخذ بمذهب الشافعي وبعض الآراء الأشعرية ، وأكثر المشائخ بتريم وافقوا العلويين على القول بالقطبانية وهـــو المذهب الإمامي بنفسه فان لم يكنه فإنه أخوه فكل من

---

١ – نسيم حاجر ، ص ١٤ و ١٥ و ١٦ .

الفريقين أخذ وأعطى إما بقصد وإما بطبيعة الاختلاط والاحتكاك فلا غالب ولا مغلوب .

هذا هو رأي ابن عبيد الله أوردته ليكون من بين العلامات التي نتعرف بها إلى الرأي الصحيح والحقيقة الناصعة في موضوعنا عن الأباضية .

والمعلومات التي لدينا عن أبي إسحق الهمداني تلقي ضوءاً ساطعاً على الحالة في القرن الخامس الهجري وتخرج بنا من ذلك الصمت المخيف والغموض البغيض الذي شمل القرنين الثالث والرابع .

فقد ذكروا أن والده قيساً كان عالماً كبيراً وذا ثروة واسعة ومكانة مرموقة مسموع الكلمة مطاع الأمر والنهي ، وقد بذل مجهوداً عظيماً في تربية ابنه إبراهيم حتى صار أعلى من أبيه شأناً وأعظم جاهاً وأوسع اطلاعاً وأثبت جأشاً وأشد إقداماً .

وقد تصدى للأمر بالمعروف ومحاربة المنكرات ومعالجة شؤون الاجتماع في أخريات أيام والده، ولم يكد يمضي في غايته غير بعيد حتى هجم القرامطة على حضرموت للمرة الثانية ، فقد كان هجومهم المرة الأولى[1] في أواخر القرن الرابع فخربوا ودمروا كعادتهم في غزواتهم وقطعوا النخيل وسلبوا الأموال وعاثوا في البلاد فساداً .

ولم يجد أبو إسحق في حضرموت من يناصره في صد غارات القرامطة ، فالتجأ إلى الخليل بن شاذان الأباضي إمام عمان طالباً منه النجدة وقدم إليه قصيدة جاء فيها :

يا خير خل خربت أوطاننا ... واستعبد السفهاء كل نبيل
يا خير خل لم نطق دفع الأذى ... عن أخذ مكنون وجذ نخيل

---

١ – علوي بن طاهر الحداد .

يا خير خل أصبحت أسواقنا أسواق سحت واعتداء محول
يا خير خل قد غلبنا فانتصر وانظر لنا بالرأي عزم أصيل

ويقول من قصيدة أخرى :

فجدت له بالعذر بسطاً وجادلي بما فيه نصر لا عدته المكارم
فهأنذا بالمال والبيض والقنا على حضرموت بالسلامة قادم
سلا تخبرا عني إذا صرت نحوها وناديت في الإخوان أين اللهامم

وعاد أبو إسحق إلى حضرموت بعد أن أمده الخليل بن شاذان بالمال والبيض والقنا ، وقد استطاع بهذه المعونة أن يجمع حوله جنوداً وأنصاراً فرق بهم أعداءه حتى لم تبق منهم سوى طوائف التجأت إلى القرى الواقعة بأطراف البلاد .

وفي هذا يقول أبو إسحق من قصيدة أرسلها إلى الخليل إمام عمان مع وفد وجهه إليه عقب انتهاء الحرب يخبره فيها بما تم له من نصر :

سل الوفد عني يا إمام ألم أكن تسربلت يوم الروع ثوب العزائم
وهل كان همي غير ما كنت ذاكراً وهل نمت عن طرف الجواد وصارمي
حرام حرام إن طعمت بمنزلي إلى اليوم طعم النوم بين الكرائم
ولكنني لما نزلت بعقوتي نشرت لوائي في الكرام القماقم
وساروا بحمد الله حولي كأنهم بدور ولكن في الوغى كالضراغم
فما كان إلا جمعة بعد جمعة وأدت إلي العشر أهل الحضارم
سل الخطبا لما دعوا لك جهرة على رغم أهل الجور بعد التصادم
وسل عرب البيداء هلا أذقتهم عشية خانوا العهد سم الأراقم
وأما نواحي حضرموت فإنها بحول إلهي طوع أمري كخاتمي
سوى نفر كانوا عصاة فأصبحوا من الخوف في روس القرى كالحمائم
ولم يبق لي إلا الصليحي قائماً وها هو أيضاً سعده غير قائم

وقد نزعت عنه القبائل قصدنا   لما نظرت من رغمها في الملاحم
ونحن إليه واردون بجيشنا   فما هو أدعى من ملوك الديالم

وليس في هذه القصيدة ذكر للقرامطة ، بل أنه يشير إلى مخالفيه من عرب البيداء والنفر العصاة من نواحي حضرموت فقط ، إلا أن كانت دعوة القرامطة تسربت إلى عرب البيداء والنفر العصاة ، فهو يحاربهم كمناصرين لحركة القرامطة ؟

أما الصليحي الذي أشار إليه أبو إسحق في قصيدته فهو أحد حكام اليمن في القرن الخامس الهجري وقد سبقت الإشارة إليه في الفصل الخاص باليمن ، وقد وقف أبو اسحق حائلا دون تنفيذ مطامع الصليحيين في احتلال حضرموت وفي ذلك يقول من نفس القصيدة السابقة :

يخوفني أن المعز ملاذه   بمصر وما خوفي لأهل المظالم
إذا وفده ولى إلى مصر رائداً   مضى وفدنا قصداً لخير المعالم
أيعلم أي الحزب أسبق نصرة   وأيهما أولى بفعل المكارم

والمعز هذا يعني به الخليفة المستنصر الفاطمي بمصر الذي كان الصليحي يخطب له ويحارب باسمه ، واستمرت الحرب بين الصليحي وأبي إسحق مدة طويلة اضطر أثناءها أن يطلب المدد مرة أخرى من الخليل بن شاذان كما تدل على ذلك قصيدته هذه :

من شاء يعلم ما كانت أوائلنا   فيه فسيرتنا تكفيه برهانا
هذا الخليل إمام المسلمين حكت   أنوار سيرته في العدل نيرانا
يا أيها العلم العدل الذي كملت   له الخصال مروآت وإيمانا
إني أحبك والرحمن يعلمه   حب احتساب إلى ذى الطول قربانا
إذا صرت مشتهراً بالفضل أنت ولي   قلب يحب بدين الله من دانا

حتى عبرت إليك البحر منتصراً ... أيام عدت بما أوليت جذلانا

إلى أن قال :

وانصر أخاك فإن الحرب قائمة ... والحق يطلب من أهليه أركانا
واعلم بأنك قد أثرت مأثرة ... فارفع لها شرفاً فالأمر قد هانا
إن الذي عمرت صنعاء دولته ... بالفسق أصبح من مولاي فزعانا
أضحت مخالفة أرض اليمان له ... لما رأتك لها حصناً ومعوانا
فاحفدهم فهم يدعون ربهم ... جهراً لتملكهم سراً وإعلانا

وهو يعني بمن عمرت صنعاء دولته بالفسق الصليحي لأنها قاعدة ملكه في هذا التاريخ ، وقد أمده الخليل هذه المرة بجيش استطاع به أن يحد من أطماع الصليحي وأن يرده خائباً .

والواقع أن المصدر الوحيد الآن لتاريخ أبي إسحق إنما هو ديوانه المطبوع الذي قدمه الشيخ سليمان الباروني وقد تعرض في ديوانه لوفادته على أئمة عمان فقال إنهم أمدوه بالمال دون الرجال .

أبا القاسم اسمع لاعدمتك قصتي ... لتعجب من أمري وأنت رشيد
طلبت بوادي حضرموت فلم أجد ... بها أحداً ينكي العدا ويكيد
فسرت عماناً قلت علّي رى بها ... شراة تسامي والمكان بعيد
فجادوا ببذل المال دون نفوسهم ... وعدت خميداً والإمام حميد
فلما رأى أهل الضلال شرارتي ... تزيد حياة والضلال يبيد
بدا لهم أن ينكثوا فتسللوا ... لواذا وغال المسلمين خمود

وفي قصيدته السابقة يصرح بأنه قدم إلى حضرموت من عمان بالمال والبيض والقنا ، ومن قصيدة أخرى يقول :

سيعلم دغار بن أحمد والفتى ... سلالة مهدي وكل مخالف
إذا أنزل المستنصرون بجحفل ... يهزون بيضاً كالبروق الخواطف

والجمع بين هذه الروايات ممكن بأن الخليل أمده مرة بالمال فقط ومرة أخرى بالمال والرجال وشعره صريح في تعدد وفادته على عمان .

ويزعم الشيخ سليمان الباروني إن أبا إسحق أقام عاملا بحضرموت للخليل ابن شاذان مدة حياته فلما نصب راشد بن سعيد إماما بعمان بعد الخليل بقي عاملا على حاله وله مع الإمام راشد قصائد يعترف له فيها بالولاء ، منها قصيدته التي أرسلها إليه يعرض فيها للإمام راشد النجدة في حربه مع نهد وعقيل حيث يقول :

أباضية زهر كرام أفاضل ... مناقبهم في كل سامي علا تبدو
وأنت لنا من بعدهم صرت قيما ... حمولا لثقل الخطب يورى بك الزند

إلى أن قال متحدثا عن نهد وعقيل :

فإن عدلوا عن بغيهم وتراجعوا ... إلى عسكر الإسلام والحق وارتدوا
فأهـلا وسهلا بالعشيرة إنهم ... إليكم بإخلاص لرب السما أدوا
وإن هم أبوا فاستصرخونا فإننـا ... قريب وما للقوم من صحبهم بد
وما بين وادي حضرموت وبينكم ... إذا سركم إتياننا نحوكم بعـد
متى يأتنا منكم صريخ نؤمكم ... بعسكر جرار يضيق به النجـد
كهولا وشبانا صباحا مساعرا ... ورادا إلى الهيجا إذا استصعب الورد
بكل رديني أصم ومرهف ... كمثل شعاع الشمس تحملنا الجرد

ومن قصائده لراشد :

ونحن إذا ما الحرب جدت إليكم ... أتتكم كراديس تهز الصوارما
يذودون عن أديانهم كل معتـد ... فويل لمن فى الحرب يلقي الحضارما
أبا راشدا إنا لعمرك نزدهي ... بذكركمو في حضرموت تعاظما
إذا ما عماني ألم بأرضنـا ... أحطنا به نسأله عنكم تراحما

ولم أجد ذكراً لتاريخ ولادة أبي اسحق ومبدأ أمره ووفادته إلى عمان وحروبه مع الصليحيين وغيرهم . غير أنني رأيت صاحب تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان[1] يرجح أن وفاة الخليل بن شاذان كانت سنة ٤٢٥ هجرية. وان وفاة راشد بن سعيد كانت سنة ٤٤٥ هـ. فمن هذا التقدير لوفاة الإمامين يمكن أن نقدر تاريخ الحوادث التي حصلت في عهده .

على أن أبا إسحق تعرض في إحـدى قصائده لضبط بعض الحوادث بالتاريخ حيث يقول :

بحول إلهي لا بحولي وقوتي   وتوفيقه أظهرت بالسيف دعوتي

إلى أن قال بعد أن ساق عهده ووصيته للناس :

بتاريخ شوال وفي عـــام أربع   وخمسين تقفوا أربعامن هنيدتي (كذا)

ويمكن القول بأن سنة ٤٥٤ هـ. التي يشير إليها هي مبدأ استقلاله بالأمر في حضرموت عن أئمة عمان فقد ذكر الباروني أن أبا إسحق استقل بالأمر بعد وفاة الإمام راشد وكانت له شوكة قوية ودولة زاهرة وصولة ظاهرة شهر فيها الحق وساد العدل .

وتاريخ الرجل سلسلة حروب ومعارك وصراع وجلاد. فهو في هذه القصيدة يذكر موقعة حربية خاضها في دوعن ويستنصر بسويد بن يمين :

سويد الذي في الجد منه عرائش   وفيه من الجد النفيس عرائس
سويد الذي لا قائـــد متغطرس   ولا عاجز عمـــا تروم العتارس
سويد الذي لم ينخدع لمنـافق   ولا ولجت في مسمعيه الوساوس
سويد الذي قـد عاهد الله لم يزل   عليه من الصدق الصريح قلانس
سويد الذي أيام كنت بدوعن   سقى السيف حتى مجدته المجالس

---

[1] - لابن محمد بن عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي .

فكيف يغيب اليوم عني انتصاره ... وهأنذا في داره اليوم جالس
فيا ابن يمين زادك الله رفعة ... أيغشى الكرى عينيك والحق طامس
ذمارك محروس وحرمة ذي العلا ... مهتلة ترى حماهـا الاناحس
أغثنا قبيل الموت إن نفوسنا ... لها في غد أو بعدها الموت خالس

وهذه القصيدة من جيد شعره غير أنا لا ندري من هو سويد بن يمين وعلى من كان يستنصره ومتى كان ذلك ؟ ويدعنا الهمداني في حيرتنا عن سويد بن يمين ليضيف إلينا حيلة أخرى :

ففي الشرق قد أضحى الهدى بعد ذلة ... عزيزاً بملك راجح الحلم حازم
كريم حمى الأنف شهم غشمشم ... أخي نجدة صعب صليب الشكائم
أبي الفضل عباس بن معن بن حوشب ... ذرى كندة العليا الملوك القماقم
أقمت سنينا قبل ألقاه لاهيا ... يقاسي عداة الحق مر العلاقم
فلما التقت كفي بيمناه أخمدت ... عساكره بالرغم نار المخاصم
ومدت بإذعان إليه رقابها ... جميع البرايا بين راض وراغم

فمن هو عباس بن معن ؟ لقد كان ملكاً كما يقول أبو إسحق ولكن فى أي منطقة ؟ أما ابن عبيدالله في بضائعه فيظن أنه من سلاطين كندة بالمشقاص كما يظن أن سويد بن يمين على مقربة منه بالغيل المعروف بغيل ابن يمين ولا أرى حتى الآن مرجحاً لهذا الظن .

وهذه أبيات من قصيدة له تدلنا على مراكز الأباضية في حضرموت ومقر علمائهم :

فقلت وما يبكيك يا خود لا بكت ... لك العين ما هبت رياح زعازع
فقالت بكيت الدين إذ رث حبله ... وللعلماء لما حوتها البلاقع
فأين الألى إن خوطبوا عن دقائق ... من العلم أنبوا سائليهم وسارعوا
فقلت لها هم في شبام ومنهم ... بميفعة قوم حوتهم ميافع

وفي هين منهم أناس ومنهم بذي أصبح حيث الرضى والصمادع
ومنهم بوادي حضرموت جماعة وأرض عمان (سلهم ثم دافع)

وواضح أنه يعني بهؤلاء العلماء رجال العلم من الأباضية فقد كان يوجد بحضرموت عدد كبير من العلماء قبل ظهور أبي إسحق وبعده . ففي البضائع للسيد عبد الرحمن بن عبيدالله أنه كان بحضرموت قبل أن يصل اليها المهاجر من أجلة الفقهاء من لا يشق غبارهم ولا يخفى منارهم ولا تجهل آثارهم... وفي المشرع الروي أن العلويين عندما كانوا ببيت جبير وجدوا في تريم من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهوم والألباب ما شغلهم عن الأهل والوطن وأذهلهم عن كل خل صفي وسكن .

وكما لا نعرف شيئاً عن تاريخ الحوادث التي مرت بصاحبنا الهمداني بالضبط . لم يصل إلى علمنا أين ولد وفي أي بلدة كان مقر إمارته من حضر موت وحتى ما رجحه صاحب تحفة الأعيان من وفاة الخليل سنة ٤٢٥ هـ . يتعارض تعارضاً واضحاً مع ما ثبت من أن الصليحي كان يدعو للمستنصر الفاطمي الذي تولى الحكم في مصر سنة ٤٢٧ هـ . وإن الصليحي أعلن ثورته في اليمن سنة ٤٢٩ هـ . وأنه كتب للمستنصر يستأذنه في إظهار الدعوة له سنة ٤٥٣ هـ . في حين أن أبا إسحق كان يستنجد بالخليل بن شاذان على الصليحي هـذا . فيجب أن يكون الخليل على قيد الحياة إلى ما بعد ٤٥٣ هـ . ليصح استنجاد الهمداني به على الصليحي .

لقد كان ترجيح صاحب تحفة الأعيان إذن لتحديد وفاة الخليل يحتاج إلى إعادة نظر .

ويقول الباروني أن أبا إسحق عمر زمناً طويلاً ورزق ذرية صالحة وتوفى حال حياته ولداه محمد وأبو الحسن بعد أن تنورا بأنوار العلوم وتهذبا بمحاسن الاخلاق والآداب وبلغا في المعرفة مبلغاً عظيما فعظم عليه فقدهما ورثاهما بقصائد بعضها مثبوت في ديوانه .

والحديث عن أبي إسحق هذا هو آخر العهد بالمعلوم لدينا من تاريخ الأباضية في حضرموت فلا نعلم عنهم أكثر من أن الأباضية بقيت على جانب من القوة والمنعة الى عهد الفقيه المقدم المتوفي سنة ٦٥٣ هـ. حيث أخذ ظلها يتقلص بفضل الحملات التي تثار ضدها حتى انمحت تماماً وحل محلها مذهب الأشاعرة السنيين في الأصول ومذهب الشافعي في الفروع .

غير أن المتتبع لتاريخ سلاطين آل راشد الذين ظهروا في الميدان السياسي منذ اوائل القرن السادس يجد أن خلافاً واضح الأثر بين بعضهم وبين كبار أنصار السنة من العلويين فهل كان هؤلاء السلاطين ممن يذهبون مذهب الأباضية ؟

اسمع ما يقول المشرع الروي بالحرف الواحد في ترجمة علوي بن محمد صاحب مرباط المتوفي سنة ٦١٣ هـ. :

« وكان السلطان في ذلك الزمان من آل قحطان قد أضمر له السوء مراراً وكان يظهر له الصداقة جهاراً فرقاً من توجه الناس إليه وخوفاً من أن يأمرهم بالخروج عليه فأعمل فيه مكره وسقاه السم المرة بعد المرة ، فلم يعمل فيه ولم يضره » .

ونقل الشيخ محمد بن عبدالله باسودان أن بعض أئمة ذلك الزمان كلف العلويين بإثبات نسبهم بالطريقة القضائية وكان الحامل له على تكليفهم بعض من عنده نزعة أباضية ... فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى البصرة وأثبت نسبهم عند قاضيها وأشهد على إثبات القاضي نحو مائة شاهد ممن يريد السفر للحج ورقب بمكة حجاج حضرموت وقال صاحب البضائع إنه بذلك انتهى الهمس والتقطيب وانقطعت لسان كل خطيب . وعلي بن محمد بن جديد هذا عاش في أيام آل راشد وتوفي بالحجاز سنة ٦٢٠ هـ.

ويذكر صاحب المشرع أيضاً أن سلطان تريم امتحن الإمام سالم بن بصري بأشياء تزعزع رواسي الجبال وتخجل أكابر فحول الرجال ونحن نعرف أن الإمام

ابن بصري هذا من ألد أعداء الأباضية وكان يحارب بدعتهم وينال منها جهراً ويذكر صاحب البضائع أن العلامة سالم بن بصري قتل في يوم الجمعة ٢٣ رجب سنة ٦٠٤ هـ. فمن هو السلطان الذي امتحنه ولماذا ؟ ومن ذا الذي دبر مقتله ؟ وما هي الظروف التي أحاطت بهذا القتل أو الاغتيال ؟

ولنترك الأباضية تجود بأنفاسها في نهاية القرن السابع الهجري لنستمر في توضيح معالم التاريخ الحضرمي .

فوضى واضطراب :

مرت بحضرموت بعد الإسلام قرون طويلة كانت فيها مسرحاً للفوضى والاضطراب إذ لم تستطع سلطة ما طوال تلك المدة أن تحتفظ بكيانها وتوطد دعائمها وتضع بنيانها على أساس ثابت نتيجـــة الضعف المادي والإداري الذي اتصفت به جميع السلطات المحلية التي حاولت أن تفرض وجودها أثناء تلك الفترة الطويلة من تاريخ حضرموت .

وحال بعـــد المسافة وصعوبة المواصلات وقلة موارد القطر الحضرمي في أسباب أخرى دون استقرار سلطة الحكومات الإسلامية الخـــارجية في حضرموت استقراراً يمكنها من الإنشاء والبناء فظلت البلاد عرضة لتعـــاقب سلطان القبائل المحلية التي ليس لأفرادها من المؤهلات ما يمكنها من القيـــام بواجبات الحكم وتبعاته .

وإذا كانت الفوضى والاضطراب ظاهرة ملموسة في كثير من فترات التاريخ الإسلامي لحضرموت فإن الفترة الواقعة ما بـــين القرن السادس الهجري الى أوائل القرن العاشر كانت من أبرز عهود التاريخ اضطرابا وفوضوية .

وفضلا عن الاضطرابات الداخلية في البلاد الحضرمية فقد كانت حضرموت في صراع مستمر مع الطامحين من حكام اليمن الأقوياء لا تتخلص من احتـــلال

حتى تنشب فيها أظفار احتلال آخر ، ولا تهدأ فيها حرب إلا لتندلع نيران حرب أخرى ولا تنتهي من هجوم الا لتواجه هجوما أشد منه وأنكى فقد رأينا كيف تعرضت لهجمات ملوك آل زياد واليعافرة اليمنيين ، ثم كانت هدفا لغزوات القرامطة وآل زريع والصليحيين في القرن الخامس الهجري .

ودخل القرن السادس فكان بداية التطاحن والعراك الدموي بين آل راشد ورجال الغز وهم المهاجمون من العساكر الأيوبية وجيوش ابن مهدي اليمني وغير هؤلاء من العشائر الوطنية من نهد وبني حارثة[1] وبني حرام وغيرهم .

وآل راشد هؤلاء قبيلة من حمير القحطانية شقوا طريقهم الى الحكم في موجة من الفوضى والتناحر على النفوذ والسلطان وذهب كثير منهم ضحايا الحروب التي نشبت في القرن السادس في سبيل التنازع على السيطرة والطمع في الاستيلاء ، وكان منهم السلطان عبد الله بن راشد المشهور له بالعلم والورع والعدل والاستقامة . بويع له آخر بيعة سنة ٦٠٦ هـ . واستولى على جميع وادي حضرموت ولذا نسب إليه فسمي وادي ابن راشد وكان قبل ذلك موزعا بين الرؤساء مفرقا بين الطوائف يتحكم كل رئيس في ناحيته تحكم الأمير في مملكته .

وفي أثناء حكم آل راشد غزا حضرموت عثمان الزنجيلي وكان واليا على عدن من قبل صلاح الدين الأيوبي فوصلت الى الشحر قوة كبيرة من اليمنيين والغز في سبع سفن سنة ٥٧٦ هـ . فاحتلتها ، ثم تقدمت الى الداخل حيث اعترضتها قوة عسكرية من أتباع شجعنة بن راشد لم تثبت أمامها فواصل الجيش زحفه حتى احتل تريم ومريمة وشبام وغيرها .

ولكن الحضارم سرعان ما انتقضوا في نفس السنة ودخل عبد الباقي بن احمد بن راشد الى تريم وفيها الغز بعد أن حاصرهم فيها واستمرت الحرب سجالا بين الغز وأهل حضرموت مدة طويلة تواليهم طائفة وتناوئهم اخرى

---

١ – بنو حارثة هؤلاء من بني الأشرس من كندة وكانوا يسكنون أسفل الوادي ما بين مريمة وبور ومعهم من حمير طائفة من بني هذيل .

وتكرر هجومهم على حضرموت وتعددت غاراتهم في الساحل والداخل فهجموا على حجر وميفع والشحر وشبوه وعمد والريدة وعندل والهجرين وفي سنة ٦١٠هـ. دخلوا الشحر وكان عبد الباقي بن فارس بتريم فساد الى الشحر في جماعة من أهل تريم بعد ان وقع الاتفاق بينه وبين الغز على ان يعطيهم خمسة آلاف ريال ويتخلوا عن بلاده فانصرفوا بعد ان دفعها لهم .

وفي جمادي الأولى من سنة ٦١٤ هـ. عاود الغز هجومهم بقيادة عمر بن مهدي اليمني فاستولوا على الشحر بعد ان نكلوا بولاتها آل فارس ثم استولوا على عرف بعد قتال وعلى الفيل الأسفل ، ثم دخلوا تريم بعد حصار واخرجوا منها السلطان عبدالله بن راشد واتجهوا الى شبام بعد ذلك فاحتلوها بعد قتال شديد مع بني حارثة ويصفو وادي حضرموت كله لابن مهدي سنة ٦١٧هـ. ويبني حصن شبام سنة ٦١٨ هـ . ويحفر خندقا يحيط بها ويحتل وادي دوعن بأسره .

وعاد ابن مهدي الى اليمن لمقابلة الملك السعودي الأيوبي بتعز ثم رجع ليجد حضرموت قد انتقضت عليه فيمر بحجر ويقاتل أهلها ثم يأتي الى روعن وشبام وكانت قد انتقضت هي أيضاً كما انتقض بنو سعد وبنو ظبيان وفهد كلها والبلاد ثائرة والمطامع الفوضوية والنعرات القومية قائمة على سوقها وهو يؤدب ويصالح وكلما أخضع قبيلة انتقضت عليه أخرى .

ولم يطل المقام بابن مهدي في حضرموت ، فقد هجمت قبائل فهد على شبام بعد حصار دام أياماً واستولت عليها بعد أن قتلت عمر بن مهدي ، وكان ذلك سنة ٦٢١ هـ. وبذلك انتهى حكم الأيوبيين في حضرموت ، ثم اندفعت فهد حتى دخلت تريم وبها عبد الرحمن بن راشد واستولت على جميع بلدان حضرموت وأخرجت أولاد عبد الله بن راشد من سجن ابن مهدي .

ويقول الأستاذ ابن هاشم[١] أنه في هذا الوقت بدأت سلالة كثير تفكر في

---

١ - في كتابه تاريخ الدولة الكثيرية .

إيجاد كتلة وطنية قوية تقبض على ناصية البـــلاد ، وتقوم بإصلاحها على أسس وقوانين الحكومات النظامية تنقذ الوطن من فتنه المتماوجة ، ثم قال :

« يظهر لمن تتبع مجاري السياسة الكثيرية في ذلك العصر وقيامها على مبدأ التقرب من مشائخ العلم والصلاح في العلويين وأنصار السنة بتريم وبيت جبير كآل باعباد وآل باجمال وغيرهم وتبركها بآثارهم ودعواتهم ... أنها ترمي من بعيد إلى أنها إنما تسعى لمحو آثار ذلك المذهب الأباضي الذي كوفحت دولته وصولته وانتهت مدته وشدته ، وقضي على البقية الباقية منه سنة ٥٦١ هـ. بشبام وأنها تود أن تشيد على أنقاضه دولة سنية شافعية المذهب نزيهة الاعتقاد تسعد بها البلاد ويرتاح بها القطر مما يكابده من الأهوال والويلات .

ويروي الأستاذ ابن هاشم أن آل كثير هم الذين ألبوا أساطين الحول والطول ورجال النفوذ الروحي والمادي ضد افتتاح نهد لمنطقة السليل سنة ٦٠١ هـ. حتى فشلت خطتهم وتلاشت بأسرع ما يكون ، فقد ذكروا أنه في هـــذا العام اقتسمت نهد السليل ، فأخذ بنو معروف ومرة شبام والحول (الفرفة) وتريس واختص بنو سعد وظبيان بحبوظة وسيؤن ، وانفرد بنو ظنة ببـور ومسيب ومريمة .

وقد عادت نهد سنة ٦٢١ هـ. فاستولت على شبام وتريم وجميع بلدان الوادي ، كما سبق بعد أن قتلت عمر بن مهدي في شبام ، ولكنها ما عتمت أن زحزحها مسعود بن يماني بن لبيد الظني الكناني ، واستولى على هذه البلدان في السنة نفسها .

ومسعود هذا هو مؤسس دولة آل يماني بتريم الذين دام ملكهم مدة طويلة وتوفي بتريم سنة ٦٤٨ هـ. ، وقد تولى بعده ابنه عمر المتوفي سنة ٦٧٥ هـ. ثم يماني ابن عمر المتوفي سنة ٧١٤ هـ. ، ثم عبد الله بن يماني المتوفي سنة ٧٤٥ هـ. ثم أخوه أحمد بن يماني ، ثم محمد بن أحمد المتوفي سنة ٧٦٩ هـ. ، ثم تنازع الولاية بعـده ابنه عبد الله وابن أخيه راصع بن دويس ، وقد بقيت دولة آل يماني إلى سنة ٩٢٧ هـ. حيث قضى عليها بدر أبي طويرق الكثيري .

وكان آل كثير قد اختطوا في وادي بوحة مدينة عينات الجنوبية عند السفح وهي عينات القديمة ، وأخذوا يرتادون لأنفسهم نقطاً مواتاً يحتلونها ليجعلوا بها مواقع حربية لتنفيذ خطتهم ، فلم يرق ذلك في عيني يماني بن جعفر زعيم بني حرام ، فحاربهم سنة ٦٣١ هـ. وهجم عليهم سنة ٦٣٢ هـ. وحصر مشطة وعينات .

وحدث ان استولى ابن اقبال سلطان الشحر على تريم وشبام وما بينهما بالشراء ، فاستنصر به بنو حرام على آل كثير ، فجهز جيشاً وحصر مشطة ، ثم عسكر قريباً من عينات ، ولكنه لم يظفر بطائل ثم انقلب ابن اقبال ضد بني حرام ، فبطش بهم وقتل سبعة من زعمائهم في حصن الرناد بتريم منهم يماني بن جعفر نفسه سنة ٦٣٥ هـ.

ويروي بعض المؤرخين أن عامر بن فضالة بن شماخ طرد آل اقبال من شبام وتريم وسيون ، واحتل البلاد سنة ٦٣٦ هـ وفي سنة ٦٣٧ هـ. جمع مسعود ابن يماني رجالاً من آل اقبال وآل أبي قحطان وهجم على تريم ، فهرب أكثر السكان ، ولم تصل جمعة في رجب وشعبان ورمضان .

وآل شماخ هؤلاء وآل فضالة بطنان من قبيلة خيثمة التي انتقلت إلى حضرموت من جبل السراة ، وهي التي خربت قارة بني جشير سنة ٦٠٤ هـ. وخربت قريتي حبوظة وكحلان .

وفي أيام عمر بن مسعود بن يماني قدم امير ظفار سالم بن ادريس الحبوظي الحضرمي طامعاً في الاستيلاء على حضرموت فاشترى مدينة شبام سنة ٦٧٣ هـ. - وشراء المدن والممالك الحكومية في حضرموت تقليد معروف إلى عهد قريب جداً - واستولى على كثير من قرى ومدن حضرموت مثل دمون والعجز والفيل الأعلى وسيؤن وغيرها وأقام ثلاثة شهور محاصراً ابن مسعود في تريم وحاول ابن مسعود أن يستنجد بالغز فقد أرسل ابنه يماني أثناء الحصار ليجند منهم جنداً يستخدمهم في أغراضه الحربية فعاد خائباً .

واشتدت الفتنة على تريم وخلت البلاد من أهلها وعم الخراب وعـــاد الحبوظي إلى ظفار تاركاً آل كثير نواباً عنه في حضرموت وكانوا قد أسرعوا إلى موالاته والدعاية له وتولى شؤونه العسكرية . وفي سنة ٦٧٧ جهز الحبوظي على الشحر من البحر والبر عند ما بلغه استيلاء الغز عليهـــا وهرب سلطانها ابن شجعنة إلى الجبال فدارت معارك بينه وبين الغز انتهت بفشله وعودته خائباً إلى ظفار .

وكانت علاقة الحبوظي بالمظفر الغساني ملك بني رسول في اليمن حسنة فقد علم أن الحبوظي يفكر في الهجوم على عدن وأنه هو الذي شجع حاكم الشحر راشد بن شجعنة على خلع طاعة بني رسول وكان يدفع إليهم خراجاً سنوياً فاغتاظ المظفر غيظاً شديداً وجهز إليه جيشاً كبيراً استولى على ظفار سنة ٦٧٨ هـ. بعد أن قتل سالم بن إدريس الحبوظي في المعركة التي دارت بالقرب من ظفار عاصمة مملكته وبذلك انتهى ملك بني الحبوظي في ظفـــار وحضرموت ودخلت البلاد تحت سلطان بني رسول حكام اليمن مع العلم بأن السلطة اليمنية في حضرموت كثيراً ما تكون غير فعلية فتكتفي بالنفوذ الاسمي وتترك شؤون البلاد لمن يواليها من أصحاب السلطات المحلية .

وتشبث آل كثير بما في أيديهم من البلدان التي كانوا يحكمونها باسم الحبوظي وأعلنوا استقلالهم بالأمر فيها وضاعفوا من جهودهم في التقرب إلى رجال الدين لكسب مودتهم وكان الشيخ محمد بن عمر باعباد الذي بنى الغرفة سنة ٧٠٠ هـ. وابنه عبدالله القديم في مقدمة الذين لا يقصرون في نصرة آل كثير وتنشيطهم وترويج مشروعهم بين الدهماء علاوة على ما يقوم به العلويون[1] من الجهة الأخرى من حسن الدعاية وتمهيد السبيل .

وأصبحت أغلبية قرى السليل خاضعة للنفوذ الكثيري ما عدا قرية (بور) فقد رفضت قبيلة آل بانجار التسليم ولم تنجح الوساطات الكثيرة للوصول إلى

---

١ – تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم .

حل سلمي فهجم آل كثير على بور واستولوا عليها بعد أن قتلوا جماعة من آل بانجار سنة ٧٢٣ هـ .

وفي هذا القرن الثامن أخذ الصفو يتعكر بين آل كثير وقبائل الظلفان سكان هينن فقد ضاق هؤلاء ذرعاً بتطاول آل كثير إلى بسط نفوذهم على أكبر مساحة من البلاد ولم يطيقوا صبراً على تحككهم بمحاسيبهم والمستجيرين بهم الأمر الذي أدى إلى نشوب الحرب بين الفريقين مدة طويلة دامت أكثر من مائة عام يتوارثها الأبناء عن الآباء .

وأثناء سلطة آل يماني بتريم وقعت حروب بينهم وبين آل الصبرات الذين نازعوا آل يماني سلطتهم مدة من الزمن وكذلك آل أحمد فقد عرفهم هـذا القرن كقوة تحاول أن تدلي بدلوها بين الدلاء فتساعد في اضرام نيران الفتن وترويع الآمنين .

السلطنة الكثيرية

وما انعدم القرن الثامن حتى كانت الدعاية لآل كثير قد خطت خطوات واسعة وأصوات المعارضين من طلاب السلطة خافتة ومكايدهم ضعيفة . فبدأت السلطة الكثيرية حينئذ تجري على نظام وتدبر ممتلكاتها وشؤونها بحكمة ورزانة وتتزلف إلى أهل الفضل والعلماء[1] وتقبل شفاعاتهم حتى تمنى أولئك الذين لا يزالون تحت لواء آل أحمد والصبرات وغيرهم أن تظلهم الراية الكثيرية وتسري عليهم سلطتها .

وفي سنة ٨١٤ غادر علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر ابن كثير بلدة بور مسقط رأسه واتصل بالشيخ علي بن عمر باعباد وغيره من رجـال الصلاح[2]... وكانوا يعدونه بالاستيلاء على ظفار وجميع بلدان حضرموت فاشتد علي بن عمر بذلك وشرع يذلل العقبات ويزحزح الحواجز

١ - تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم .
٢ - نفس المصدر .

ويحارب ويغزو حتى استتب له الأمر واستحق لقب سلطان، وهو أول من نصب سلطانا على حضرموت من آل كثير التي كانت الى وقته متفرقة بين ولاة كثيرين وهو أول من حول القبلية الكثيرية الى دولة منظمة .

وتوفى السلطان علي بن عمر سنة ٨٢٥ هـ . بعد أن دانت له ظفار وشبام وكثير من مدن الوادي وقراه وبعد أن أمضى أكثر حياته في قمع الحركات المعادية وإخضاع الثوار وقد استمرت ظفار في يد الدولة الكثيرية الأولى إلى أن أفل نجم هذه الدولة منها سنة ١١٣٠ هـ .

وآل يماني حكام تريم هم الذين لاقى منهم آل كثير أشد الصعوبات في سبيل تحقيق مطامحهم وقاسوا منهم أمرّ العناء فقد قاموا بهجوم مشترك ضد آل كثير سنة ٨٢١ هـ . منهم ومن محمد وآل يعقل ، ثم انهزموا بعد معركة عظيمة وصدوا هجمات آل كثير المتكررة على تريم في قتال عنيف وفي سنة ٨٤٤ هـ . كان عبدالله بن يماني بن محمد بن راصع بوادي العين في طريقه الى اليمن حيث أدركه آل كثير ومعه ذهب كثير وفضة ليجهز به جيشا يقاتلهم به فقتلوه وأخذوا ما كان معه من مال .

وفي سنة ٨٤٥ هـ . ثار آل يماني أيضاً مآل أحمد والصبرات وآل ثعلب وصاحب مريمة وآل جميل في جفل وغيرهم، وطبيعي أن يكون هم القائمين بالأمر من آل كثير إخضاع هذه الثورات المستمرة والاستعداد للطوارىء من أمثالها وهكذا لم تتفرغ حكومة ما في حضرموت أثناء هذا التاريخ الطويل بعد الاسلام لأي عمل اجتماعي أو اقتصادي ثابت نتيجة لهذا التزعزع في الميدان السياسي وعدم الاستقرار .

وكان آل كثير قد استولوا على الشحر في ضمن ما استولوا عليه من مدن حضرموت الهامة فانتزعها منهم سعيد بن مبارك بادجانه الكندي سنة ٨٣٨ هـ . وبعد وفاته قام بالأمر فيها ابنه محمد الذي حاول احتلال عدن فأسره حكامها

من آل طاهر وقاموا برد فعل فاحتلوا الشحر وأعادوها إلى آل كثير سنة ٨٦٨ هـ[1].

ويروي ابن هاشم أن رجال السادة العلويين كثيراً ما كانوا ينشطون الأمير جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر الى القيام بنصرة قومه والتصدي لنيل السلطنة لما يعلمونه فيه من الرأي الثاقب والورع الحاجز وقد ضمه يوماً في حوطه سلطانه مجلس مع الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف فاقترح هذا عليه أن يكون سلطاناً في بلد بور المستعصية وأكد له أن واليها قد تعب من ولايتها وأنه يستطيع أن يقنع واليها بالتنازل عن الولاية لجعفر، وكان الأمر كذلك فقد ذهب الأمير جعفر إلى بور وتولاها صفواً عفواً ولم يزل بها سلطانا حتى تآمر عليه الظلفان فقتلوه سنة ٩٠٥ هـ .

وجعفر هـذا هو جد السلطان العبقري العظيم بدر بن عبد الله بن جعفر الملقب بأبي طويرق المتوفي سنة ٩٧٧ هـ . والذي استعان بالاتراك في إخضاع القبائل الحضرمية وقبل أن تكون بلاده تابعة للحكومة العثمانية التي يرأسها حينذاك السلطان سليمان القانوني وهو الذي صد هجمات البرتغاليين المتكررة على الشحر وأسر عدداً كبيراً منهم سنة ٩٤٢ هـ . وفي أيامه دخلت تريم نهائيا تحت حكم آل كثير وقضى على آخر سلطة آل يماني بها .

وكان الجزء الأخير في حكم أبي طويرق عبارة عن سلسلة ثورات عنيفة قام بها زعماء القبائل وطلاب السلطة فثارت دوعن والهجرين وعمد ونهد والمهرة وقبائل الحموم وسيبان وبعض الأمراء من آل كثير في شبام وعبيد آل يماني وغيرهم وكانت أخطر هذه الحروب وأهمها هي حروب بدر مع العمودي في دوعن .

فقد كان الشيخ عثمان العمودي خصما لدوداً لأبي طويرق . عارض سياسته

---

١ – في تاريخ حضرموت في شخصيات تفصيل لهذه الحوادث .

وألب عليه القبائل وآثارها عليه حرباً شعواء ولم تؤثر في معنويته تلك البنادق الجهنمية التي كان يتسلح بها جنود بدر والتي أمدهم بهـــا مصطفى أغا قومندان الأسطول التركي .

ولما رضخ أبو طويرق لسلطان الأتراك وأعلن تبعية بلاده لسليان القانوني عاهل الترك أعلن العمودي عدم موافقته على هذا التصرف وانحاز الى إمام الزيدية في اليمن وكون بذلك جبهة سياسية تعارض سياسة أبي طويرق وظل خلفاؤه من آل العمودي موالين لأئمة اليمن الزيود مدة حكمهم السياسي في دوعن على العكس من آل كثير الذين لم تكن علاقاتهم دائماً بأئمة اليمن على ما يرام .

وقـد استمر حكم آل العمودي في دوعن مدة طويلة تبتدىء في أوائل القرن التاسع الهجري تقريبـاً حتى ضم أخيراً الى ممالك السلطنة القعيطية سنة ١٣١٧ هـ .

وفي أوائل القرن الحادي عشر الهجري بدأ تدخل أئمـة اليمن من الزيدية في شؤون حضرموت يتخذ شكلا عمليا فقد ذكروا أنه لمـــا استولى الإمام الحسن بن القاسم كتب لسلطان حضرموت وأعيانها كتبا يدعوهم الى طاعته ويحذرهم من مخالفته ، وكان من بـين الذين ردّوا على الإمام الزيدي السيد علي بن عبد الله العيدروس المتوفي سنة ١٠٤١ هـ . وكان هذا كما يقول صاحب المشرع مبالغا في تحصيل التعظيم لدولة آل كثير قائماً للمخالفين عليهم بأنواع الحيل والتدبير ، وكان هو الذي يتولى الرد على بعض رسائل الملوك التي ترد إلى السلطان .

وقد أورد صاحب المشرع نص الرسالة التي رد بها العيدروس على الحسن بن القاسم وهي صريحة في رفض الإذعان لطاعة الإمام والتمسك الصريح بمذهب أهل السنة في الأصول والفروع التي تختلف اختلافا جوهرياً مع مذهب الزيدية .

وتوفى الحسن بن القاسم سنة ١٠٥٤ هـ . وتولى بعده أخوه المتوكل اسماعيل

الذي استطاع أن يضم حضرموت إلى مملكته ويخضعهـا لنفوذه فقد كتب إلى السلطان بدر عبدالله بن عمر الكثيري سنة ١٠٦٧ هـ . يقول له :

« وقد أرسلنا إليكم القاضي شرف الدين الحيمي لأخذ البيعة وليساعدكم في أمور الإصلاح ونشر أحكام الشرع ونصب النواب والحكام وإحياء السنة ومحو آثار البدع والتذكير بحق الله ورسوله وحق أهل بيته والمطهرين والالتجاء الى أهل البيت في الأحكام الشرعية والعقائد ... وأخذ ما أمر الله بأخذه من الصدقات والأخماس ورد المظالم وصرف القدر الذي أمرنا بصرفه في مواضعه وإيصال ما أمرنا بإيصاله إلينا لنضعه حيث أمر الله » .

وكان السلطان بدر بن عبدالله هذا يحـــاول إبعاد الزيدية عن التدخل في سياسة السلطنة الكثيرية وقد سبق منه أن اعتقل عمه بدر بن عمر الذي كان مواليا لأئمة اليمن وأشيع عنه اعتناقه المذهب الزيدي وطفق يجمع آل كثير والشنافر ويعقد المؤامرات السرية ضد عمـه بدر ويهول لهم الأمر في موالاته للزيود وأنه سيسهل لهم احتلال حضرموت ويساعده في ترويج هـذه السياسة والدعاية لها كثير من العلويين وغيرهم من العلماء ورجال الدين .

وظل السلطان بدر بن عبد الله بعد أن اطلق سراح عمه وتنازل له عن ولاية ظفار بأمن من الإمام يتظاهر بالولاء والطاعة للمتوكل اسماعيل ويعمل سراً لمعاكسته ومحاربة أنصاره في حضرموت ، الأمر الذي سبب توتر العلاقات بينهما حتى اضطر المتوكل الى توجيه إنذار نهائي زحف على اثره إلى حضرموت بجيش كثيف سنة ١٠٧٠ هـ. حيث احتلت جيوش الإمام جميع البلاد الحضرمية واعادت السلطان بدر بن عمر الى السلطنة ومنعت الزيدية اثناء احتلالها لحضرموت تلاوة راتب الحداد وأمرت بأن يزاد في الأذان حي على خير العمل مجاراة المذهب الزيدية في صيغة الأذان عندهم .

وبعد وفاة السلطان بدر بن عمر سنة ١٠٧٣ هـ . امر المتوكل اسماعيل ان يخلفه في السلطنة ابنه محمد المردوف فتولاها بعد ابيه إلى ان مات وكان محمد هذا

حازماً صارماً شديد الوطأة على العشائر المتسلحة ، وقد اعمل بطشه وتنكيله بالشنافر من آل كثير بأقل حق وأدنى سبيل لقيامهم مع السلطان بدر ابن عبدالله ضد أبيه وأضعف ما لديهم من شوكة حتى ألحقهم بمستوى العزل من السلاح .

وظلت البلاد خاضعة خضوعاً اسمياً للنفوذ الزيدي إلى أوائل القرن الثاني عشر الهجري يتمثل في الخطبة يوم الجمعة باسم الإمام وما أشبه ذلك من المظاهر الاسمية .

وفي أوائل هذا القرن سنة ١١١٣ هـ. وكانت البلاد تموج بالأحقاد والأضغان حيث انقسم الناس سياسياً ومذهبياً إلى فريقين . فريق يجنح الى الزيدية ويفضل سلطة الأئمة وهم أتباع آل علي بن عبدالله بن عمر الكثيري وفريق يؤيد سلطة الشوافع من يافع التي تعضد السلطان بدر بن محمد المردوف ويعضدها .

كان بدر بن محمد المردوف شاعراً بضعف مركزه أمام التيارات المتعاكسة في سلطنته ولم تبق لديه قوة غير الجنود من يافع التي أصبح هو نفسه تحت سيطرتها وانقضت البلاد كلها عليه وعارضه كثير من بني عمه فرأى أن يستزيد من الجنود اليافعيين ليستعين بهم على حفظ مركزه المتزعزع ، فشخص إلى يافع وقدم ستة آلاف مقاتل منهم واستولى بهم على جميع حضرموت سنة ١١١٧ هـ .

ولكن هؤلاء الجنود الذين استقدموا لتعزيز الدولة الكثيرية وتعضدها وجدوا الفرصة سانحة والظروف مهيأة للتغلب على الحكم في البلاد وزحزحة الدولة الكثيرية عن مراكزها داخل حضرموت وساحلها .

واشتدت الخصومة سنة ١١١٩ هـ. بين آل بدر بن عمر برأسهم السلطان بدر بن المردوف وبين آل عبدالله بن عمر برئاسة السلطان عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر وكان هذا حاقداً على يافع لتدخلهم في شؤون السلطنة الكثيرية فحاول عدة محاولات لإيقاف التدخل اليافعي عند حد فلم يستطع ، واضطر أخيراً إلى السفر من حضرموت يائساً حتى توفي بمسقط من أرض عمان .

ولم تطل حياة ' بالسلطنة الكثيرية بعده، فقد قضي عليها تماماً واختفت من من الوجود في عهد ابنه جعفر بن عمر في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وأصبحت حضرموت في يد عشائر يافع الذين كونوا لهم سلطات متعددة في كثير من مدن وقرى الساحل والداخل وكان لغير يافع من القبائل والسادة والمشائخ نفوذ محدود أيضاً داخل مناطقهم التي يسكنونها .

وكانت هذه المدن والقرى الآتية تخضع لنفوذ يافع مباشرة : في تريم آل لبعوس وفي سيؤن آل الضبي وفي تريس آل النقيب وفي مريمة آل البكري وفي جفل آل الرباكي وآل النقيب وفي شبام الموسطة وفي غيل بن يمين الشناظير وفي ريدة المعاره كلد وفي حوره آل النقيب وفي حريضه بن بريك وفي لحروم القعيطي وفي سدبه الجهوري وفي الهجرين آل يزيد وفي القزه آل البطاطي وفي الشحر آل بريك وفي المكلا الكسادي وفي كل مدينة أو قرية تقريباً سلطة مستقلة يافعية أو غير يافعية .

وطبيعي والحالة السياسية على هذا المنوال أن يحصل بين هذه السلطات من التناحر وإراقة الدماء وإهلاك الحرث والنسل وقطع السبل وترويع الآمنين ما يدمي تصوره الافئدة ويقطع نياط القلوب .

وفي النصف الأخير من القرن الثاني عشر زحف إلى حضرموت حسن وهبه المكرمي الأباضي بأربعة آلاف جندي من جهـــة عمان وكان يتظاهر بنصر الشريعة الغراء ويدعي أنه إنما جاء لمحو سلطة الطاغوت ولم يلبث أن أظهر دعوته إلى مذهب الاباضية فانقلبت الدعاية ضده ونفر الناس منه .

وقد اضطربت حضرموت لقدومه وظل الناس في خوف شديد منه وأقام مدة محاصراً لشبام ثم رحل عنها بعد أن هلك من رجاله العدد الكثير واضطر إلى المصالحة بعد أربعين يوماً .

وفي سنة ١٢١٨ هـ. قدم من جاوا والهند جعفر بن علي بن عمر بن جعفر

الكثيري وحاول إعادة دولة آل كثير وزحزحة يافع عن البلاد وناصره جماعة من السادة آل العطاس وآل البار وآل الحبشي والسيد أحمد بن عمر بن سميط فاستولى على شبام بعد أن دحر يافـــع عنها ثم استولى على وادي عمد وبعض دوعن وحورة والكسر وحاصر يافع في سيؤون سنة كاملة ثم انقلب عنها خائباً وحاول الاستيلاء على تريم أيضاً فلم يفلح .

ثم اصطدم بمنصب عينـــات السيد أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر الذي استقدم جنوداً من يافع لحرب الأمير جعفر بن علي ، ودامت الحرب مدة ، دب الوهن أثناءها إلى صفوف عساكر الأمير جعفر . فمرض ومات آسفاً بالمحيضرة من ضواحي تريم سنة ١٢٢٣ هـ .

وبوفاته انحصرت سلطة أبنائه وخلفائه من آل كثير في شبام فقط ، يجاذبهم حبل السيطرة فيهـــا بعض قبائل الموسطة من يافع وعلى أنقاض هذه الإمارة الصغيرة قامت دولة آل عيسى بن بدر الكثيري في شبام سنة ١٢٣٩ هـ. الذين كان آخرهم منصور بن عمر الذي قتله يافع في شبام سنة ١٢٧٤ هـ. وبقتله دخلت شبام تحت سلطة القعيطي .

وفي سنة ١٢٢٤ هـ. وصـــل الى حضرموت ناجي بن قملا النجدي بجيش عرمرم من قبائل الدرعية فاكتسحوا القطر الحضرمي واضطر القبائل من نهـــد ويافع والشنافر إلى محالفتهم ودخلوا تريم وكسروا قببها وحرقوا كتبها وحبسوا مناصب الجبهة ومنعوا الأذكار والتذكير .

ويقال بأن عبدالله بن يماني التميمي وعبدالله بن عوض غرامة اليافعي حاكم تريم إذ ذاك تعهدا له بنشر مبادىء الوهابية ومحاربة الخرافات بحضرموت. فعادوا راجعين إلى بلادهم بعد أن أقاموا بحضرموت اربعين يوماً فقط وكان زحفهم هذا للمرة الثانية فقد سبق لهم ان زحفوا على حضرموت قبل سنوات في عهد الأمير جعفر بن علي الكثيري الذي مر ذكره آنفاً وقد استطاع الأمير جعفر ان يردهم من غرب شبام فعادوا من حيث اتوا .

وفي هذا القرن (الثالث عشر) بذلت محاولات من بعض السادة العلويين لإقامة حكومة قوية في حضرموت تقضي على تعدد السلطات وما ينتج عنهـا من فوضى واضطراب وإراقة دماء فكاتب بعضهم محمد علي باشا خديوي مصر طالباً إليه ان يمدهم بجيش يدوخ به البلاد ويقيم لها والياً عدلا فلم يستطع محمد علي ان يحقق هذا الرجـاء واكتفى بأن اصدر فرماناً للمقدم علي بن عمر بن قرموص بإشارة من العلويين ليكون والياً على البلاد .

وفشلت هذه الفكرة في مهدها فاتجهت انظارهم إلى إمام اليمن وفاوضوه مكاتبة وسفارة ليسعفهم بما يحقق رغبتهم فـلم يجدوا لديه إسعافاً ولا رغبة فيما فاوضوه فيه .

وبذل بعض العلويين في هذا القرن ايضاً محاولات أخرى لإقامة حكومة محلية يرضون عنها فبايعوا السيد طاهر بن الحسين العلوي المتوفي بمسيلة آل شيخ سنة ١٢٤١ هـ. لينهض بأعباء الحكومة المقترحة ولقب ناصر الدين وحمل السلاح ودعا إلى التسلح وزحف إلى تريم وحاصرها طويلا ثم باءت هذه المحاولات بالفشل كما فشلت محاولاتهم أيضاً في دفـع عمر بن عبدالله بن مقيص الأحمدي اليافعي ليتولى السلطنة سنة ١٢٤٣ هـ. وقد جمعوا له الأموال وابتاعوا له مدفعاً واشتروا له حصن مطهر ليجعله قاعدة حربية لسلطنته فلم تستمر هذه السلطنة أكثر من سنتين فقط، دخلت بعدها في خبر كان .

وهكذا قدر للشعب الحضرمي المسكين أن يدفع ثمن هذه الفوضى السياسية غالياً من حاضره ومستقبله ومقدرات بلاده فقـد كانت هذه السلطات بحكم تعددها وضعفها وتنافسها وجهلها سبباً في فقد الأمن وعدم النظام وخراب العمران وسوء الحالة الاقتصادية وانتشار الجهل والاستبداد بالضعفاء إلى غير ذلك من الأضرار الاجتماعية التي تنجم عادة من وجود الفوضى السياسية والاستبداد المطلق الذي يخنق الحريات ويقضي على كل حركة ترمي إلى إسعاد الشعوب ورفاهيتها .

وفي هذه المدة نشأ غالب بن محسن الكثيري المولود سنة ١٢٢٣ هـ. في غنيمة بوادي تاربة وهو من احفاد السلطان عبدالله بن عمر الذي سبق ذكره غير مرة وكان هذ الفتى معروفاً بالذكاء وحسن الاستعداد ، ولم يكد يتجاوز العشرين من عمره حتى نزعت نفسه إلى السفر فاتجه نحو الهند سنة ١٢٤٦ هـ. حيث لقي حظوة كبرى لدى نظام حيدر اباد وجمع ثروة طائلة جعلته يفكر في بعث الدولة الكثيرية .

وأعد الرجل عدته لجميع الطوارىء المحتملة فهو يعلم حق العلم أن التفكير في بعث الدولة الكثيرية التي تلاشت أمام سيطرة يافع معناه التعرض لتضحيات جسيمة . وجهود مضنية فلن يتخلى يافع عن مناطق نفوذهم التي أصبحت وطنا لهم ولأبنائهم ولن يتأخر الجمعدار عمر بن عوض القعيطي كبير يافع في الهند وصاحب الطموح الخطير عن إمداد عشيرته من يافع وشد أزرهم بكل مستطاع ولن يسمح بأي عمل حربي ضدهم أو أي طمع في الاستيلاء دون أن يقاومه ويستغله لقضاء حاجة في نفس يعقوب ...

ولكن الحياة كفاح في نظر الجمعدار غالب بن محسن لقد صمم على أن يستعيد مجد آبائه مهما كلفه من ثمن فلينزل الى الميدان ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل وبدأت المحاولات الأولى بأن أرسل من الهند أحد أعيان آل كثير للاتصال بأنصار الفكرة من رجالات الشنافر وكبار العلويين ووضع خطة محكمة للسير عليها .

وفي سنة ١٤٦١ هـ . اشتروا بلدة الغرف لتكون نواة للدولة ومركزا لأعمالهم ، ثم اشتروا حصن ابن مطهر بالقرب من تريم واحتلوه بقوة من آل كثير ونشط عبود بن سالم أحد دهاة آل كثير لمحالفة القبائل بدواً وحضراً ، ثم بدأوا الهجوم على تريم التى تسيطر عليها قبيلة لبعوس اليافعية ونشبت الحرب واضطرب الأمن واشتد الحصار على تريم واستمرت الفتنة حوالي سبعة شهور اضطر بعدها عبد القوي غرامه آخر حاكم يافعي في تريم الى التسليم سنة ١٢٦٣هـ.

اتجه الزحف بعد تريم الى سيؤون التي يحكمها آل الضبي من يافع وكان العدد المهاجم كبيراً جداً ، فقد بلغ حوالي ألفي مقاتل ولم تقاوم يافع طويلا وخلصت المدينة لآل كثير بعد خمسة عشر يوماً من بداية الهجوم سنة ١٢٦٤ هـ . ثم حاصروا تريس شهرين كاملين ومنعوا عنها الماء حتى اضطر حاكمها اليافعي من آل نقيب إلى التسليم سنة ١٢٦٥ هـ .

شجعت هذه الانتصارات آل كثير على التفكير في غزو الساحل واحتلال شبام كما نزلت هذه الأنباء على رؤوس يافع نزول الصاعقة وحفزتهم للاتحاد والتعاون ضد آل كثير ونزل الى الميدان عمر بن عوض القعيطي يمد عشيرته من يافع بالمال والرجال والذخيرة والعتاد الحربي فتغير الموقف وتعادلت الكفتان فلم يتمكن يافع من استرداد ما فقدوه من نفوذهم في تريم وسيؤون وتريس ولم يستطع آل كثير إرضاء مطامعهم في التوسع فذهبت محاولاتهم الكثيرة المتعددة لاحتلال شبام والشحر والمكلا سدى .

ووصل الجمعدار غالب بن محسن من الهند الى سيؤون سنة ١٢٧٢هـ. ليشرف على التطورات الحربية بنفسه ، وسير حملات قوية جدا لاحتلال شبام فلم يفلح ، ثم اتجه الى الشحر بثلاثة آلاف مقاتل سنة ١٢٨٣ هـ . فاحتلها بعد أن غادرها أميرها اليافعي علي ناجي بن بريك ، ثم زحف إلى المكلا فكسر دونها بعد معارك شديدة ولم يلبث القعيطي أن انتزع الشحر من آل كثير في نفس العام وبذلك لم يبق لآل كثير أي نفوذ في الساحل وداهمت المنية غالب بن محسن قبل أن يفرغ من إتمام برنامجه الضخم الذي يستهدف بسط نفوذ الدولة الكثيرية الفتية على جميع ربوع القطر الحضرمي ففارق هذه الحياة سنة ١٢٨٧ هـ . عن أربعة وستين عاما حافلة بالجليل الخالد من الأعمال .

وتولى السلطنة بعده ابنه منصور بن غالب المتوفى بعرفات في ذي الحجة سنة ١٣٤٧ هـ . وقد حصلت في عهد منصور هذا حوادث حربية بين آل كثير والقعيطي لم يكن لها كبير دخل في تغيير الوضع الجغرافي والسياسي لدولة آل عبد الله ولكن أهم الحوادث في "عهده" ، معاهدة عدن المنعقدة بين السلطنتين

القعيطية والكثيرية والتي تراضى الفريقان بموجبها على إيقاف الأعمال الحربية وأعلنا فيها عن استعدادهما للتعاون في إصلاح البلاد وكان ذلك سنة ١٣٣٦ هـ .

وآل الأمر بعد منصور إلى ابنه علي المتوفى في شعبان سنة ١٣٥٧ هـ . وقد تم في عهده تعيين مستشار انكليزي لحكومتي حضرموت ، ثم خلفه في السلطنة أخوه جعفر المتوفي سنة ١٣٦٨ هـ . وفي أيامه تعينت الحدود بين الدولتين وجردت حكومة عدن حملة لإخضاع أمير الغرفة عبيد صالح بن عبدات الكثيري في فبراير سنة ١٩٤٥ م.

وبعد وفاة جعفر تولى ابن أخيه السلطان حسين بن علي بن منصور وهو في ريعان شبابه وتجري في عهده الآن عدة إصلاحات إدارية وثقافية واقتصادية بل وسياسية .

السلطنة القعيطية

مؤسس هذه السلطنة الجمعدار عمر بن عوض بن عبدالله القعيطي اليافعي الذي يعتبر بحق أحد العصاميين العباقرة الأفذاذ في تاريخ حضرموت، ولد بقرية لحروم بالقرب من عندل غرب شبام وعندل هذه هي التي عناها امرؤ القيس شاعر الجاهلية الفحل بقوله :

كأني لم أسمر بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوما بعندل

ولا تعرف بالضبط السنة التي ولد فيها غير أنه في حكم المؤكد أنه ولد في أول العقد العاشر من القرن الثاني عشر الهجري وتوفي والده وهو طفل فانتقلت به أمه إلى شبام تحت ضغط ظروف مالية قاسية حيث تعلم هناك مبادىء القراءة والكتابة وحال ضيق ذات يده دون مواصلة تعليمه فآثر الهجرة إلى الهند وكانت إذ ذاك مهجر الكثير من الحضارم الذين يشتغلون هناك بالتجارة أو ينضمون إلى الجندية في جيوش أمراء الهند وبالأخص نظام حيدر أباد .

وهناك تقلب في مراتب الجندية حتى أصبح من القواد الذين يشار إليهم بالبنان في مملكة نظام حيدر أباد وبرزت مواهبه وظهرت آثار عبقريته وطموحه واجتمعت لديه ثروة كبيرة وتزوج ورزق من الولد خمسة هم محمد وعبدالله وصالح وعوض وعلي .

وإذا اراد الله أمراً هيأ أسبابه ، لقد كانت الدواعي متوفرة وأسباب النجاح ميسرة وكل شيء يوحي بنجاح فكرة الأمير عمر بن عوض في الوصول إلى السلطنة .

كانت قبائل يافع في حضرموت مستميتة في الدفاع لأنها تعرف أن هذه المعارك معارك حياة أو موت بالنسبة لها وقد رماهم الدهر ببطلين من آل كثير هما منصور بن عمر في شبام وغالب بن محسن بواسطة دعاته في أسفل الوادي وكانت حملات آل كثير ومؤامراتهم تستهدف جلاء اليافعيين عن حضرموت والاستئثار بالسلطنة دونهم فيثير ذلك من حفيظة يافع ويدفعهم إلى الدفاع والاستهانة بالموت وهم من لا تجهل مكانتهم في الشجاعة والإقدام ولا ينقصهم سوى القيادة الموحدة وجمع الصفوف وتموين الحركة بالمال والذخيرة وهذا ما تكفل به الأمير عمر بن عوض .

وكان الأمير عمر بن عوض مطلعاً على مدى قوة منافسه الخطير غالب بن محسن الكثيري خبيراً بحركات آل كثير واتجاهاتهم عليما بمجريات الأحوال في البلاد الحضرمية ونفسيات القبائل الذين تتكون منهم القوة المسلحة في البلاد .

ووصلت إليه نداءات واستغاثات يافع يستحثونه فيها للإسراع بدرء الخطر الداهم الذي دللت الحوادث على أنهم لا قبل لهم بصده والوقوف أمامه وتجسمت الفكرة في رأس الأمير اليافعي فأخرجها إلى حيز التنفيذ مشروعاً ضخماً نابضاً بالقوة والحياة .

وَجه إلى حضرموت أحد أقاربه عامر بن عوض القعيطي فاشترى له البقعة التي تدعى الآن (الريضة) في وسط منطقة يافع في القطن وشرع يبني فيهـــا الحصون والمباني الحربية سنة ١٢٥٥ هـ. ثم أرسل ابنه محمداً لينوب عنه في تنفيذ الخطط الحربية وعززه بعد ذلك بأبنائه عبدالله وعوض وعلي .

وطفق أبناء الأمير عمر بن عوض عقب وصولهم إلى القطن يجندون رجال القبائل ويبذلون الأموال في شراء العتاد الحربي ويعقدون معاهدات صداقة وعـــدم اعتداء مع قبائل نهد وآل تميم وبعض آل كثير والعوالق وغيرهم واستقدموا من يافع عدداً كبيراً من الجند حتى تجمعت لديهم قوة كافية لانتزاع المبـــادأة بالهجوم من أيدي آل كثير فهجموا على حصون الدفاع عن شبام وأحكموا الحصار على المدينة حتى اضطر حاكمها منصور بن عمر الكثيري الى قبول الصلح على مناصفة شبام بينـه وبـــين القعيطي فتم ذلك في غرة محرم سنة ١٢٧٥ هـ .

ودبر منصور بن عمر عقب دخول القعيطي الى شبام مؤامرة لاغتيال الأمير عوض بن عمر مع كبار مستشاريه من يافع حيث دعاهم لحضور مأدبة في قصره وكان قد وضع أكياساً من البارود تحت البساط المعد لجلوسهم ولكنهم فطنوا الى هذه المؤامرة واكتشفوها فتأخروا عن الحضور .

وقام القعيطي برد فعل سريع حيث هجم على أحد رجال يافع وهو في أحد بيوت شبام وضربه بالسيف حتى سقط جثة هامدة وقتـــل ممن حاولوا الدفاع عنه من آل عيسى بن بدر ومواليهم نحو ثلاثين نفرا ، وبذلك تم احتلال القعيطي لشبام سنة ١٢٧٥ هـ . وحاول آل كثير استرداد شبام باسم غالب بن محسن فحشدوا ما لا يقل عن ألفي جندي في ذي الحجة سنة ١٢٧٥ هـ. فارتدت هذه الجموع عن شبام خائبة بعد معارك شديدة .

وفي نفس العـام اشترى القعيطي بلدة حورة وحصونها ومراكزها بخمسة

آلاف ريال من آل عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري ، وكانت حورة هي المدينة الثانية التي احتلها القعيطي بعد شبام .

وقبل أن تستمر هذه العمليات الحربية في تقدمها توفى الأمير عمر بن عمر في حيدر أباد من أرض الهند في شهر صفر سنة ١٢٨٢ هـ . بعد أن وضع حجر الأساس لدولة أثبتت وجودها وبرهنت بصلاحيتها للبقاء على أنها من خير إمارات الجنوب العربي وإذا لم تتح له الفرصة للعودة الى حضرموت ، فقد كان القائد الأول لجميع الحركات السياسية والعسكرية التي قام بها أبناؤه يوجهها بتفكيره وإرشاداته ويمدها بكل ما تحتاج اليه من مال ومعونة .

وتعاون أبناء الأمير الراحل بعد وفاة والدهم العظيم على إتمام الخطة التي وضعها لهم وإذا لم يكن الأمير عوض بن عمر أسن إخوانه فقد كان ألمعهم إسماً وأبرزهم شخصية وأقدرهم على مواجهة الصعاب والتغلب عليها فأخذ يعالج الشؤون الحربية والسياسية بكل ما عرف عنه من حنكة وسياسة ودهاء ، وهو أول من أطلق عليه لقب السلطان من العائلة القعيطية المالكة ، فقد أصدرت حكومة الهند أمراً سنة ١٩٠٢ م . بأن يطلق لقب السلطنة عليه وعلى خلفائه القائمين بالأمر بعده بدلا من لقب الجمعدار الذي يعبر في الاصطلاح الهندي عن رتبة عسكرية خاصة .

وأدرك السلطان عوض بن عمر بثاقب نظره ضرورة الحصول على منفذ الى البحر تسيطر عليه دولته الناشئة تتلقى بواسطته الإمدادات الحربية والمالية من الخارج وتجعل منه مركزاً لتوسعها في الساحل والحد من طموح منافسها الخطير السلطان غالب بن محسن الكثيري .

وإذا كان غالب بن محسن قد فكر نفس هذا التفكير فسبق الى إحتلال الشحر وطرد أميرها اليافعي علي ناجي بن بريك سنة ١٢٨٣ هـ . فتلك فرصة هيأتها الأقدار لتدخل القعيطي في شؤون الساحل باسم الدفاع عن الحقوق اليافعية المسلوبة وحماية نفوذهم ومصالحهم في الساحل .

فهاجم المدينة بثلاثة آلاف مقـاتل في ذي الحجة سنة ١٢٨٣ هـ . من البر والبحر ، ولم يقاوم آل كثير سوى يومين فقط انهزموا بعدها تاركين أربعين قتيلا ، وعاد السلطان غالب بن محسن لاحتلال الشحر في رجب سنة ١٢٨٤ هـ. وكاد يحتلها لولا ثبات يافع وتشجيع السلطان عوض بن عمر لهم فقـد امتشقوا السلاح الأبيض يلقون به كل من وجدوه من آل كثير حتى اضطروا للانسحاب متوهمين أن مدداً قد وصل ليافع تاركين مائة وعشرين قتيلا وستين جريحاً وعشرين أسيراً .

وأقلق القعيطي الهجمات العنيفة التي يقوم بهـا غالب بن محسن لعرقلة خططه السياسية والحربية فجمع ما لا يقل عن سبعة الاف جندي لغزو العاصمة الكثيرية حتى يكون في مأمن من أي عدوان يفسد عليه برنامجـه السياسي والحربي .

واحتشدت هذه الجموع على حدود المنطقة الكثيرية وبدأت هجومها في شعبان سنة ١٢٨٥ هـ. في عدة جهات مستهدفة مدينتي تريم وسيؤون وغيرهما من المراكز الكثيرية الهامة ، وقد تأخذ القارىء الدهشة إذا قيل له بأن هذا الجيش الكثيف المزود بأحسن الأسلحة وكامل المعدات قد فشل في مهمته فشلاً ذريعاً ذلك أن الزمام كان قد أفلت من يد القيادة العامة التي يرأسها السلطان عوض ابن عمر وإخوانه واختلف الجنود وتنازعوا ودب إلى صفوفهم التخاذل وسوء النية والغفلة عن الغرض الرئيسي من هذه الحملة فكانت النتيجة الهزيمة والانسحاب وتكبد الخسائر في الأرواح والمعدات .

وعاد آل كثير متضامنين مع العولقي صاحب حصن الصداع الواقع بالقرب من غيل باوزير محاولين إعادة الكرة على الشحر جاعلين من غيل باوزير مركزاً لمؤامراتهم ومعسكراً تتجمع فيه جيوشهم وكان آل عمر باعمر أقدم قبيلة مسلحة تسكن الغيل يتأرجحون بين الخضوع للقعيطي تارة وبين التأثر بإغراء العولقي وآل كثير تارة أخرى ، ولم يكن للقعيطي بـــد من حسم الموقف فزحف إلى

الغيل بنحو ألف وستمائة مقاتل سنة ١٢٩٢ هـ. واحتلها بعد ان فرّ عنها آل كثير وأتباعهم من آل عمر باعمر وغيرهم من البادية .

واستمرت فرقة من الجيش القعيطي في زحفها إلى حصن الصداع وكان قد تحصن فيه بعض الفارين من آل عمر باعمر وغيرهم من أتباع العولقي فحاصروا الحصن عدة أشهر حتى سلم أهله وخرجوا من الحصار في حالة يرثى لها .

وكان القعيطي قد سبق قبل احتلال الغيل أن ارسل ثلة من الجيش لاحتلال الموانىء الشرقية فاحتلت الحامي ورأس باغشوة والقرن والديس سنة ١٢٨٧ هـ. ثم أرسل قوة أخرى احتلت قصيعر سنة ١٢٨٨ هـ.

وجاء دور المكلا التي كان يحكمها النقيب صلاح بن محمد الكسادي اليافعي والذي كان يطمع هو الآخر في توسيع إمارته الصغيرة التي كان يضايقه ضيق مساحتها ، وربما شعر القعيطي بمطامع النقيب صلاح فتجاهلها بادىء الأمر لأنه يرى ضرورة اتحاد القبائل اليافعية أولاً أمام خطر آل كثير .

وقبل أن ينتهي الصراع بين يافع وآل كثير وتعرف نتيجته الأخيرة اخترمت المنية النقيب صلاح فرحل إلى الدار الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ. ولم يكن ابنه الأمير عمر في مثل خبرته وبعد نظره وسرعان ما دب الخلاف بينه وبين السلطان عوض بن عمر القعيطي الذي كان من أهم أسبابه مطالبة القعيطي للنقيب عمر بالمائة ألف ريال التي استدانها أبوه للقيام بنصيبه في نفقات الحملة الكبرى على آل كثير والتي سبقت الإشارة إليها .

ولم يتردد النقيب عمر في إعلان عدائه للقعيطي وأخذ يتقرب من آل كثير ويبدي لهم صداقة محاولا الاستنجاد بهم عند الحاجة وكتب إليهم مرة يحثهم على مهاجمة الشحر ويعدهم بالمساعدة .

وضاق السلطان عوض بن عمر ذرعاً بهذه التصرفات فرفع إلى حكومة عدن

قضية يطالب الكسادي فيها بالمائة الألف فتوسطت حكومة عدن في الصلح بينهما رسمياً وأخذت عليهما وثيقة بالتحكيم ثم أصدرت حكمها بتخيير النقيب بين إحدى ثلاث ، إما أن يدفع المائة الألف أو يتسلم من القعيطي مائة ألف أخرى ويتخلى له عن المكلا وينتقل هو إلى بروم أو يتسلم من القعيطي مائتي ألف ويتخلى له عن الإمارة بأسرها .

ورفض النقيب عمر جميع هذه الخصال وطلب من حكومة عدن وكان موجوداً بها للمفاوضة أن تعيده إلى المكلا فأرجعته وبعد عودته بنحو أسبوع وصلت بارجة حربية إلى المكلا خرج منها ضابط إنجليزي عرض على النقيب أن يقبل إحدى الخصال الثلاث وإلا سيضطر إلى ضرب المدينة بالمدفع فسلم نفسه إلى قبطان البارجة « دراجون » التي أبحرت به إلى عدن في طريقه إلى زنجبار سنة ١٨٧٧ م. وبذلك انتهى أجل الإمارة الكسادية ودخلت المكلا وملحقاتها تحت سيطرت الدولة القعيطية .

هذه أهم السواحل الحضرمية تصبح في قبضة القعيطي علاوة على مدينة شبام ومنطقة القطن وحورة في الداخل وأصبحت أكثر القبائل في حضرموت تواليه رغبة أو رهبة الأمر الذي جعل السلطنة القعيطية حقيقية واقعة لم يتردد ممثل الحكومة البريطانية في عدن في الاعتراف بها .

فقد عقدت حكومة بريطانيا بواسطة جنرال هوج حاكم عدن معاهدة مع القعيطي في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٨ م . الموافق ٢١ جمادي الثانية سنة ١٣٠٥ هـ . تعهدت فيها بأن تحمي الدولة القعيطية من أي اعتداء عليها من أية دولة أجنبية وأن تساعدها في قمع كل ثورة تكون في داخل حضرموت كما اعترف القعيطي فيها بأنه تحت حماية بريطانيا العظمى وتعهد بأن لا يرتبط مع أية دولة أجنبية أو شركة إلا برضى الحكومة البريطانية وموافقتها وقد أمضى هذه المعاهدة في الشحر السلطان عوض بن عمر وأخوه عبدالله بحضور المستر هنتر معاون حاكم عدن ، ثم أمضاها حاكم عدن بالنيابة عن حكومة بريطانيا .

وكان احتلال وادي دوعن جزءا من البرنامج الذي أعده السلطان عوض ابن عمر فظل يتحين الفرص لتنفيذه ، وكان الوادي إذ ذاك مسرحا للفتن والاضطرابات حتى ان بعض الأهالي قدموا الى القعيطي عرائض الشكوى والتذمر من سوء الحالة في الوادي ، وبعد مفاوضات بين القعيطي وبين حاكم الخريبة من آل العمودي ، قبل هذا ان تخضع منطقة نفوذه للحكومة القعيطية مقابل مائتي ريال تدفع له شهريا من ضرائب سوق الخريبة .

ولكن الشيخ العمودي عاد فأعلن عصيانه الأمر الذي اضطر القعيطي إلى حربه والاستيلاء على الخريبة بالقوة بعد معارك شديدة وخسائر فادحة في قصة يطول شرحها ، وكان ذلك سنة ١٣١٧ هـ . أما حاكم بضه من آل العمودي فقد وقف موقف الحياد من هذه الحروب .

وكان احتلال مدينة الخريبة عاصمة وادي دوعن الأيمن بداية التدخل من جانب القعيطي في حكم جميع وادي دوعن الأيمن والأيسر فقد خضعت بعد سنوات قبائل ليسر بعد حروب ليس هنا موضع الحديث عنها .

وفي نفس العام الذي خضعت فيه دوعن جهز القعيطي ستمائة مقاتل لاحتلال منطقة حجر التي يمر بها نهر حجر العظيم وفوجئت هذه الحملة بكمين من قبائل حجر أطلق عليها الرصاص ففرقها وعادت منهزمة تاركة ثلاثة وستين قتيلا .

وكان القعيطي مصراً على احتلال هذه المنطقة الغنية الخصبة ، فأعاد الحملة عليها سنة ١٣١٨هـ . وأرسل مع هذه الحملة وزيره السيد حسين بن حامد المحضار وزوده بالمال لشراء أراضي بوادي حجر تكون نواة للتدخل في هذه المنطقة واستطاع المحضار بحكمته ودهائه أن يعقد حلفا بين الحكومة القعيطية وبين قبائل حجر الأشداء . كان هذا الحلف بداية التدخل ، فقد تم بعده بالتدريج خضوع قبائل حجر وميفع ودخلت هاتان المنطقتان الغنيتان بالماء والتربة تحت حكم الدولة القعيطية وأصبحتا جزءاً من السلطنة ومن أحد ألويتها الهامة .

وتوفى السلطان عوض بن عمر في حيدر أباد سنة ١٣٢٧ هـ . واثقا من قوة بناء السلطنة التي بذل في سبيلها العزيز الغالي من وقته وتفكيره ودمه وعرقه فليذهب الى الدار الآخرة تاركا له في هذه الحيـاة تاريخاً مجيداً ولسان صدق في الآخرين .

وتولى السلطنة بعده ابنه الأكبر السلطان غالب بن عوض المتوفي سنة ١٣٤٠هـ. وكان شهماً جواداً معروفاً بحب الخير والرحمة بالضعفاء والمحتاجين والإحسان إليهم وأهم ما يمتاز به عهده إيقاف الفتن والحروب بـــين السلطنتين القعيطية والكثيرية واستقرار الحالة السياسية في البلاد بارتباط السلطنتين بمعاهدة عدن المنعقدة في ١٧ شعبان سنة ١٣٣٦ هـ والتي حددت مواضع سلطة كل فريق ونصت على موافقة الفريقين على تناسي الماضي والدخول في عهد ودي جديـد أساسه التفاهم والتعاون وحل ما يعرض من المشاكل بالطرق السلمية .

وبعـــد وفاة السلطان غالب تولى شقيقه السلطان عمر بن عوض المتوفي سنة ١٣٥٤ هـ . ثم صاحب العظمة السلطان صالح بن غالب بن عوض بن عمر الذي حصل في عهده الانقلاب الحـــالي الذي شمل كثيراً من مرافق الحياة الاجتماعية والثقـــافية والسياسية ، وكان عهده نقطة تحول في التاريخ الحضرمي بأجمعه .

تولى عظمته السلطنة عقب وفاة عمه السلطان عمر بن عوض والبـــلاد الحضرمية في حالة عدم استقرار شامل ينذر بالتحول والانقلاب ، وكان رجال الإدارة في الحكومتين بحيث لا يستطيعون أن يضعوا خطة إصلاح ثابتـــة يبتدئون بها خط سير قويم إلى هـــدف صحيح سليم . فظلت البلاد تدور حول نفسها في وضع قديم عقيم لا يفيد الهيئة الحاكمة ولا يصلح الأمة المحكومة .

وكانت القبائل المسلحة وهي أوفر عدداً وأسلحة من جند الحكومتين أضعافاً مضاعفة تسيطر على أكثر مناطق البلاد سيطرة فعالة حيث كان الجند لا يستطيع الاحتفاظ بالأمن خارج المدن والقرى الخاضعة لنفوذ الحكومتين

وربما عاثت بعض القبائل سلباً ونهباً وسفكت الدماء فلا يجد الجيش من نفسه القدرة الكافية لإخضاعهم .

وليس الجيش وحده صورة لاختلال الإدارة واضطراب ميزان الأمور في الدولة فقد كانت هناك أمثلة أخرى في نظـــام الحاكم واختصاصات القوام والحكام وتصرفاتهم وفي استيفاء الضريبة والدخل العـام الذي تتكون منه ميزانية الدولة حيث لا ميزانية بالمعنى الصحيح تحدد أغراض الدخل وتوضح كيفية الصرف ، وإنما هي ضرائب تجبى ، الغرض الأول والأخير منها تلبية رغبات القائمين بالأمر وحماية مصالح الحكومة فقط الممثلة في الجيش وفي نفر معدودين من الموظفين بينهم عمال الدولة وقضاتها وكتبتها يعينون لا باختيار ولا لكفاءة ويعزلون ويقالون لا لسبب مشروع ، بل تبعاً لهوى الحاكم بأمره ممن تسند إليه أعمال الدولة .

أما التعليم والصحة ، أما النظام والعمران ، أما محاربة الفقر والبطالة ، أما إصلاح شامل يستهدف رقي البلاد وتقدمها فذلك ما خلا منه برنامج الحكومات في العهد الماضي واستسلم الشعب بعد ذلك أمام أسباب وعوامل قاهرة فلم يقم من جانبه بأي إصلاح أو حركة تثبت حياته وتدل على وجوده لقد كان مقسماً إلى طبقات وجاهلاً وفقيراً ومغلوباً على أمره فماذا ينتظر منه ؟

لقد كانت الحالة العامة في حضرموت تتلخص في نقطتين أو مادتين : عطب في عجلة الحكومة فلا تتحرك ولا تسير ، وركود من جانب الأمة فلا تكاد تبدي أية حركة تدل على الحياة إذا استثنينا صيحات متقطعة يرسلها الحضارم في مهاجرهم من حين لآخر يطالبون فيهـــا بالإصلاح فترتد صيحاتهم خافتة خاسرة حين تتجلى لهم الحقيقة المرة في عجز الحكومتين عجزاً فاضحاً عن إقرار الأمن في البلاد الذي هو نواة الإصلاح الأولى ، فقد كانوا يدركون أن عصيان قبيلة مسلحة واحدة يكفي لإحباط أي مشروع اقتصادي أو اجتماعي فكيف والقبائل جميعها في حالة عصيان مستمر .

لذلك رأى صاحب العظمة أن يستعين بحكومة عدن في إخضاع القبائل وإقرار الأمن والسلام في أرجـــاء البلاد الحضرمية ، ولم تمض سنوات حتى تمت المعجزة وساد البلاد أمن منقطع النظير لا نعرف له مثيلاً فيما قرأنا من تاريخ حضرموت .

وهذه سبع وعشر من السنين مضت منذ تولى السلطنة صاحب العظمة شهدت فيها البـــلاد الحضرمية أحداثاً جديرة بعناية المؤرخ قمينة بأن تتناولها الأقلام بالدرس والبحث الدقيق عن اسبابها وملابساتها والحكم لها أو عليها فقد تم فيها ذلك التحول الذي نتحدث عنه .

١ – خضعت جميع القبائـل المسلحة داخل الحدود الحضرمية لسلطة الحكومتين خضوعاً فعلياً مباشراً .

٢ – اختفى السلاح من أيدي القبائل المسلحة أو كاد .

٣ – تلاشت جميع السلطات المتعددة على اختلاف أنواعها ومظاهرها غير سلطة الحكومتين .

٤ انمحت الفوارق والامتيازات بـين الطبقـات إلا بقايا متلاشية في طريقها إلى الاضمحلال .

٥ - أمن الناس على أرواحهم وأموالهم في البوادي وطرق المواصلات .

٦ – بدأ الناس يدركون علاقة الأمة بالحكومة ويتنبهون إلى حقوق الأولى وواجبات الأخيرة ، فانتقدوا أعمالها وطالبوها بالإصلاح .

٧ – شرعت الحكومة تنشىء دوائر وهيئات منظمة وتقوم بإصلاحات مختلفة في وضع يتناسب مع مالية البلاد وما يحيط بها من ظروف وملابسات وقد تم منها حتى الآن أشياء كثيرة :

منها سكرتارية الدولة ومجلس الدولة وإدارة المعارف وتشكيل المجالس البلدية ومصلحة الصحة وإدارة العمارة والبريد واللاسلكي والكهرباء ، كما

نظمت فرق الجيش وأعد إعداداً مناسباً وقسمت السلطنة إلى ألوية يحكمها نواب ومقاطعات تحت إدارة قوام ودرب القضاة والحكام وأنشىء المستشفى العام بالعاصمة وصيدليات في كثير من الألوية و المقاطعات ، ونظمت الميزانية وبذلت محاولات لتحسين حالة البلاد الاقتصادية بإعطاء قروض المزارعين وإنشاء بعض السدود للانتفاع بمياه الأمطار وجلب الماكينات الرافعة للماء والتعاقد مع شركة أهلية لزراعة أراضي ميفع وغير ذلك .

وحركة التعليم هي الجديرة بالذكر والتقدير من هذه الإصلاحات فقد أنشأت الحكومة حتى الآن حوالي ثلاثين مدرسة ابتدائية في أنحاء القطر للبنين والبنات وجعلت غيل باوزير مركزاً للتعليم فوق الابتدائي ، فأنشأت فيها مدرسة متوسطة تضم حوالي مائة وخمسين طالباً يؤمها الطلبة من جميع أنحاء البلاد، ومدرسة ثانوية لتخريج المعلمين والموظفين ، ومعهداً دينياً ومدرسة ابتدائية نموذجية وأرسلت البعثات العلمية إلى مصر والسودان وسوريا والعراق لإكمال دراستهم حيث تخصص بعضهم في الطب والحقوق وغيرها من العلوم. وتقدر ميزانية التعليم في الدولة بنصف مليون شلن تقريباً .

وتستعين حكومتا القعيطي والكثيري بآراء مستشار انكليزي يقيم في المكلا قبل السلاطين بموجب وثيقة رسمية سنة ١٩٣٧ م. أن تنفذ حكومتاهما إرشاداته فيما عدا الشؤون الدينية وتقاليد البلاد وكان المستر انجرامس أول مستشار إنكليزي لحكومتي حضرموت .

وفي عهد السلطان صالح تعينت لجنة لتحديد الحدود بين السلطنتين القعيطية والكثيرية مكونة من مندوبي السلطنتين تحت إشراف المستر شبرد المستشار المقيم، وقد انتهت هذه اللجنة المشتركة إلى قرار حاسم في موضوع الحدود وقعت المصادقة عليه رسمياً وهذه هي حدود السلطنة الكثيرية نقلاً عن الخريطة الرسمية التي وضعت لتبين الحدود :

تبتدىء في الشمال الشرقي من شرق تريم مباشرة وتمتد في خط متعرج شرقي

جنوبي إلى حصن الضبيعة قريب من منطقة الحموم ثم يذهب الخط في اتجاه غربي جنوبي إلى حرزبون شمال ريدة المعارة ويعود الخط فى اتجـاه غربي شمالي ثم في اتجاه أقرب الى الاستقامة منحرفاً قليلا إلى الشمال إلى أن يحاذي وادي الحرية فيتجه إلى الشمال محاذياً لهذا الوادي حتى يصل إلى الحزم شرق شبام حيث يمر غربي الحزم وغربي المحجر إلى قارة آل عبد العزيز ، فينحرف غربيهـا إلى الشمال .

وتقع هذه المنطقة في قلب البلاد الحضرمية وهي جزء صغير جداً بالنسبة لبقية المناطق الواسعة التي يحكمها السلطان القعيطي والتي تمتد من سيحوت شرقاً إلى شبوة وبلاد الواحدي في الغرب وتضم جميع السواحل والموانىء الحضرمية وبذلك تحيط السلطنة القعيطية ببلاد الكثيري في الشرق والغرب والجنوب .

وتدور الآن مباحثات رسمية لتوحيد حضرموت المؤلفة من السلطنات الثلاث التي يحكمها القعيطي والكثيري والواحدي فقد كانت بلاد الواحدي جزءاً جغرافياً من حضرموت في التاريخ القديم ولم يبت حتى الآن في كيفية هذه الوحدة الحضرمية التي يقال انها ترمي إلى الصالح العام دون أن تمس حقوق السلاطين .

هذا هو أهم ما قامت به الحكومة حتى الآن في إصلاحات ينتظر أن تأخذ طريقها إلى النمو والاتساع وإذا كانت هناك مآخذ على بعض أعمال الحكومة وتصرفاتها ، فإن الحركات الإصلاحية تبدو دائماً متعثرة وبطيئة حتى تتوفر لها أسباب النجاح والكمال .

الحمد لله في البدء والختام

أهم مصادر الكتاب

١ – القرآن الكريم .

٢ – تاريخ ابن خلدون .

٣ – تاريخ ابن الأثير .

٤ – البداية والنهاية لابن كثير

٥ – معجم البلدان لياقوت الحموي .

٦ – طرفة الأصحاب في معرفة الانساب للملك الأشرف ابن رسول .

٧ – تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

٨ – محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية للخضري .

٩ – صفة جزيرة العرب للهمداني .

١٠ – حياة محمد لحسين هيكل .

١١ – عبقرية الصديق للعقاد .

١٢ – الفاروق عمر لحسين هيكل

١٣ – حاضر العالم الاسلامي وتعليقات الأمير شكيب أرسلان .

١٤ – تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن .

١٥ – تاريخ الاستعمار الأنكليزي في بلاد العرب لأمين سعيد .

١٦ – ضحى الاسلام لأحمد أمين .

١٧ – ظهر الاسلام لأحمد أمين .

١٨ – قصة الكتابة العربية لابراهيم جمعه .

١٩ – مهد العرب لعبد الوهاب عزام .

٢٠ – قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة .

٢١ – ملوك العرب لأمين الريحاني .

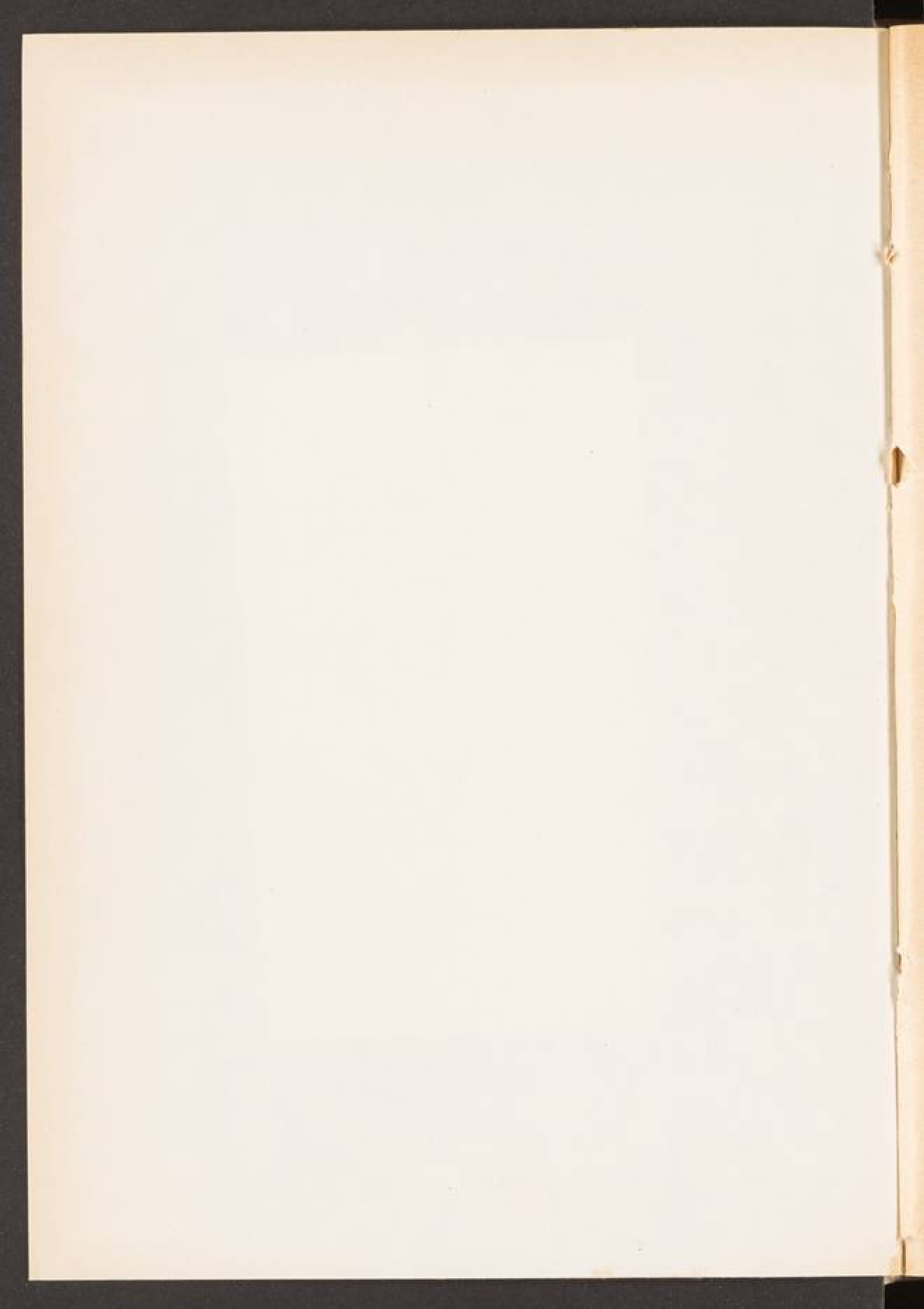
٢٢ - تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات
٢٣ - تاريخ التربية لمصطفى أمين .
٢٤ - ملوك المسلمين المعاصرين لأمين سعيد .
٢٥ - دائرة معارف القرن الرابع عشر لفريد وجدي .
٢٦ - تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان لأبي محمد السالمي .
٢٧ - تاريخ اليمن للواسعي .
٢٨ - خلاصة من تاريخ اليمن قديما وحديثا للقاضي الحجري اليمني .
٢٩ - هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن للامير أحمد فضل .
٣٠ - رحلة سيف الاسلام أحمد ، للسيد حسين اليماني .
٣١ - جغرافية عدن وبلاد العرب ، تأليف لجنة الجغرافية العدنية .
٣٢ - المشرع الروي في مناقب السادة آل علوي للشلي .
٣٣ - تعليقات السقاف على رحلة باكثير .
٣٤ - تاريخ الدولة الكثيرية لمحمد بن هاشم .
٣٥ - تاريخ حضرموت السياسي لصلاح البكري .
٣٦ - جنوب جزيرة العرب لصلاح البكري .
٣٧ - مقتطفات من مقالات في مجلة المقتطف والمقتبس والعالم العربي وغيرها
٣٨ تحفة الاسماع والابصار للجرموزي مخطوط
٣٩ - بضائع التابوت لعبد الرحمن بن عبيد الله »
٤٠ - مذكرات الأمير علي بن صلاح عن الدولة القعيطية »
٤١ - شخصيات حضرمية للمؤلف »

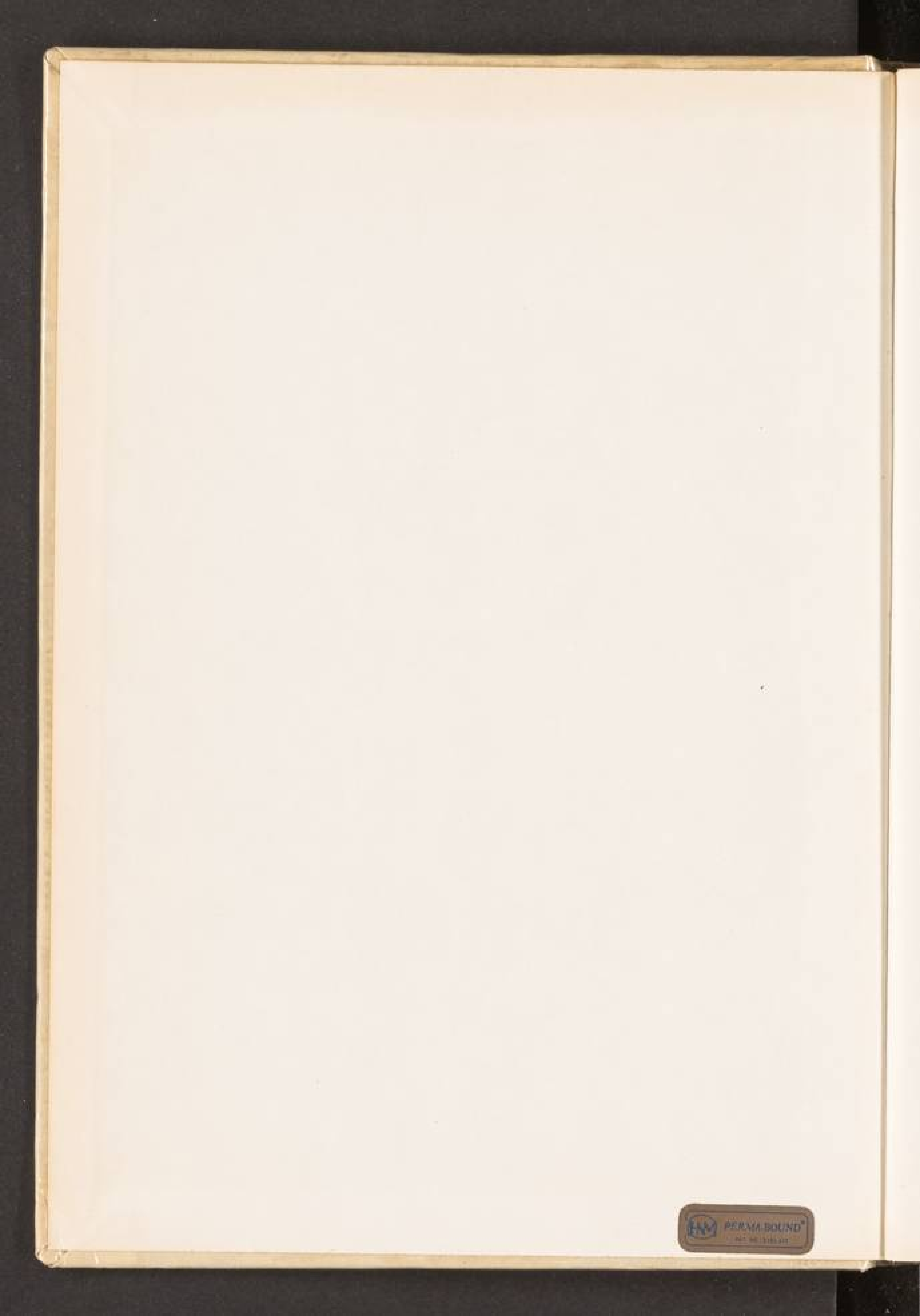
محتويات

معالم تاريخ الجزيرة العربية

تمّ طبع هذا الكتاب في
مؤسسة خليفه للطباعة
تلفون : ٢٤٣٠٩٩

٣٠٠٠/١٠٠٢
١٩٦٦/٣




PERMA-BOUND®

هذا الكتاب



سعيد عوض باوزير

* ولد عام ١٩١٦ م بمدينة غيل باوزير بحضرموت

* تلقى علوم الدين واللغة في المعهد الديني بالغيل .

* بعد تخرجه من المعهد عُين كاتباً للمجلس العالي في المكلا ، ثم قاضياً شرعياً لمدينة (غيل باوزير) ثم مدرساً في المعهد الديني ، وبعد ذلك عمل المؤلف في جهاز التفتيش التابع لمعارف الدولة القعيطية ، وكلف بوضع بعض المقررات في التاريخ واللغة العربية والدين والجغرافيا للمدارس الحضرمية ، ويعمل الآن اميناً لمكتبة المعارف بغيل باوزير .

* كان عضواً في لجنة الدستور الاولى التي شكلتها الحكومة القعيطية عام ١٩٦٤ ، وتحت اسم مستعار كان ولا يزال يعالج بكتاباته كثيراً من المواضيع السياسية والاجتماعية وغيرها من شئون الساعة في حضرموت والجنوب العربي .

* اثناء رحلته الى مدينة اسمره في الحبشة ساعد في تكوين (المجلس الاعلى للتعليم الاسلامي) واشترك في وضع لوائحه الداخلية .

* تدرس بعض مؤلفاته في المدارس الحضرمية ومدارس اتحاد الجنوب العربي كمادة تاريخية قيّمة .

منشورات مؤسسة الصّبان وشركاه - عدن

الثمن ٥٠٠ قرشاً لبنانياً